محمد بن ناصر العبودي

داخل أسوار الصين

رحلة وحديث في شئون المسلمين

الجزء الثاني

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

الأعمال الجرافيكية
مطابع الفرزدق التجارية- الرياض
تلفون: ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى مقاطعة نن تشا

المسلمون في مقاطعه نن تشا

تقع مقاطعة نن تشا الذاتية الحكم لقومية خوي في وسط شمال الصين الغربي ومساحتها ٦٦ ألف كم مربع. يخترق النهر الاصفر شمالها من الغرب إلى الشرق وعلى شاطئيه ينبسط سهل ين تشوان وتتراكم في وسط المنطقة هضبة التراب الاصفر، سمك التراب الاصفر ١٠٠ متر تقريبًا..

تعداد سكان المقاطعة ٣,٨٩ مليون نسمة. منهم ١,٢٠٥ مليون نسمة من المسلمين من قومية خوي يشكلون ٣١,٤٪ من تعداد سكان المنطقة الاجمالي وينتشرون في منطقة جبال ليوبان ومدينة ين تشوان وتونغشين ولينغو ووتشونغ وغيرها من المدن والمحافظات.

دخول المسلمين إلى المنطقة

ترك التجار والمجاهدون المسلمون من مختلف البلدان في وسط آسيا أول ما تركوا بصماتهم في المنطقة في اسرة تانغ(٦١٨- ٩٠٧م) وفي عهد شيشيا اسرة سونغ الشمالية(٩٦٠-١١٢٧م) كان دائمًا ما يمر الضيوف المسلمون.

وعندما جاءت اسرة يوان المغولية دخل المسلمون المنطقة بأعداد ضخمة. ونظم جنكيزخان بعد أن فتح آسيا الوسطى وآسيا الغربية، جيشا من مسلمى مختلف القوميات ليرابط في الصين. وحسب ما سجل في« تاريخ اسرة يوان» أن جيش المسلمين دخل شيشيا في عام ١٢٧١م. وبعد سنتين من ذلك أمر الامبراطوري قوبلاى خان أن يبقى هذا الجيش في المنطقة ويعيش مع الاهالى المحليين. وكانت المنطقة تابعة لحكومة شنشى. وفي عام ١٢٨٨م عين البلاط الامبراطوى

عثمان الدين من قومية خوي مسئولا عن مرابطة الجيش والزراعة في كانسو وشنشى.. ودخل الصين بعض المسئولين الكبار والتجار الاغنياء المسلمين مع الجيش المغولي. وكان ناصر الدين بن شمس الدين رجل الدولة المسلم المشهور في اسرة يوان مسئولاً كبيراً في مقاطعة شنشى. وانقسم ابناؤه واحفاده إلى أربع أسر كبيرة هي: نا، وسو، ولا ،ودين.. انتشرت في وبوع البلاد. وعدد الذين اسم عائلاتهم نا كثير في المنطقة اليوم.

التقاليد والعادات

يتميز المسلمون في المنطقة بالتقاليد الخاصة إضافة إلى تأدية الدروس الدينية.و يهتمون بالنظافة حيث كتب فان تشانغ جيانغ الصحفى الشهير قبل ٤٠ سنة:« بيوت المسلمين وحقولهم منظمة ومرتبة ويبذلون جهوداً جبارة في الرى واستئصال الاعشاب من الحقول وحياتهم زاخرة حيوية ونشاطا. ويمكننا أن نجد الاناء معلقا على عارضة وراء باب كل بيت وخندقا ضيقا تحته، وبجانب الخندق ابريق.. وهم يستعملون الابريق في غسل الوجه واليد بدلاً من الطست. وفوق كل بئر غطاء، والدلو الصغير معلق على الجدار مغطى بالقماش الابيض، والدلو الكبير يوضع مقلوبًا، حتى المغارف والملاعق في الدولاب توضع معكوسة أيضًا.

يحب المسلمون في المنطقة أن يجملوا بيوتهم بالصور والكتابة العربية ويصنعون الاطعمة المقلية في الاعياد. ويكرمون الضيوف بانواع مختلفة من الشاى. والاجود منها الشاى فيه الفول السودانى والتين الصيني المجفف والعنب ولب الجوز.

يلبس رجالهم قلنسوة بيضاء وثوبًا أبيض وسترة سوداء ويلبس بعضهم جوارب قماشية بيضاء طويلة وتلبس النساء الثياب المفتوحة من الجانب. وفي المنطقة الجبلية يسلمون على بعض باللغة العربية: « السلام عليكم ».

التطور

شكل المسلمون في ين تشوان وقويوان وغيرهما من الولايات والمحافظات مناطق معيشية كثيرة في أسرة مينغ(١٣٦٨-١٦٤٤) وازداد عددهم ازدياداً كبيراً في أواسط أسرة تشينغ. لذلك كتب بى يوان رئيس شنشى في تقريره إلى البلاط الإمبراطوري أن قرى خوى « يعنى المسلمين » منتشرة بين مسافة ١٠٠٠ لى من نن تشا وبينغلانغ. وقيل إن بين كل عشرة أشخاص ٧ من خوى و ٣ من قومية خان في منطقة كانسو ونن تشا وتشينغهاى.

وأول ما وجد من السجلات عن الجوامع القديمة في المنطقة هو« تاريخ نن تشا في عهد جياجينغ »(١٥٢٢-١٥٦٦م) فيه موقع جامع مدينة ين تشوان. أما الجامع الكبير في محافظة تونغشين فقيل إنه أسس في أوائل أسرة مينغ، ولا يزال النصب الحجرى الذي نحت عند ترميم هذا الجامع في عام ١٧٩١باقيًا.

وعاصمتها مدينة ين تشوان على ضفاف النهر الاصفر وهي مدينة حدودية قديمة جميلة المناظر. وقد اتخذتها مملكة شيا الغربية(١٠٣٨-١٢٢٧م) عاصمة لها.

إن نن تشا غنية بالثروات المعدنية والموارد المائية. ومن أهم معادنها الفحم الحجري والبترول والحديد والفوسفور والجص وحجارة الزجاج الرملية والصلصال والسليكون... إلخ. وتحتل نن تشا المكانة الخامسة في الصين كلها من حيث احتياطي الفحم الحجري. زد على ذلك أن فحم الانتراسيت المنتج في روتشيكو

والمعروف باسم« فحم تايشي» منخفض الكبريت والفوسفور وقليل الذرور وشديد الاحتراق. هذا ما جعله يحظى بالترحاب الحار في أسواق دول آسيا واوروبا. أما الجص المحلي فهو جيد النوعية مع العلم بأن احتياطيه يفوق ما يكون في بقية أجزاء الصين. وقد ظهر في نن تشا اليوم كثير من المؤسسات الصناعية التي تشمل الفحم الحجري وتوليد الكهرباء والماكينات والغزل والنسيج والتعدين والكيماويات والبترول والأجهزة الإلكترونية.

وتتميز نن تشا بالظروف الطبيعية الخاصة بها. وقد عرفت سهول ين تشوان من نن تشا باسم« المملكة السماوية الحدودية». ومنذ عهد أسرة تشين الملكية(٢٢١-٢٠٧ق م) شهدت هذه السهول قنوات الري. وفي عهد أسرة خان(٢٥-٢٢٠م) وأسرة تانغ(٦١٨-٩٠٧م) وأسرة شيا الغربية(١٠٣٨-١٢٢٧ق م)ظهرت فيها قنوات جديدة. وجدير بالذكر أن قنوات تشين وخان وتانغلاي وأخواتها ظلت مستعملة حتى يومنا هذا. ولذلك فإن سهول ين تشوان من أقدم المناطق المروية الشهيرة في الصين. ولو أتيت إلى سهول ينتشوان لأعجبك ما فيها من القنوات والترع المتشابكة وغلال الأرز والأسماك الطرية والغابات المخضوضرة والمزروعات المثقلة بالحبوب والمواشي المكتنزة بالعضلات والفواكه الحلوة. وبالإضافة إلى أن نن تشا هي موطن القمح والرز والقنب والنباتات الزيتية والبطيخ والفواكه فإن لها مروجًا واسعة وهي منطقة هامة لإنتاج الفرو في الصين. ومما يستحق الذكر بصورة خاصة أن فرو حملان« تان» رائع جداً بنعومته ورونقه وتميز شعره بالالتواءات الطبيعية التسعة فهو فرو فاخر للوقاية من البرد.

ولقد كان نشاط المسلمين في نن تشا عاديًا حتى أوائل الستينات ثم تضررت جميع مجالات المقاطعة خلال الثورة الثقافية وأيام العصابة الرباعية ولكن الأوضاع عادت إلى مجاريها الطبيعية بعد سقوط العصابة الرباعية .

وكان عدد المساجد في المقاطعة عند قيام الثورة الشيوعية ١٥٠٠ مسجد وصل عدد المساجد المفتوحة منها بعد سقوط العصابة الرباعية ١٤٠٠ مسجد، ولايزال العمل جاريا في ترميم المساجد وبنائها وتعمل الجمعية الإسلامية على ترميم وبناء اثني عشر مسجداً مشهوراً في المقاطعة تم ترميم ثلاثة منها وبدأ العمل في ستة مساجد وسوف يتم ترميم ثلاثة مساجد بعد ذلك، وتحتاج هذه المساجد إلى ثلاثة ملايين ين لإكمال ترميمها وإصلاحها. وقد بلغ مجموع المساجد فيها الآن ١٥٠٠ مسجد.

وفي جنوب المقاطعه حيث يتمركز ٦٠٪ من مسلمي المقاطعة يوجد كثير من المساجد التي تحتاج إلى خمسة ملايين ين للإصلاح والترميم، ويتم ترميم وبناء هذه المساجد من تبرعات المسلمين ومساهمة الحكومة المحلية كما تسعى الجمعية الإسلامية لمقاطعة نن شيا إلى بناء معهد إسلامي في ين تشوان تكون الدراسة فيه أربع سنوات بعد الثانوية ويقبل كل سنة ٣٠ طالبًا.

يوم الإثنين ١٤٠٤/٧/٢٩هـ ٣٠ أبريل ١٩٨٤م

إلى مقاطعة (نن تشا)

حان موعد سفرنا إلى(مقاطعة نن تشا) التي يكثر فيها المسلمون من قومية(خوي) مثلهم في ذلك مثل أكثر المسلمين في مقاطعة كانسو ويمكن تعريف قومية(خوي) بأنها تتألف من مسلمين ترجع أصول بعضهم إلى العرب أو الفرس أو الترك. ولكنهم تحولوا إلى التكلم باللغة الصينية نتيجة لسكناهم الطويلة في الصين، وتزاوجوا فيما بينهم حتى صاروا لافرق بينهم وبين سائر أهل الصين إلا في الدين بخلاف أهالي سينكيانغ الذين هم من الأتراك الأصلاء ولايزالو يتكلمون بلغة متفرعة عن التركية هي اللغة الأيغورية .

تناولنا طعام الافطار مبكرين في الفندق ثم انتقل الموكب تتقدمه الدراجة النارية التي يمتطيها ضابطان إلى محطة القطار الرئيسية في (لانجو) وكان ذلك في السابعة و الربع.

وقد تركنا امتعتنا في غرفنا في الفندق وكان من المقرر أن نغيب عنه ليلتين.

وفي هذه الساعة المبكرة من الصباح كانت الشوارع مكتظة بالذاهبين إلى أعمالهم مابين مشاة وراكبي دراجات ولاتلمح شخصًا تشعر بأنه يذهب إلى عمله بالسيارات لأنه لاتوجد سيارات خاصة كما أسلفت كما أن مداومة الانتقال بالحافلات العامة إلى أماكن العمل ممايرهق جيوب أكثر الموظفين.

وقد اخبرنا اخواننا أن الناس يذهبون إلى أعمالهم في هذه اليوم في المصالح الحكومية والمصانع التي هي حكومية أيضًا حتى المتاجر هي حكوميةكما قدمت وهم على نشاط عظيم لأن غداً هو يوم مشهود عندهم فهو أول مايو الذي هوعيد العمال كما يقولون والناس في البلدان الشيوعية يكادون يعتبرون كلهم من العمال.

ويسمونه هنا كما في الاتحاد السوفيتي عيد الربيع وهذا حقيقي لأن الربيع في شمال الصين لا يحين أو لا يبدأ بصفة حقيقية إلا في هذا الوقت بخلاف من قلدوهم من بني قومنا العرب مثلما كنا نسمعه في العراق إبان المد الشيوعي فيها خلال حكم عبد الكريم قاسم إذ كان المفتونون بالشيوعية يرددون العبارات المستوردة من الاتحاد السوفييتي ويرددونها كما ترددها الببغاوات بدون معرفة معناها ومنها عبارة(عيد أول أيار عيد العمال عيد الربيع) مع أن أول أيار(مايو) في البلدان العربية الواقعة في الشرق العربي لا يكون ربيعا بل يكون حاراً مغبراً إذّ تنشط فيه الرياح (الخمسية) أو(الخماسين) نسبة إلى الأيام الخمسين التي تبدأ بالهبوب فيها في ذلك الشهر من كل عام.

وقد لاحظت أن بعض الناس ينتظرون الحافلات في المحطات ولكن بأعداد قليلة لاتتناسب مع أعداد السكان، وربما كان أو لئك من كبار الموظفين أو ممن هم أقل فقراً من غيرهم.

وصل الموكب محطة القطار الرئيسية في(لانجو) ووقفنا فترة عند قاعة لكبار الزوار أو(صالون للشرف) كما يعبر عن ذلك بعض جهلة الكتاب فلم يفتح بابها فانتقلنا إلى غرفة أخرى لكبار الزوار في الطابق الثاني من بناء المحطة.

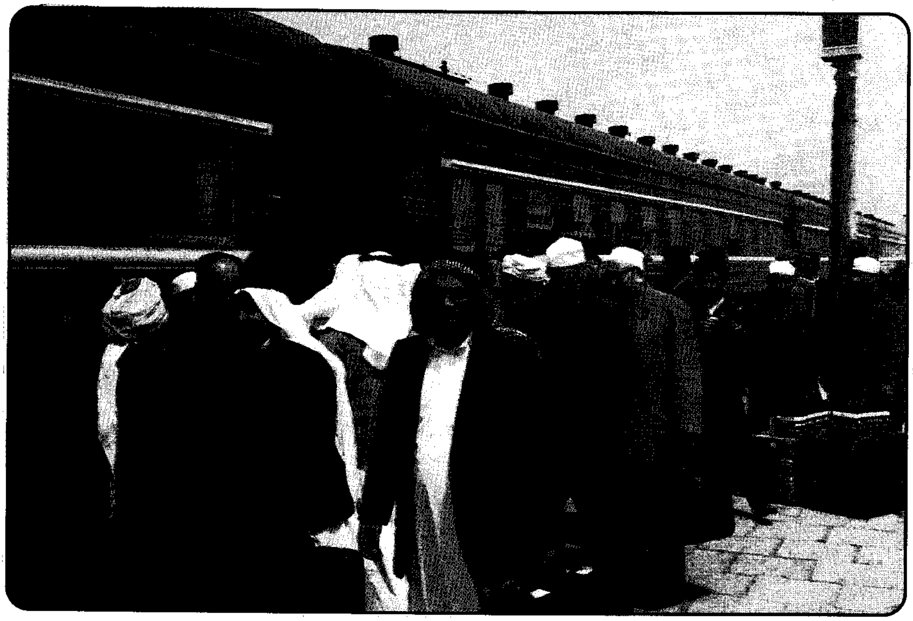
وبناء المحطة نظيف حديث من الأسمنت المسلح الذي بني قبل سنتين فقط ويقع على ميدان متوسط السعة نظيف أرضه مزفلتة زفلتة جيدة تحف به أبنية (عمارات) أسمنتية حديثة ذات طوابق متعددة.

ومحطة القطار هذه مع الميدان التي تقع عليه ممايرجح كفة هذه المدينة الصينية الشمالية على كثير من عواصم المقاطعات الصينية من حيث العناية بالمرافق العامة.

في قطار بكين:

انطلق القطار في تمام الثامنة بالضبط وذلك هو موعده المقرر بعد أن ودعنا الاخوة الكرام من أهل لانجو. وهو قطار لأباس به بل ربماصنف من القطارات الجيدة في البلدان النامية، ويسمى قطار بكين لأنه ينطلق من هذه المدينة(لانجو)إلى مدينة بكين العاصمة فيقطع في رحلته إلى هناك ألفًا وثمانمائة كيلو متر منها رحلتنا هذه التي تستغرق من لانجو إلى مدينة(ين تشوان) عاصمة مقاطعه(نن تشا) مسافة أربعمائة وخمسين كيلو متراً يقطعها

القطار في تسع ساعات كما أخبرونا ويقولون إنه يحتاج إلى ثمان وثلاثين ساعة من السير لكي يصل إلى بكين وذلك غير الوقفات المعتادة في بعض المدن و عواصم المقاطعات.



الوفد في محطة القطار

وقد ركبنا في الدرجة الأولى في مقصورات جيدة لايشاركنا فيها أحد من الركاب كل مقصورة مخصصة لأربعة من الركاب فيها أربعة أسرة للنوم كل اثنين في جانب أحدهما فوق الآخر كما تكون عليه الحال في أكثر القطارات في العالم.

والمقصورة مؤثثة بأثاث جيد قد أكثرو فيه الأغطية والوسائد وفيها مكبر للصوت يذيع بالصينية وأحيانًا يذيع موسيقى لأنه للقطار عامة كما أن فيها مصباحًا للقراءة ومائدة صغيرة للكتابة ذات غطاء نظيف وفيها أيضًا حتى أحذية الحمام(الشباشب) ولكن الذي يكدر فيها أنها قد علق بها غبار كثير

لأنها تمر بمنطقة صحراوية ويظهر أنهم لم ينظفوها بعد ذلك. وإن كانت النافذة مضاعفة الزجاج اتقاء للبرد الشديد في شمال الصين الذي يشتد برد الشتاء فيه إلا أن زجاجها غير صاف بسبب ماتنفثه مداخن القطار من دخان كثيف لأنه يسير ببخار الفحم.

وعندما سار القطار قدم لي الأخوة المرافقون مدير القطار الذي رحّب وأكثر من الترحيب، وقال: نحن في خدمتكم فأرجو إذا احتجتم شيئًا أوشعرتم بأن هناك قصوراً في الخدمة أن تخبرونا وقد لاحظت العناية العظيمة التي أحاطونا بها بصفتنا وفداً رسميا حتى إنهم يجعلون أحد رجال الأمن في القطار يراقبنا من حيث لا نشعر حتى إذا خلت مقصورة منابسبب انتقال من بها إلى المقصورة الأخرى سارعوا وأغلقوا بابها بالمفتاح على أمتعتنا الخفيفة التي أخذناها معنا من باب المحافظة عليها.

وبعد مسير القطار جاءوا مسرعين بالشاي الصيني الأخضر في أكياس صغيرة ومعها الأكواب الصينية التقليدية ذات الأغطية الثقيلة من (الصيني) أي الخزف الجيد وجاءوا بالأوعية التي تحفظ المياه حارة وهي الزمزميات، وشيء لايفعلونه لانفسهم وهو أن أحضرواقدراً من السكر لأنهم يعلمون أن ضيوفهم يفضلون ما لا يفضلونه وهو شرب الشاي بالسكر.

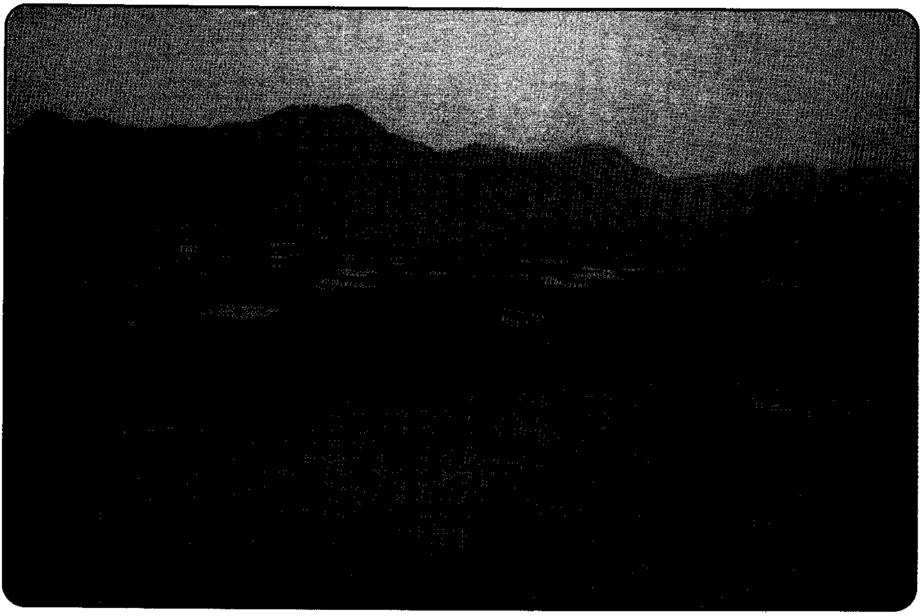
وقال أحد الأخوة المرافقين: إننا قد رتبنا أمر الغداء في القطار مع المدير من أجل أن يكون طعامًا إسلاميًا بعيداً عن أية شائبة.

لم يكد القطار يفارق مدينة لانجو حتى دخل في نفق مظلم لأن المنطقة منطقة تلال عالية أغلبها تلال طينية صلدة.

ثم مر القطار فوق نهر صغير من فروع النهر الأصفر الكبير وإن كان كبره لا يصل به إلى حجم النيل ولاحتى حجم نهر دجلة فيما رأيناه منه.

واخترق الخط الحديدي منطقة التلال الطينية الصلدة التي هي أعجب مارأيته من أنواع الأراضي في حياتي فهي تلال طينية ولكنها متماسكة كأنما بنيت بناء وهي كثيرة بل هي لكثرتها قد شملت المنطقة التي رأيناها كلها حتى الآن وقد رأيت منها قدراً واسعًا من الطائرة ثم تعددت الانفاق القصيرة التي يدخلها القطار وأظن بعضها يخترق تلك التلال الطينية.

ومررنا بقرى ريفية كل بيوتها بدون استثناء من الطين الذي لايختلف لونه عن لون التلال الطينية الصلدة هذه.



بيوت من الطين في الطريق بالقطار بين لانجو وين تشوان

ولكن البيوت أكثرها مبني بطريقة رثة بحيث تقل عن البيوت الطينية في المدن الصينية التي رأيناها حتى الآن. ولكنها لاتقل عن بيوت الطين في الهند وافغانستان. ولقد ذكرني الركوب في هذا القطار في درجته الأولى هذه بالركوب في قطارات أخرى في العالم كثيرة كان أردأها على الإطلاق القطارات الهندية.

أما هذا القطار الصيني فإنه يعد بينها في الوسط واسوأ مافيه الغبار والدخان المتطاير من مداخنه الذي تكاثف على زجاج النوافذ حتى لم أستطع التصوير من خلالها .

وقد لاحظت هنا أنه يوجد بين المزارع الواقعة بين التلال الطينية اقسام منها صغيرة محمية عن البرد ببيوت من اللدائن واغطية منها وهي في أغلبها مزارع للخضرات.

كهوف التلال:

ليس العجب من هذه التلال الطينية الصلدة هو وجودها بهذا الشكل الكثيف الواسع وصمودها على الزمن تقاوم الثلوج والامطار والرياح وعوامل التعرية وإن كانت جميعها تاخذ منها فتخصب السهول الزراعية وتغني مياه النهر الاصفر بالطمي الأصفر الذي اكتسب النهر تسميته من لون مياهه المائلة للصفرة.

ولكن العجب أيضًا من صلابتها التي جعلت الصينيين ينحتون فيها بيوتا وغرفًا تكررت رؤيتها هنا كما سبقت رؤيتها في الطريق ما بين المطار ومدينة لانجو واخبرونا أنها أكثر ما تستعمل هنا لايواء الدواب في الشتاء. وبعضها قد ركبوا عليه أبوابا وهي في مجملها مما يذكر المرء بمنظر مدائن صالح مع الفارق بطبيعة الحال.

وهذه التلال جرد ، خالية من الأشجار والأعشاب ومثلها الأماكن المرتفعة هنا فإنها جافة خالية من الأعشاب رغم كوننا في فصل الربيع إلا بقايا شجيرات صحراوية تبدو كالمحترقة من الجفاف فكأنها الأرض الصحراوية في بلادنا

العربية من دون فرق لولاوجود الأماكن المنخفضة المزروعة زراعة مزدهرة تعتمد على مياه النهر الاصفر والقنوات التي شقت منه. والطريق ذومناظر ممتعة لغرابتها.

وكنت واقفًا اتأمل هذه الأرض من النافذة فمر بي احد موظفي القطار ورآني احدق فيها، فقال: هذه الأرض صحراوية ولكن ربما كان تحتها بترول.

الوقادات أو المساواة في الشقاء:

نادت الشيوعية بالمساواة وقامت مدعية ذلك ولقد نجحت في صورةمن صور المساواة هي مساواة الأغنياء بالفقراء وليس مساواة الفقراء بالأغنياء فهي أفقرت الأغنياء ولكنها لم تغن الفقراء.

صحيح أنه قد يكون من المريح لأنفس الفقراء أن يروا الذين كانوا اغنياء قد اصبحوا مثلهم فقراء فشعروا بالمساواة أو على الأقل عدم الغبن لحالتهم.

ذكرت ذلك عندما وقف القطار فقال الإخوة المرافقون إن المسئولين في القطار اخبروهم بأنه سيتوقف مدة ١٣ دقيقة وإنه يمكنكم أن تنزلوا إلى الأرض خلال تلك المدة ولم يكن القطار توقف منذ ساعة وخمسين دقيقة مدة مغادرتنا (لانجو) إلاوقفات قصيرة لاتتسع للنزول والصعود.

ونزلت إلى الأرض استجلي معالم هذه المحطة التي تسمى(دي جيا تاي) وتقع في منطقة صحراوية الطابع في واد فيه منجم فحم للفحم الحجري شأنه في ذلك شأن كثير من الأماكن في شمال الصين.

رأيت منظراً ذكرني بهذا العنوان الذي ذكرته وهو(الوقادات أوالمساواة بالشقاء) ذلك أني رأيت وقادات من النساء- جمع وقادة- وهي التي توقد الفحم في مرجل القطار فتزوده به ولقد رأيت واحدة منهن معها المجرفة وهي

واقفة على سطح المقدمة في القطارتغرف بالمجرفة من الفحم الحجري الذي هو معروف بثقله وهي لاتكاد تستطيع ذلك وتفرغ في المرجل وقد تلثمت اتقاء لغبار الفحم ولكن الفحم لا يرد غباره اللثام وقد غدت هي وملابسها في منظريرثى لها منه. وذكرت المساواة بالشقاء.

وذلك أن مساواة المرأة بالرجل في العمل شملت حتى هذه الأعمال الشاقة وهو وظيفة (وقاد) في قطار يسير بالبخار فقلت في نفسي ما أغنى المرأة عن هذه المساواة! وقد رأيت قطاراً للبضائع يحمل فحمًا من هذا المنجم ربما ليذهب إلى جنوب الصين.

صحراء حقيقية:

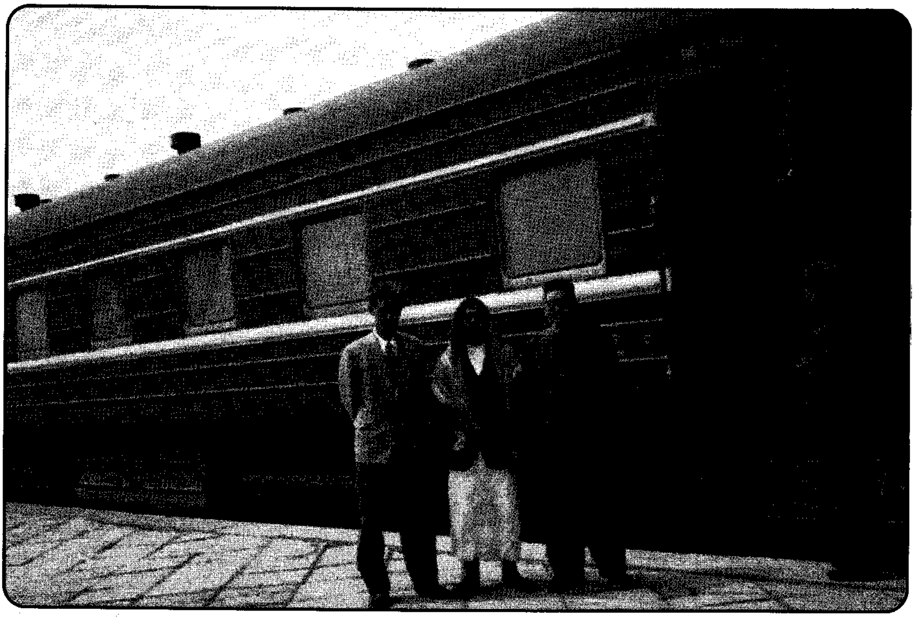
استأنف القطار سيره بعد انقضاء المدة المقررة للوقوف في صحراء حقيقية لاتختلف عن صحرائنا العربية بشيء من حيث وجه الأرض لامن حيث تكوينها لان هذه توجد فيها التلال الطينية الصلدة التي ذكرتها وقد أخذت تتباعد ويصغر حجمها كما لاحظت أن بعضها يكون طينه مختلطا بحجارة حمراء.

ولقد اصبح عدد القرى والمنازل قليلا في هذه الصحراء وكذلك الأراضي المزروعة وإن كانت هذه المنطقة الصحرواية يمربها النهر الاصفر فإن القطار يبتعد في بعض الأحيان عن مجرى النهر فتصبح الأرض صحراوية خالصة للصحراء.

ثم وقف القطار في محطة صحراوية بدون سكان رأيت فيه مقادير كثيرة من حجارة صلبة ربما كانوا أحضروها من أماكن بعيدة للبناء بالأسمنت المسلح لتكسيرها إلى حصباء للاسمنت وهذه المحطة لاتحاصرها التلال كأكثرالطريق التي قطعناها حتى الأن لأننا تجاوزنا منطقة التلال.

وقد تبين لي بعد ذلك أننالم نكن بعيدين عن مجرى النهر الأصفر فقد وقف القطار في محطة في بلدة زراعية وتتألف بيوتها من الطين بعكس أبنية المحطة

فهي مبنية من الآجر خلاف الأبنية السائدة هنا التي هي كلها من الطين، وقد امتدت مزارع هذه جنوبا لأنها الجهة التي يقع فيها مجرى النهر.



صورة تذكارية عند وقوف القطار في الطريق إلى ين تشوان

وعندما فارق القطار هذه المحطة اصبح يسير في أراض زراعية قريبة من مجرى النهر الأصفر و لكنها ليست واسعة لان المنطقة فيما عدا ما هو على مجرى النهر منطقة صحراوية حقيقية، وأكثر المزارع هنا هي مزارع القمح.

صحراء تانقوري:

استمر القطار في سيره المتوسط فلاهوبالسريع ولابالبطيء بل إنه يعتبر سريعًا بالنسبة إلى القطارات التي تسير بالبخار فمتوسط سيره هو ٥٢ كيلو متراً في الساعة.

ووصل في سيره إلى منطقة صحراوية رملية ذات لون رمادي في الأراضي المنبسطة وفي أطرافها كثبان رملية حمر إذا رأيتها لاتفرق بينها وبين المناطق الرملية في المملكة وليس فيها أي عودأخضر من أعشاب أو غيرها ماعدا شجيرات صحراوية تبدو كأنما احترقت من فعل البرد والثلوج في الشتاء أو من شمس حارة في فصل صيف جاف كان قبل ذلك.

وقد استمتعت برؤية هذه المناطق وكنت أكتب في بعض الأحيان على المائدة الصغيرة المعدة للكتابة ونحوها في مقصورتي بالقطار إلا أن الكتابة فيها صعوبة شديدة بسبب اهتزاز القطار.

وأما رفاقي في الوفد فإنهم قطعوا الوقت بروايات القصص والنوادر في مقصورة أخرى وأما المرافقون الصينيون للوفد فإنهم كانوا في مقصورة مجاورة أيضًا يقطعون الطريق الممل بالنسبة إليهم بلعب الشطرنج.

وفي الساعة الواحدة جاء القوم يدعون إلى تناول الغداء في مطعم القطار فوجدنا عربة طويلة قد نصبت فيها موائد منسقة نظيفة وهي كذلك بطبيعتها لأن هذا الجزء من القطار خاص بالدرجة الأولى ويركب فيه ضيوف الدولة والمسئولون الكبار فيها وكلهم ممن يستحقون أن يتناولوا طعامهم في مثل هذا المكان النظيف.

المأدبة الإسلامية:

كانت المفاجأة في مطعم القطار أن وجدنا جملة عربية مكتوبة بخط عربي جميل هي(المأدبة الإسلامية) ولما كان من غير المعقول أن تكتب في القطار هذا اليوم لمناسبة وجودنا لأنه ليس معنا من يحسن مثل هذا الخط من الصينيين فقد سألنا أهل القطار عنها فاخبرونا أن الذي كتبها هو احد أئمة المساجد في(بكين) وأنهم يحملونهامعهم في القطار حتى إذا كان معهم ضيوف مسلمون سواء أكانوا ضيوفا حقيقية أم كانوا من الركاب المعتادين ولكنهم من المسلمين الذين

يركبون في الدرجة الأولى فانهم يضعونها في مكانها من المائدة لتدل على أن الطعام الذي سيقدم على تلك المائدة هو من طعام المسلمين الذي يحل للمسلم أكله.



الوفد في مطعم القطار

وبالطبع فانهم يجنبون هذه المائدة أو الركن من المطعم كل ما هو محرم على المسلمين حتى لحم الحيوان الحلال إذا لم يكن ذبحه مسلم، وقد قدموا طعام الغداء صينيًا معتاداً ذا أنواع متعددة من الصحون أكثر مافيها الأعشاب والخضرات، وخادمات المطعم صينيات منتفخات الوجوه يظهر أنهن من جنوب الصين أومن وسطها.

في مقاطعه نن تشا:

استمر القطار في السير في هذه الأراضي الصحراوية وكنا نراقب ذلك أثناء الغداء.

ولفت نظرنا أحد المرافقين إلى أننا قد فارقنا أرض مقاطعة(كانسو) ودخلنا في اراضي مقاطعة(نن تشا) وهي المقاطعة التي نتجه إلى عاصمتها ولكننا لم نرحدوداً على الطريق ولامايدل على أننا انتقلنا من مقاطعة إلى مقاطعة والمقاطعة هنا تعني تقريبًا مايعنيه لفظ ولاية في الهند مثلا ولايكون ذلك مثل ولاية في الولايات المتحدة الأمريكية لأنها دولة اتحادية بمعنى أنها مؤلفة من ولايات متحدة أما الصين فإنها دولة موحدة بمعنى أنها مؤلفة من دولة واحدة ولكنها ذات نظام للمقاطعات يعطي لكل مقاطعة حكومة خاصة بها. ومجلسًا تمثيليا (برلمانا) محليًا أيضًا مع أن المجلس التمثيلي في المقاطعة مثله في ذلك مثل المجلس التمثيلي المركزي الذي هو لجميع الصين إنما هو مجلس لايمثل الشعب كله لأنه ليست هناك انتخابات عامة حرة وإنما الانتخابات لأعضاء الحزب الشيوعي أو المتحالفين معهم مثل الصين في ذلك مثل سائر الدول الشيوعية. وبعض تلك المقاطعات ذات حكم محلي كما يسمونها وإن كانت لا تستطيع أن تخرج عن الاطار السياسي الذي تنتهجه الحكومة المركزية في بكين.

وهناك فروق عدة بين المقاطعة التي غادرناها وهي(كانسو) وهذه التي نحن مقبلون عليها وهي(نن تشا).

فالأولى حكومتها صينية بمعنى إنها للصينيين غير المسلمين الذين يؤلفون الأكثرية الساحقة في الصين ويسمونهم(خان) والثانية حكومتها للمسلمين الذين هم من أصل صيني ويسمونهم(خوي) وذلك رغم كون المسلمين في هذه المقاطعة لايؤلفون الأغلبية وانما هم أقلية عددية بين الكفار من قومية (خان).

فرئيس الحكومة في مقاطعه(نن تشا) التي نحن مقبلون عليها هو الحاج حسين خي بي لي هو مسلم، ونائب رئيس الحكومة وهو الحاج(قدرة الله مايتنغ أي) مسلم أيضًا وقد سبق أن زارني في مكتبي في رابطة العالم الإسلامي في

مكة المكرمة عندما كان عضواً في بعثة الحج الصينية هذا العام، وكنا قد استضفنا بعثة الحج الصينية في موسم الحج جريا على العادة التي تسير عليها رابطة العالم الإسلامي بالنسبة إلى بعثات الحج من البلدان الشيوعية التي تكون قليلة العدد وإمكاناتها المالية محدودة لأن الحرية في التملك محدودة، ولأن الخروج بالعملة الصعبة ممنوع إذا استطاع الحاج ان يجد عملة صعبة في بلاده يشتريها.

وهناك أعمال للمسلمين في هذه المقاطعة التي نحن مقبلون عليها وهي(نن تشا) سيأتي الكلام عليها في محله.

ومع وجود الفروق الكبيرة من هذه الناحية بين المقاطعتين فان حدودهما تشترك بلافروق في كونها تقع في هذه الأرض الصحراوية الرملية التي لولاوجود النهر الأصفر فيها وإن كنا لا نبصر مجراه الآن ولاماعليه من مزارع لكانت صحراء ميتة لاتصلح للسكنى.

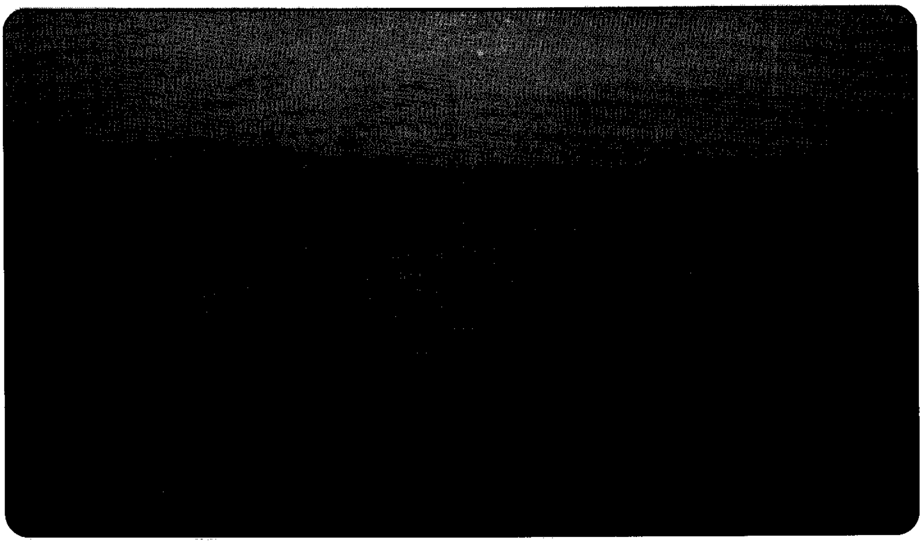
وأخبرنا الأخوة أن هذه الصحراء هي جزء من صحراء(تانقوري) المشهورة في الصين.

ولقد شئت أن أسميها تجاوزاً بدهناء الصين تشبيهًا لها بالدهناء في الجزيرة العربية التي هي رمال مطبقة ليس فيها عشب ولاشجر إلاأن صحراء(تانقوري) هذه دهناء الصين فيها في بعض المواضع أماكن يختلط فيها الطين أو الحصا الصغار بالرمل وإن كان ذلك على قلة، ولقد قلت لرفاق الوفد من السعوديين: ما قولكم فيما لو حمل أحد الأعراب الذين يسكنون في الدهناء أوأي صحراء رملية في بلادنا وانزل في هذه الأماكن هل يرى ما يستغربه هنا إذا كانت نقلته لها مفاجأة ولم يعلم في أي مكان ينزل؟ فأجابوا بالنفي.إلا أن أحد الرفاق قال متسائلا : أين الضَّبُّ ؟

فأجبته: إنه لايكون في الأراضي الرملية الرخوة لأنه يحتاج إلى أرض صلبة يحفر فيها جحره ويذهب به يمينًا وشمالاً في مجاهل يضلل بها من يحفره ليصيده كما أنه تكون في العادة عند جحره حصاة وهذا غير متيسر له في هذه الصحراء.

أما صبر الضب على البرد هنا فإن ذلك ما لاأعرفه ولكن أعرف أنه يكون في مناطق باردة في بلادنا العربية فيقضي فصل الشتاء كله في جحره لايخرج منه حتى ينقضي البرد ويظل دون أكل على ما تزعمه العامة من بني قومنا من أنه يأكل رجيعه وهو برازه. ولاشك في أن هذا تعليل غير صحيح لعدم خروجه للرعي وانما الصحيح أنه مثل الحية وأنواع من الأسماك والحشرات التي تستطيع أن توقف الحياة في أجسادها بمعنى أنها تتوقف عن الأكل والشرب مدة طويلة لأنها لاتكون في حياة كاملة معتادة تحتاج معها إلى الأكل والشرب اللازم لاستمرار الحركة وقد أعطاها الخالق ذلك﴿ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾.

تثبيت الرمال:



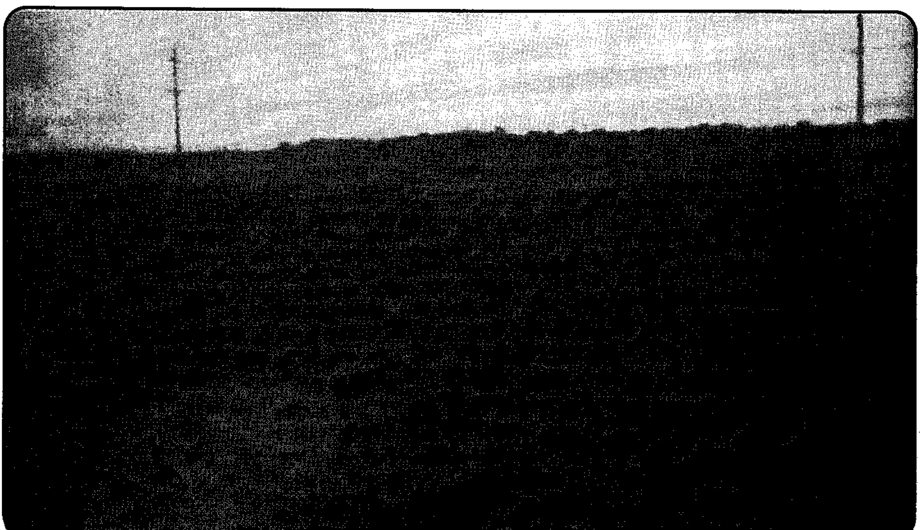
تثبيت الرمال

قال الأخ لقمان ماشان لي: سترى بعد قليل كيف نثبت الرمال المتحركة في صحراء الصين الرملية فربما يهمك هذا وربما يكون له مماثل في بلادكم. فقلت له إنني في شوق إلى رؤية كيفية ذلك.

ووصلنا المنطقة التي ثبتت فيها الرمال فإذا بي أرى ما أثارعجبي واستغرابي فلم أكن أتصور أن يبلغ عندهم تثبيت الرمال هذه المنزلة من الأهمية التي انفقوا فيها أموالا عظيمة وجهوداً مضنية ولم يشرح لي أحد من المرافقين السبب في ذلك.

لقد رأيتهم يثبتون الرمال عن طريق مربعات ضخمة من الخشب على هيئة ألواح فيها خروق متسعة تعترضها الواح مثلها حتى تؤلف مربعا أو شكل صليب ثم يسقفون ذلك بمايشبه الشبكة الواسعة الخروق من أعواد الشجر المصفوفة التي ربطوا بعضها ببعض بحبال قوية.

ثم يدفنون تلك في الرمل المتحرك الذي يوجد في هذه الصحراء على هيئة كثبان صغيرة من الرمال السافية الذهبية.

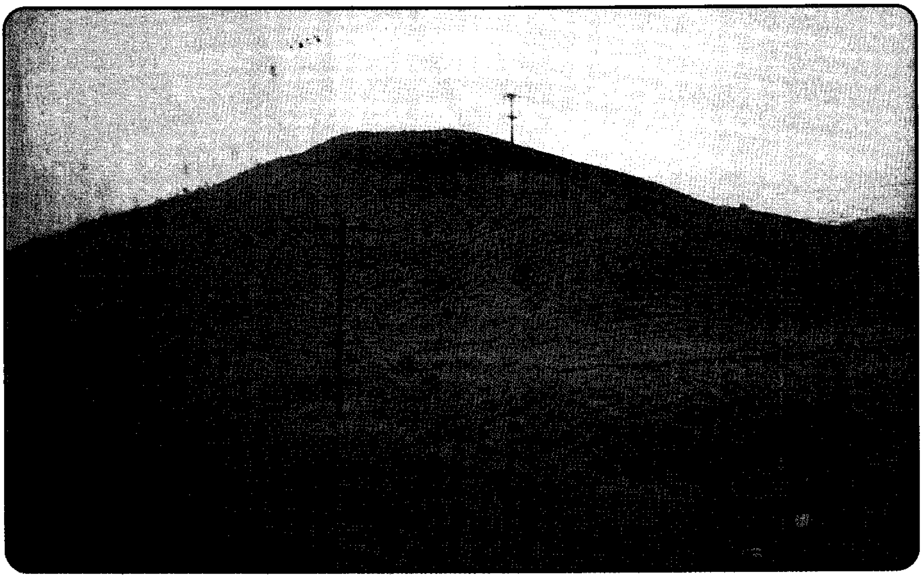


مكافحة زحف الرمال في الصين

وقد بدت رءوس هذه الأعواد المتشابكة أولنقل هذه الشباك الواسعة من خلال الرمال التي استطاعت تثبيتها بالفعل فأوقفت زحفها؛ لأنهم وضعوها وقديصح أن نقول: إنهم غرسوها في مساحات واسعة من الرمال وإنها لم تورق لأنهم يضعونها ميتة ولوأنها حية فإنها ستموت بلاشك من عطش الصحراء كما ماتت الأشياء النامية الأخرى فيها.

والذي أثار عجبي هو هذه الأهمية التي أعطوها لتثبيت الرمل في أرض صحراوية مع مايتطلبه ذلك من نفقات وجهود كثيرة.

وزال العجب عندما عرفت السبب - والسبب هو أن التثبيت لم يكن من أجل عدم انتقال الرمال السافية في أرض صحراوية طبيعتها أن تكون كذلك ولايمكن تغيير طبيعتها وإنما كان لأن الوادي الذي يجري فيه النهر الأصفر غير بعيد منا فهو لايبعد عن خط القطار هنا إلاقليلاً جهة الجنوب.



حتى الرمال المرتفعة يمكن إيقافها

وكان سفي الرمال يهدد مجرى الوادي بالطمر والاغلاق وانحباس طائفة من مياهه في هذه الصحراء الرملية وبالتالي يهدد استمرار إنسياب النهر إلى المقاطعات والأراضي التي تعتمد عليه في الري والزراعة بل والكهرباء.

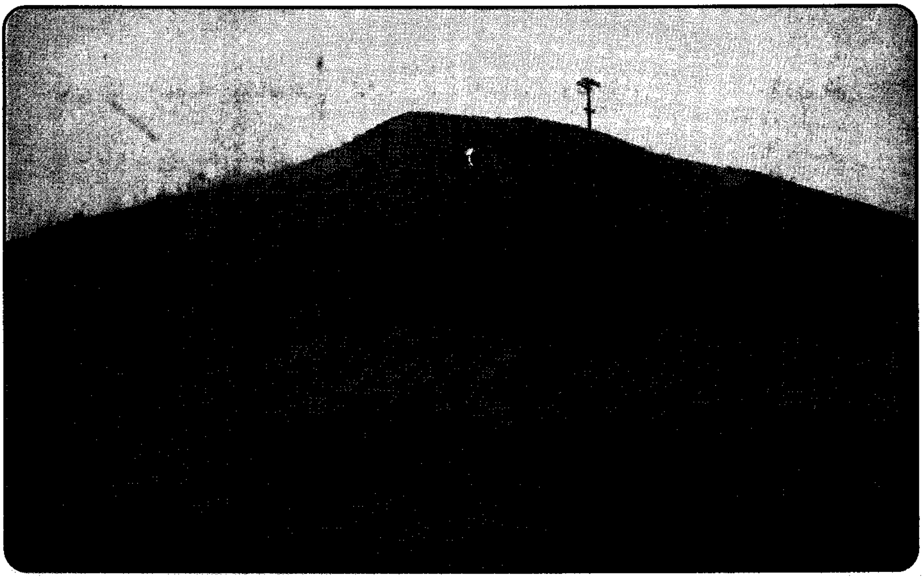
فكان كل جهد يبذل في وقف زحف الرمال ولوكان كبيرا يكون في محله وكان المال الذي ينفق على هذا العمل لم يذهب هباء.

وأمر آخر له أهميته وهو أن تثبيت الرمال هذا قد تم بمساعدة من الأمم المتحدة لجمهورية الصين الشعبية ليس ذلك من أجل أن الصينيين ليس عندهم خبرة أولا يجدون فكرة ينقذون بها أحد الواديين المشهورين الكبيرين، وهو النهر الأصفر من الإنغلاق والانحباس أوعلي الأقل الشح والنزارة في المياه ولكن الأمم المتحدة عندها الخبراء وعندها الشيء الأهم وهو المال الذي أنفقته على هذا المشروع.

وأما الخبراء فإنهم فيما ذكروا سبق لهم أن عالجوا تثبيت الرمال في أماكن أخرى من العالم ولقد كنت رأيت احد تلك الأماكن وهو في صحراء موريتانيا إلى الشرق من العاصمة(نواكشوط) حيث تهدد رمال سافية مماثلة طريقا ازفلتيًا هاما تكلف أهل موريتانيا جهوداً وأموالا اقترضوها لإقامته.

ولكن عمل الأمم المتحدة في رمال موريتانيا غيرعملها في رمال الصين فهنا في الصين العمل مثمر ومتقن وهناك في موريتانيا العكس فهم عملوا عملاً ربمايضحك منه من يعرف الرمال وطبيعتها فقد عملوها على هيئة ما نسميه -صرائف- جمع صريفة وهي غصون الأشجار أو جريد النخل يركز في الأرض على هيئة حوائط مستقيمة كالصفوف الطويلة المتباعدة غير المترابطة وقد

تحدتها رمال موريتانيا بالفعل فابتلعتها حتى رءوسها واستمرت في الزحف في الصحراء وتهديد الخط الأزفلتي الغالي.



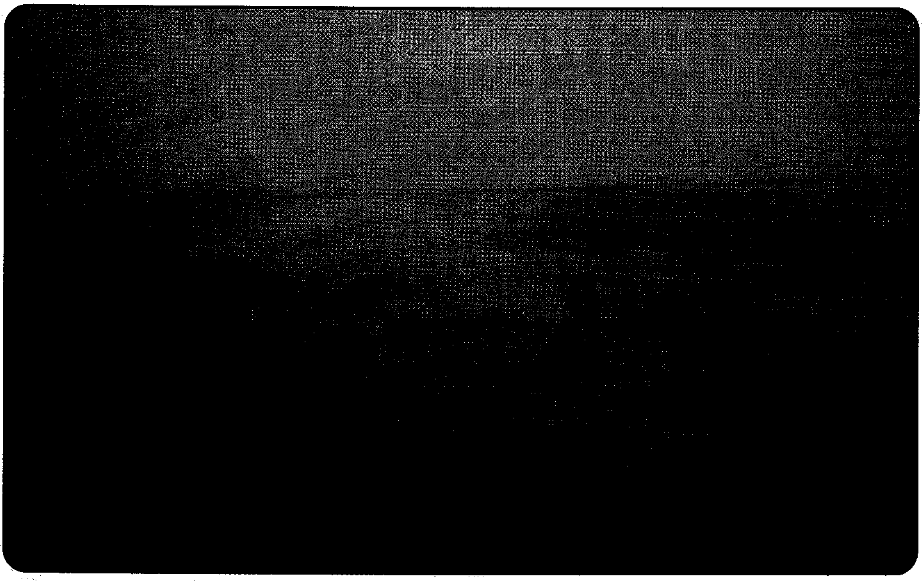
كيفية تثبيت الرمال

واستمر القطار يسير في هذه الصحراء وتكاثفت أدوات تثبيت الرمال التي صار منظرها على البعد يشبه منظر الشباك المنشورة على هذه الرمال أو منظرالحصر المفروشة عليها.

وصرنانرى واديًا عظيما على أيماننا فيه النهر في مجرى غائط عظيم الإنخفاض لاشك أن السبب في كونه كذلك أن هذه الأرض هي تربة سهلة غير صلبة وقد حفر النهر واديه العميق هذا على مدى الدهور.

ومع ذلك كان يختفي الوادي في بعض الأحيان لأن خط القطار يبتعد عنه قليلاً.

ولقد حاولت أن ألتقط صوراً لهذا الوادي العميق الذي يغص بالخضرة في هذه الصحراء الرملية القاحلة التي يصح أن تسمى كما قد مت(دهناء الصين) ولك أن تتصور غرابة ذلك في نفسي إذا تصورت أنه قد وجد نهر زاخر بالمياه



النهر الأصفر في الصحراء تصوير المؤلف من نافذة القطار وهو يسير

في منطقة الدهناء في شرق المملكة العربية السعودية إلا أن الصور التي التقطتها لم تكن واضحة لسببين أولهماعدم انسياب القطار في السير فهو يهتزاً اهتزازاً طبيعيًا أو أكثر من المعتاد في بعض الأحيان، وثانيها أن نوافذ القطار بقيت مغلقة، لئلا يدخل معها غبار الصحراء وبخار القطار وبخاصة أننا في منتصف هذا النهار الصحراوي وقد نشطت الرياح كما يكون الحال عليه في منتصف الأيام الدفيئة والحارة في الصحراء في العادة في غير فصل الشتاء.

في وادي الدهناء

لاأدري لم أجد محببا إليّ وصف هذه الأرض الصحراوية بالدهناء ووصف وادي النهر الأصفر فيها بوادي الدهناء. ولذلك كتبت هذا العنوان عندما انحدر

القطار بنا من هذه الأرض الصحراوية الخالية تماما من النبات حتى استقر في وادي النهر الأصفر وهو وادٍ أخضر غير متسع بل يعتبر بمثابة الشريط الضيق في الصحراء ولكنه أخذ في الاتساع كلما أمعن القطار السير فيه حتى صار القطار يماشي قناة قد سحبوها من النهر الأصفر سارت مشرقة مثل سير القطار وقد بنيت عليها قرية زراعية ذات بيوت طينية جيدة المظهر .

بلدة شنغ وي:

وفي الساعة الثانية والثلث وقف القطار في محطة تسمى(شنغ وي) على اسم البلدة التي تقع فيها ، وهي محطة جيدة مبنية بالآجرعلى حين أن أكثر بيوت البلدة مبنيه من الطين ماعداقسمًا صغيراً حديثا فيها فهومبني من الآجر المقوي بالأسمنت..



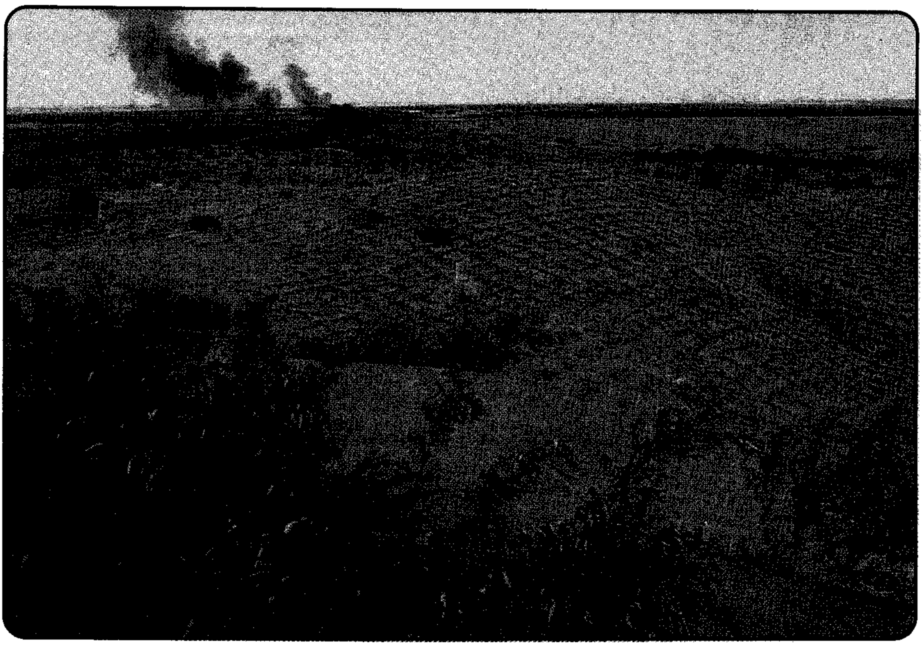
في محطة تشنغ وي

وفسر الإخوة المرافقون معنى اسمها(شنغ وي) بأنه حامية الوسط. فشنغ في الصين حامي أو حامية و(وي): وسط .

وقد غرسوا في المحطة أشجاراً بطريقة منظمة فنمت وأعطتها منظراً جميلاً.

ولم يكدر علينا الاستمتاع باستجلاء هذه المنطقة إلاقدوم قطار من اتجاه معاكس ومداخنه تنفث دخانا من دخان الفحم أظلم به الجو وكاديكتم الانفاس.

وسارالقطار في حوض النهر الأصفر هذا في منطقة زراعية تنتشر فيها البيوت الطينية التي تشبه البيوت الطينية في بلادنا في القديم.



القطار يعبر المنطقة التي ثبتت فيها الرمال

الاستقبال المبكر:

قبل ساعة من وصولنا إلى مدينة(نن تشا) التي نقصدها وقف القطار في إحدى المحطات فصعد إليه أخوان من الأخوة المسلمين أرسلهما المسلمون في(نن تشا) لمقابلة الوفد قبل الوصول إلى المدينة.

وهما الأخ الحاج(يوسف ليو جونغ لو) نائب رئيس الجمعية الإسلامية في مقاطعة(نن تشا) والأخ(محمد فضيل يي تشن فا) نائب رئيس الجمعية الإسلامية أيضًا وهم في الصين يكثرون من نواب الرئيس في أكثر الدوائر حتى في رئاسة الوزارة.

وذكرا أنه قد بقي على الوصول إلى مدينة(ين تشوان) التي نقصدها مسافة خمسين كيلو متراً.

وبعد أن سرنا من هذه المحطة عشرة كيلات أصبحت الأرض الخارجة عن الوادي صحراء قاحلة جدا أكثر جفافا من صحرائنا العربية وهبت فيها عاصفة رملية مؤذية صحبها قتام غامت معه الشمس دون غيم.

في محطة ين تشوان:

و(ين تشوان) هي المدينة التي نقصدها وهي عاصمة مقاطعة(نن تشا) كما تقدم.

وقبل الوصول إلى محطة القطار فيها كان المنظر ريفيًا أخضر بعد المنظر الصحراوي الجاف إلا أن الجو لايزال مغبراً.

ووجدنا الاستقبال العظيم في المحطة من مظاهر زينة لاتصنع إلا لاستقبال الرؤساء والملوك ومصورو التلفزة الرسميون الذين كانوا يسجلون كل حركة من حركات وصول الوفد.. وقد تجمهر جماعة من الاخوة المسلمين عند القطار ولكن بنظام وعلى رأسهم الأخ(قدرة الله مايتنغ آي) نائب رئيس الوزراء في حكومة المقاطعة.

والشيخ محمد إسماعيل مولي لان رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة نن تشا.

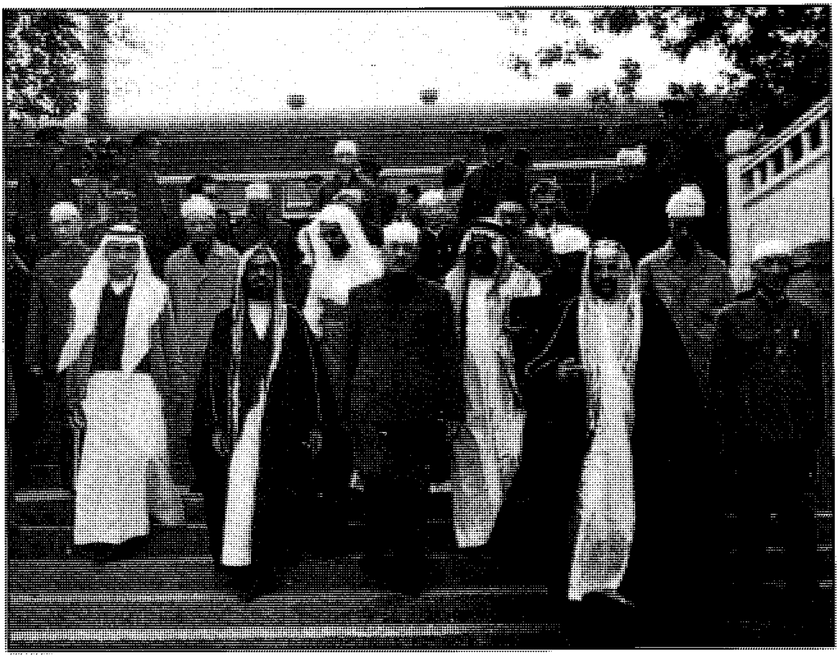


الأخ قدرة الله نائب رئيس الحكومة في الاستقبال في محطة القطار في ين تشوان
على يمينه الأخ لقمان المترجم فالمؤلف فالاستاذ (محمد شاه حبيب الله) عضو وفد الرابطة

والشيخ سليمان او كو جونغ رئيس الجمعية الإسلامية لمدينة ين تشوان عاصمة المقاطعة والحاج نور الدين منغ ري لين مدير الشئون الدينية في حكومة المقاطعة. والسيد جيونغ جي نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمدينة ين تشوان. وآخرون غيرهم يطول الكلام بذكرهم كلهم.

فكان استقبال هؤلاء الأخوة لاخوانهم في الوفد حافلا بل هائلاً لم نتوقع بعضه وليس ذلك من ناحية عدد المستقبلين فهو ليس بالكثرة المفرطة وإنما لكون الاستقبال رسميا شارك فيه المسئولون من المسلمين في الحكومة ونظمته الشرطة الحكومية وصورته أجهزة الإعلام الرسمية وإن لم يكن ذلك مقتصراً عليها بل شارك في تصويره مصورون صحفيون وغيرهم من غير الرسميين ولا غرو في

ذلك لان الحكومة رسميا واسميا هي حكومة للمسلمين في هذه المقاطعة بخلاف مقاطعة كانسو.



عند الوصول في محطة القطار في نن تشوان
وقدرة الله مايتنغ نائب رئيس الوزراء

وبعد ذلك كان انتقال الوفد بموكب رسمي تتقدمه سيارةعسكرية وتتبعه عدة سيارات رسمية وركب معي في السيارة الرسمية المخصصة لرئيس الوفد الأخ(قدرة الله مايتنغ آي) فانطلق الموكب قاصداً فندق الضيافة المسمى(فندق نن تشا) على اسم المقاطعة ويقع الفندق في وسط المدينة ونلاحظ أن الناس هنا يرتدون ملابس زاهية ذوات ألوان أكثر اختلافًا وإن لم تخرج عن الطابع العام للملابس الصينية المستعملة في الصين كلها في الوقت الحاضر.

وخيل إليّ أن وجوه الناس هنا أكثر إشراقا وأنهم ينالون غذاء أوفر وأكمل مما يناله سكان مقاطعة (كانسو) التي تركناها في هذا الصباح ومقاطعة (سينكيانغ) التي غادرناها قبل أيام أوهذا هو ما انطبع في ذهني عند النظرة الأولى إلى أهل هذه المدينة.

في مدينة ين تشوان:



المؤلف في دار الضيافة في نن تشا يصافح العلماء

وجدنا في ساحة الفندق حشداً كبيراً من الأخوة المسلمين من أهل المقاطعة وفيهم بعض طلبة العلم بملابسهم السود المميزة وعمائمهم البيض ذوات الذوائب المرخاة خلف العنق. ومعهم أيضا شخصان مسلمان كبيران قدما من بكين العاصمة للاجتماع بالوفد فقطعا لهذا الغرض ألفا وخمسمائة كيلو متر بقطارهم البطيء هذا وهما الشيخ(الياس شن شيا شي) النائب الأول لرئيس الجمعية الإسلامية الصينية المركزية والشيخ(عيسى محمود كنغ تاي) مدير العلاقات الخارجية بالجمعية.

وكان استقبال الوفد عند وصوله الفندق رسميا حافلاً سجله مصورو التلفزة والصحافة وكان مشهوداً يكاد يفوق الاستقبال الرسمي في محطة القطار.

ثم انزلونا في غرف جيدة في فندق قد رمموه حديثًا وجددوا أثاثه ورياشه فأخلدنا إلى راحة قصيرة بعد تعب القطار الذي استمر تسع ساعات.

مسجد الفندق:

عندما كنا ننزل في الغرف لفتوا انظارنا إلى محل خاص مكتوب عليه بعربية بارزة وبخط جميل كلمة(مصلى).

وقد تساءلنا فيما بيننا عما إذا كان هذا المصلى قد أعد لمناسبة زيارة الوفد ام انه قديم في الفندق قد أعدوه ليؤدي فيه الصلاة من ينزلون في الفندق من المسلمين لأن الحكومة هنا تكاد تعتبر حكومة للمسلمين، وقد وصلنا إلى الاعتقاد بأنه ليس من أجل الوفد لأنه قاعة واسعة مفروشة بسجاد خاص فاخر يكاد يكون قد فصل لها تفصيلا وفي مقدمته محراب من الخشب الفاخر المحفور الغالي الثمن الذي يصعب إحضاره لمناسبة واحدة وقد كتبوا فوقه الشهادتين بخط عربي جميل.

وهذا من الفروق بين هذا الفندق وفندق الضيافة في (لانجو) وبينهما فروق كبيرة كلها في صالح فندق(نن تشا) هذا عند المقارنة ما بين الفندقين.

ووجدناهم وضعوا في الغرف الشاي الصيني، وأوعية الماء الحار كالمعتاد ولكنهم هنا زادواعلى ذلك بأن وضعوا الفاكهة والحلوى وعصيرا من عصير البرتقال الذي تنتجه هذه المقاطعة ويعصرونه طبيعيًا غير مغير.

حفلة الجمعية الإسلامية:

لم يطل بنا وقت الراحة لأن موعد حفلة العشاء التي ستقيمها الجمعية الإسلامية في مقاطعة(نن تشا) هذه قد أزف وقد غربت الشمس منذ فترة.

وقد كانت الحفلة في قاعة في الفندق حضرها نائب رئيس الحكومة وعددمن زعماء المسلمين وأعضاء البرلمان المحلي، وبدأت بكلمة من رئيس الجمعية

الإسلامية في المقاطعه الأخ(محمد إسماعيل موبي) صورها مصوروا التلفزة الرسميون وكانوا يكثرون من الصور إلى درجة لا أجد لها مبرراً في نظري وكانت كلمة رئيس الجمعية باللغة الصينية.

وقد رددت عليه بكلمة مناسبة حمدت الله سبحانه وتعالى في بدايتها على أن قدر هذا الاجتماع ويسره باخواننا المسلمين في مقاطعة(نن تشا) ثم شكرت الإخوة المسلمين هنا وعلى رأسهم الأخ قدرة الله مايتنغ اي نائب رئيس الحكومة والأخ رئيس الجمعية الإسلامية في المقاطعة واخبرتهم بمهمة الوفد الذي أرأسه وبأنه وفد من رابطة العالم الإسلامي التي مقرهامكة المكرمة جاء إلى هذه البلاد في مهمة إسلامية خالصة لله وفي الله وإننا سوف نبحث معكم الأمور المتعلقة بالتعاون على البر والتقوى مثل المساعدة على إعمار المساجد وتسهيل اداء فريضة الحج لمن يستطيعون إليه سبيلا من مسلمي هذه البلاد.

ثم انتقل الجميع إلى موائد الطعام في الفندق الذي يقع في جهة منه بعيدة نوعًا ما عن مكان الاجتماع هذا.

وكان عشاء(متلفزاً) أي مصوراً للتلفزة وللصحف.

وكانت المائدة حافلة تدل على السخاء العظيم الذي تأكدنا منه بعد ذلك في هذه المقاطعة التي يحكمها المسلمون كما كان عليه السخاء بالطعام في المقاطعة التي يحكمها المسلمون ولو في الأمور البسيطة في سنيكيانغ (تركستان الشرقية).

ومن الحق أن نقول:إن هذه الإشادة بكرم الأخوة المسلمين في الصين لاينبغي أن نؤخذ على أن ضيافة الصينيين من غير المسلمين كان فيها قصور في الضيافة أو حتى عدم سخاء فيها حاشا وكلا ولكن موائد الإخوة المسلمين هي أسخى وأوفر على وفرة موائد الصينيين الآخرين.

ومما يستحق التنويه به هنا أن مأدبة الليلة فيها كل اللحوم المعروفة التي يأكلها المسلمون من لحم البقر إلى لحم الغنم إلى الدجاج والبط والأسماك التي هي أكثر من نوع.

والأشربة ثلاثة أنواع توالي عاملات المائدة ملأ أكوابها باستمرار وعلى ذكر العاملات فقد أخبرونا أنهن من المسلمات وقد كان لفت نظري أن على وجوههن إشراقًا لم أدرسببه حتى أخبروني أنهن مسلمات .

مناظر من المقاطعة:

بعد انتهاء مأدبة العشاء انتقلنا إلى قاعة أخرى في الفندق لأن الفقرة الثانية في البرنامج تشتمل على عرض متلفزٍ مسجل لمناظر واحداث ذات اهمية فيها وذلك من أشرطة خاصة عندهم.

فكان الشريط الأول مناظر للصحراء القاحلة ذات الرمال السافية ولكيفية تثبيت الرمال التي رأيناها ونحن في القطار، وكيف أن تثبيت الرمال قد اعطى النتيجة المتوقعة منه فأوقف زحف الرمال بل إن بعض الأراضي الرملية التي كانت رمالها خطراً على ماحولها من المزارع قد استصلحت بمعونة من الأمم المتحدة فصارت أراضي زراعية منتجة ولكن ذلك لم يكن إلابعد جهود مضنية كان من نتيجتها استصلاح أراض محدودة.

ولم يكن عملهم لقلة الأرض الصالحة للزراعة في المقاطعة وابتغائهم ارضًا زراعية جديدة ولكنهم فعلوا ذلك ابتغاء وقف الرمال ودرء خطرها عن مجاري المياه و الأراضي المزروعة الخصبة.

وقد رأينا في التلفاز كيف يقطعون اغصان الأشجار ويربطون بعضها ببعض في حبال مفتولة ثم يغرزونها في الرمال ويربطون بعضها ببعض أيضًا على هيئة مربعات حتى تصبح متماسكة لاتزحزحها الرمال ثم صوروا المتاعب التي

واجهتهم وهم يشقون قناة يجلبون بها مياه النهر الأصفر إلى هذه الأراضي الرملية المستصلحة.

أرأيت أن (دهناء الصين) أحسن حظًا من (دهناء العرب) التي ضرب العرب أنفسهم بها المثل في الظمأ من قلة الماء؟!

وعندما انقضى عرض هذا الشريط الذي يبين الأراضي الصحراوية الجديدة في المقاطعة التي يجري فيها النهر الأصفر عرضوا (شريطًا) آخر لمناظر من قسم جبلي فيها خصيب لأن فيه واديا يجري فيه نهر آخر يسمونه النهر الأسود وهو صغير و ينبغي أن يلاحظ السبب في نعت الأنهار بالألوان هنا.

وكان الشريط الذي تلا ذلك جميلا شائقا إذ مثل أحوالاً من أحوال المسلمين المختلفة في هذه المقاطعة من الرياضة التي يتميز بها المسلمون من دون غيرهم وتشبه أكثر ماتشبه حركات المبارزة بالسيوف وإن لم تكن هناك سيوف وفي أخرها يسير المتدرب على رجل واحدة وقد رفع الرجل الثانية ومدها مداً شديداً أفقيا معتدلا.

وقال لي الأخوة المرافقون عندما رأينا هذه الرياضة في مناسبة أخرى في التلفاز: إنها رياضة معروفة في الصين وانهم قد أخذوها من المسلمين في هذه المنطقة الذين لايزالون يسعون في تحسينها وتطويرها إلى الأفضل.

ومن المناظر الشيقة منظر زواج للمسلمين بما صحب ذلك من عادات وتقاليد ومن ذلك أنواع الأطعمة ومنها الكعك الذي تصنعه نساء المسلمين لمثل هذه المناسبة وانتقال الزوجة العروس إلى قرية زوجها على عربة يجرها حصان يرافقها أخواتها الصغار ووالدها.

وذلك في مناظر نفيسة لاتتيسر رؤيتها كثيراً.

وانتهى ذلك في حوالي الحادية عشرة ليلاً.

وذهبت إلى الفراش وانا أفكر في هذه الحفاوة العظيمة التي نشعر أنها صادرة من القلوب في هذه المدينة ولاشك في أن السبب في ذلك هو أن إخوتنا المسلمين كانوا يكرموننا لله وفي الله، وفي أن وجود رجل من أبناء المسلمين على رأس الحكومة فيها هو سبب رئيسي في زيادة الإكرام ومظاهر الاحترام.

يوم الثلاثاء ١٤٠٤/٧/٣٠هـ ١ مايو ١٩٨٤م:

أذان الفجر:

كان صوت المؤذن يجلجل في هذا الفندق الذي لايجلجل في أمثاله صوت المؤذن في العادة حتى في بلدان المسلمين، وقالوا إن هذا المؤذن خاص لمسجد الفندق ثم جاء الإمام فصلى الفجر إذ هو والمؤذن قد عينوا هنا من أجل وجود الوفد في الفندق لأننا قد نزل معنا عدد من الأخوة المسلمين في الفندق من أهل بكين وغيرهم.

وقد رأيت حفاوتهم بالمسجد كبيرة ومن ذلك أنهم جعلوا مكتبة صغيرة فيها كتب دينية من عربية وصينية ملحقة بهذا المسجد.

وكان هذا المسجد الذي هو حقيقة مصلى مع مافي الفندق من عناية ورعاية وما قابلونا به من حفاوة وتكريم باعثًا للسرور مع أن السرور العظيم كان لما وجدنا عليه اخوة لنا مسلمين في هذه المقاطعة النائية لم نكن نظن أنهم يكونون بهذه المثابة من العناية بأمور دينهم و من المكانة بين بني قومهم من أهل الصين.

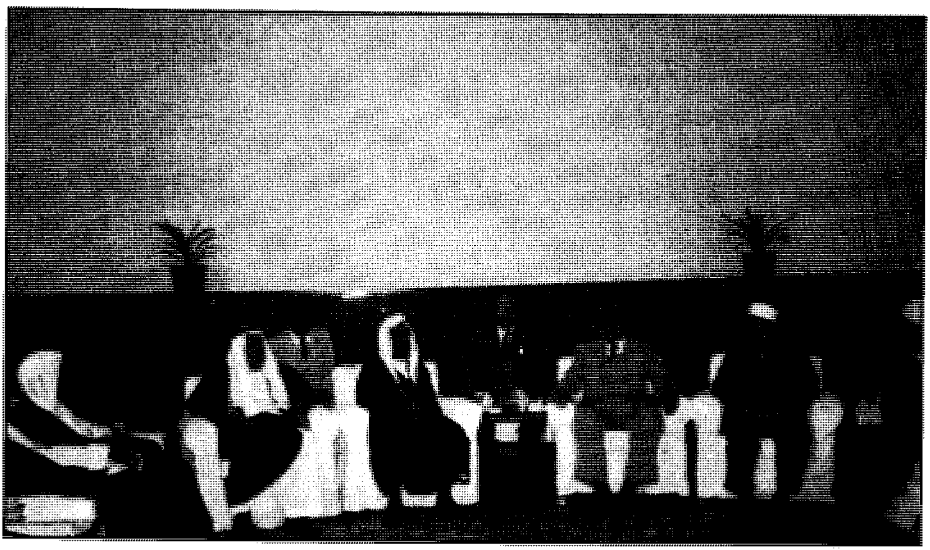
وعندما حان موعد الإفطار المبكر على العادة ذهبنا إليه في مطعم الفندق فلاحظنا عليه لافتة مكتوبة بالعربية وبخط جميل أيضًا (المطعم الإسلامي)

ولاندري أوضعت من أجل زيارة الوفد أم كانت موجودة قبل وجوده والأخير هو الظاهر.

ولمناسبة الحديث عن الطعام والعناية بالمظاهر الإسلامية هنا قال لنا الأخ (قدره الله مايتنغ أي)نائب رئيس حكومة المقاطعة: إن حكومتنا الشعبية ستفتح مطعمًا إسلاميًا في مدينة بكين العاصمة نديره ونشرف عليه حتى نوفر فيه طعامًا إسلاميًا إضافيًا نظيفًا ذا نكهة خاصة وهو مايفضله حتى كثير من السكان غير المسلمين لأن مطاعم المسلمين لايقتصر الدخول إليها على المسلمين وحدهم بل هي مطاعم عامة ولواقتصر الدخول إليها على المسلمين لما كثرت وازدهرت بحيث أصبحت على ما هي عليه الآن من الكثرة والانتشار.

اللقاء برئيس الحكومة والمسئولين المسلمين:

كانت الفقرة الأولى في برنامج هذا اليوم هي اللقاء برئيس حكومة المقاطعة الأخ الحاج(حسين خي بي لي) وغيره من زعماء المسلمين من الرسميين والموظفين الكبار.



الحاج حسين خي بي لي رئيس الوزراء في قاعة فندق ين تشوان على يمينه المؤلف فالاستاذ محمد شاه حبيب الله عضو الوفد فالشيخ عبد الرحمن المنيعي وعلى يساره الحاج إلياس

وكان اللقاء في قاعة ملحقة بالفندق حيث وجدنا رئيس الحكومة ومن معه من كبار المسئولين من المسلمين قد سبقونا إلى القاعة.

فكان الاستقبال الحار الذي كان من مظاهره العناق مابين رئيس الحكومة وإياى وذلك أن رئيس الحكومة كان قدحج في عام ١٩٦٤م.

ورغم كونه يتقلد منصب رئيس الحكومة الشعبية لهذه المقاطعة التي هي إحدى مقاطعات جمهورية الصين الشعبية التي تدين بالمذهب الشيوعي فإنه فيما بلغني رجل مسلم متمسك بأداء فرائض الدين ومنصبه حسب الاصطلاح الذي سارت عليه الحكومة الصينية لابد من أن يتقلده مسلم لأن هذه المقاطعة ذات حكم ذاتي ومخصص للمسلمين من قومية (خوي) كما تقدم.

وقد بدأ اللقاء هذا بمقابلة رجال الحكومة في القاعة المجاورة للفندق وهم:

الحاج حسين خي بي لي رئيس حكومة مقاطعة نن تشا المتمتعة بالحكم الذاتي

السيد محمد علي ماشى ين رئيس مجلس النواب في المقاطعة.

السيد عبدهماينغ لان نائب رئيس حكومة مقاطعة نن تشا.

السيد جمال ماسى جونغ نائب رئيس حكومة مقاطعة نن تشا.

السيد إسحاق ماجودو نائب رئيس حكومة مقاطعة نن تشا.

السيد مالك بن حسين نائب رئيس المجلس الاستشاري للمقاطعة.

السيد حسين تنغ خين مدير الشئون الخارجية لمقاطعة نن تشا.

السيد يوسف مافي لو رئيس لجنة شئون القوميات في حكومة المقاطعة.

الحاج نور منغ وي لين مدير الشئون الدينية لمقاطعة نن تشا.

الحاج قدرة الله مايتنغ آي نائب رئيس حكومة مقاطعة نن تشا.

السيد خير نغ شو نائب رئيس الإدارة الدينية لمقاطعة نن تشا.

وقد حضر هذه المقابلة كل من..

الحاج الياس شين شيا شي نائب رئيس الجمعية الإسلامية الصينية المركزية في بكين، والشيخ محمد إسماعيل مولي لان رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة نن تشا والشيخ سليمان اولوجونغ رئيس الجمعية الإسلامية لمدينة ين تشوان وقد ألقى معالي الحاج حسين خي بي لي رئيس الحكومة كلمة قال فيها: إن مقاطعة نن تشا لقومية خوى الإسلامية المتمتعة بالحكم الذاتي تأسست عام ١٩٠٨ وكانت متأخرة قبل التحرير ومع أنها تضررت ابان الثورة الثقافية في الصين إلاانها بدأت تتقدم تقدمًا ملموسًا في المجالات الصناعية والعمرانية والثقافية ثم شكر الرابطة على اهتمامها بالمسلمين ودعا إلى أن تقوم الرابطة أيضًا بدور الوسيط في توثيق العلاقة بين الدولتين.

وقد حج الحاج حسين خي بي لي في عام ١٩٦٤ ووجهت له دعوة من رابطة العالم الإسلامي لاداء مناسك العمرة في غير أيام الحج لكي تتاح له الفرصة لمشاهدة معالم الحضارة والتقدم في المملكة العربية السعودية .

وقد أجبته بالشكر على الترحيب الحار الذي لقيه الوفد كما أشدت بحسن العلاقة الأخوية بين الجمعية الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي التي تقرب الصلات الأخوية بين مسلمي الصين والمسلمين في العالم وأن الرابطة تؤدي واجبها الإسلامي سواء بالمساعدة على تنفيذ المشروعات الإسلامية أو بالاستضافة لبعثة الحج في مواسم الحج من كل عام.

انتهى هذا اللقاء الودي الذي كان مفيداً لي و كان مبعث سرور مضاعف لأنه غير متوقع و لما وجدته عليه هو ومن معه من تمسك بالشخصية الإسلامية

وحرص على عدم الذوبان في هذا المجتمع الكافر، بل إنني رأيتهم الآن وفي ظل هذه الحكومة الشيوعية التي يسمونها شعبية لأنها لم تقيد حرية المسلمين في تعمير المساجد، بل وبناء مساجد جديدة لم يكتفوا بالمحافظة على رأس المال وإنما يحاولون أن يحسنوا من وضعهم في الناحية الدينية وذلك له أثر هام على الدعوه الى الإسلام في أوساط الكفار كما هو معروف.

وفي نهاية اللقاء نهض رئيس الحكومة وقدم لي ولأعضاء الوفد هدية مماتنتجه هذه البلاد وهي زهريات جميلة أي حاملات زهور كتب على بعضها الشهادتان كما أهدى إلينا حبوبًا مشهورة في الصين بتجديد الشباب أو كما يقولون بترميم الجسم ضد الشيخوخة لأن أهم عملها في الجسم ترميم الأعصاب التالفة والمساعدة على إسالة الدم في العروق وهي مشهورة في جميع أنحاء الصين.



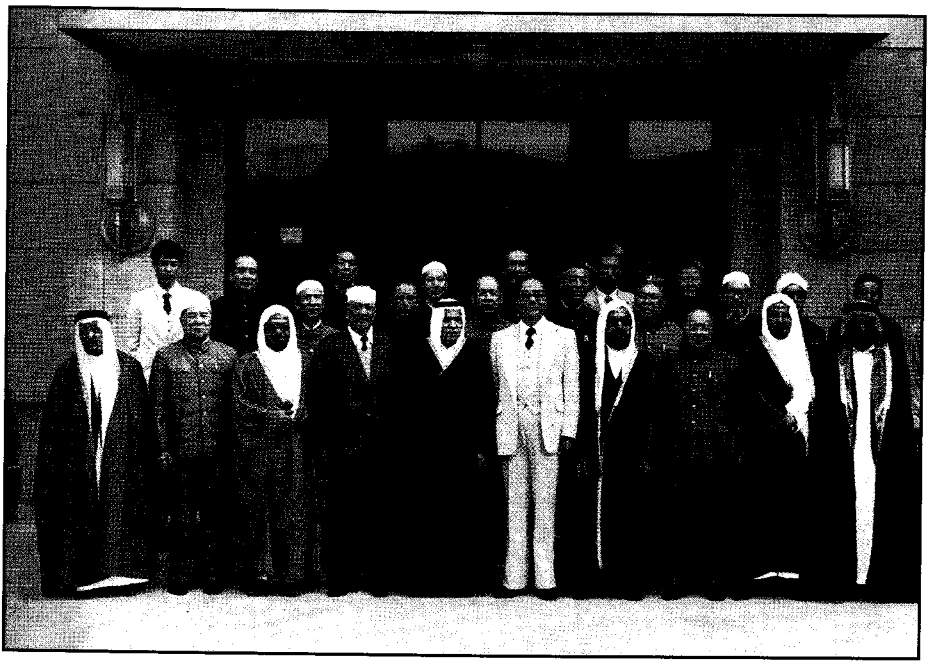
الحاج حسين يقدم الهدايا لأعضاء وفد الرابطة

وهذه الحبوب التي أعطانا إياها هي من إنتاج هذه المقاطعة التي تصدرها إلى كافة أنحاء الصين وإلى الخارج واقرب وصف اليها هو(حب الصنوبر)

واسمها (لى سي ي) وطريقة استعمالها أن تؤكل بمعدل خمس حبات في اليوم مع إحدى السوائل مثل الشوربة أو الشاي أو حتى الماء.

ويقولون: إنه لايجوز أن يتناول المرء منها أكثر من ذلك لأنه إذا تناول عشرين حبة منها مثلا في اليوم فإن ذلك يسبب له النزيف في الأنف وبالتالي فقدان جزء من دمه. وهي واحدة من الأدوية الصينية المتعددة التي تعتمد على الأعشاب والأدوية الطبيعية من دون أن تمسها معامل الأدوية الصناعية أو تدخلها المواد الكيماوية.

وقدمت له هدية هي مقادير من تمر المدينة المنورة معلبة في علب جيدة وساعة يدوية مناسبة.



صورة تذكارية لوفد الرابطة أمام باب الفندق في ين تشوان
مع رئيس الحكومة الحاج حسين خي بي لي وقدرة الله ما يتنغ
ومحمد علي ما تشي رئيس البرلمان في المقاطعة

جولة على المساجد:

قدمت القول بأن لرؤية المساجد في البلاد التي يحكمها نظام شيوعي أهمية عظيمة لأن المبدأ الشيوعي يقوم على الإلحاد وبالتالي لايطمئن بل لايسمح بعمارة دور العبادة سواء بالمصلين المتعبدين أو بعمارتها بتشييدها وإصلاحها.

غير أن شيوعية الصين كانت في باديء الأمر تزعم أنها شعبية تتآخى مع جميع الذين يتحالفون معها ضد الاستغلال والاستعباد -على حذعمهم-ولذلك تآلفت في أول الأمر مع هيئات واتجاهات غير شيوعية وسمت نفسها لهذا السبب جمهورية الصين الشعبية.

ومن الأشياء التي تعاقدت الحكومة الصينية الشيوعية مع غير الشيوعيين عليها حرية العقيدة وعدم التدخل في الشئون الدينية .

وكان هذا هو السائد في أول الأمر غير أنه بعد فترة طويلة أحسَّ فيها قائد الثورة الشيوعية في الصين(ماو تسي تونغ) أن العقيدة الشيوعية بدأت تفتر ،بل بدأ الشعب يتململ تحت وطأتها وينشد الخلاص منها فأجج ماسماه بالثورة الثقافية والحقيقةأنها الفورة الفكرية الشيوعية الصرفة وحرض الشباب والأحداث على كل ما هو قديم ولو كان أصيلاً فحرقت الكتب والمطبوعات العربية وخربت المعابد والمساجد وصودرت الحريات وزج بالعديد من أئمة المساجد في السجون حتى إنه لم يبق في مدينة بكين العاصمة الإمسجد واحد هو الذي ظل مفتوحًا لكي يؤدي السفراء والممثلون للبلاد الإسلامية والوفود الرسمية الصلاة فيه. وقيل لنا: إنه حتى ترك هذا المسجد الوحيد في بكين من الاغلاق أوالتخريب كان بناء على تدخل من رئيس الوزراء السابق(شوان لاي) الذي كانت له صلات قوية بعدد من زعماء العالم من أظهرهم الرئيس عبد الناصر وحتى الملك فيصل- رحمه الله تعالى- فقد كان اجتمع به إبان المؤتمر الآسيوي الأفريقي في باندونج وهو يعرف مدى تأثير هذه الأعمال في نفوس المسلمين. ثم جرى ما جرى من ثورة الشعب الصيني على عصابة الأربعة التي كانت مساعدة للزعيم(ماو) على تأجيج الثورة الثقافية وتخريب البلاد

فاستفاد المسلمون من ذلك مثل غيرهم وأعيدت إليهم أكثر المساجد ومازالت الإعادة مستمرة للباقي منها، وعلى أية حال فإن هذا ليس موضع الحديث عن الماجريات التي حصلت للمسلمين تحت ظل الحكومة الشيوعية فذلك ربما يكون له مجال في الحديث عن تاريخ المسلمين في الصين.

وإنما جر إلى هذا الحديث ما اعتزمنا القيام به اليوم من رؤية المساجد في هذه المدينة وماقرب من ضواحيها لأن حالة المساجد فيها تكاد تكون مرآةلصدق دعاوى المسئولين من إعطاء المسلمين قدراً من الحرية من عدمه.

ومن الطبيعي أننا لن نكون ممن تخدعهم المظاهر فمجرد وجود المسجد في بلد ليس دليلاً كافيا على أن أهل ذلك البلد أحرار في دينهم وان كان دليلا من الأدلة لايقوى الا إذا عضده غيره من الأدلة على قدرة أهل البلد على عمارة المسجد بالعبادة والتعليم وعلى قدرتهم أيضًا على عمارته بالإصلاح والترميم.



الإخوة الذين اصطفوا عند باب الفندق لخروج وفد الرابطة

انطلق الموكب في التاسعة والربع من هذا الصباح تاركا قصر الضيافة الجميل المسمى(فندق نن تشا) وهو فندق حكومي وكان يرافقنا عدد من الأخوة المسلمين من أهل هذه البلاد وانضم إلى فريق الترجمة أحد أبناء المسلمين و قد يسمى نفسه(بحاراً)لأن الاسم الصيني الأخير له يقرب لفظه من ذلك وقال: إنه تعلم العربية في معهد اللغات في بكين ثم سافر مع جماعة صينية شعبية للقيام ببعض المشروعات في اليمن الشمالي وقال إنها مشروعات تنفق عليها المملكة العربية السعودية ضمن البرنامج السعودي لمساعدة اليمن،كما أنه زار عدداً من البلدان العربية منها دولة الامارات المتحدة ولكنه والحق يقال رغم ما قال- لايساوي بل لايقارب مترجمنا الحصيف اللطيف الأخ(لقمان ماشان لي) الذي له ذوق في اللغة العربية لايقل عن ذوق أهلها وله اجتهاد في معرفة غريبها يفوق مالهم من ذلك والاسم الصيني لهذا المترجم الجديد هو(شو فو هاي) واسمه الإسلامي(أحمد عبد الله بحار). ولكن طول اسمه لم ينفعه في المعرفة ولم يجعلنا نستغنى عن الشيخ الحاج لقمان.

اخترق الموكب وسط المدينة المزدحم في هذا اليوم الذي هو يوم عطلة سنوية لأنه يوم عيد العمال عيد الأول من شهر(مايو) أيار. وأكثر الذين فيه من المشاة الذين كاد يضيق بهم، ومن الملاحظة السريعة على القوم أن في وجوههم نضارة ليست في وجوه أكثر الصينيين الذين رأيناهم ربما كان ذلك بسبب الطقس أو الموقع الجغرافي لهذه المقاطعة: وربما بسبب خصب المقاطعة وقلة السكان فيها قلة نسبية وسرنا مع شارع التحرير وعلى أوله أبنية حديثة جميلة وهو محاط بالحوانيت(الدكاكين) التي أغلبها حكومي بمعنى أن الحكومة تملك الحانوت ومافيه من بضاعة والعمال الذين فيه يعتبرون عمالاً للدولة كالموظفين عندها.

وذكرو لنا أن فيه حوانيت خاصة ويسمونها هنا شخصية لأنها دليل مادي على التململ تحت الشيوعية و عدم صلاحيتها للتطبيق الكامل.

وفي رأس شارع التحرير هذا نصب صيني الطراز شبيه بقوس النصر مع الفارق إذ هو أقل قدرا وأدنى مستوى من ذلك وحوله ميدان صغير يفضي إليه الشارع وقالوا: إنه بني هنا بمثابة مركز للمدينة يخرج منه من وسطها إلى جنوب المدينة. وبعد هذا النصب بيوت من بيوت الطين القديمة قالوا إنها ملك للحكومة وهي مهدومة ذكروا أن السبب في ذلك أنهم يريدون أن يقيموا على أنقاضها أبنية كبيرة صالحة، ولقد ذكرت منظر البيوت الطينية في بلادنا في القديم ، وداخل هذه البيوت وغرفها لاتبعد عما كنا نعرفه في بيوتنا كثيراً.



نصب على هيئة بوابة في ين تشوان

ويلاحظ المرء هنا مالاحظه في مقاطعة كانسو من أن اللغة الصينية هي اللغة الوحيدة هنا ، لاترى على الأبنيه المهمة أي لافتات مكتوبة بلغة سواها.

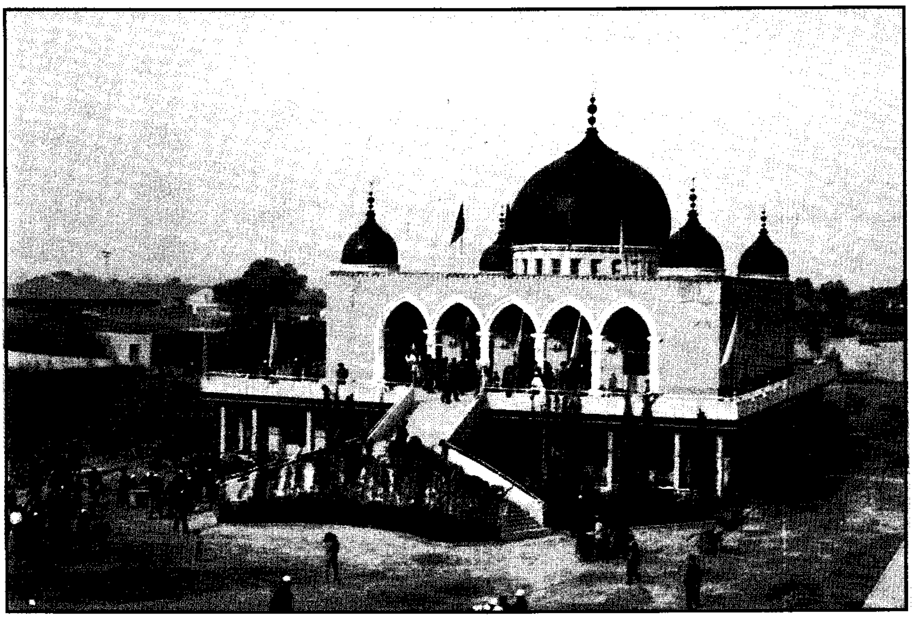
ولمناسبة الأبنية التي ستقيمها الحكومة ذكروالنا أن الحكومةتؤجر الغرف إلى عمالها وموظفيها بأجرة تكاد تكون رمزية وهي ثلاثة ينات في الشهر للغرفة الواحدة ولاأدري صحة ذلك لأن تكلفة البناء قد زات ماعدا أجرة العمال. مع أن الحكومة تذكرأنها لاتريد بالايجار لهؤلاء الربح وإنما تريد أن تؤمن لهم مايحتاجونه من مساكن.

ومع أن الصحيح الذين عرفناه فيما رأيناه بأنفسنا من بلاد الصين أن الحكومة لاتوفر ما يكفي عشر معشار مايحتاجه أبناء الشعب من المساكن وإنما تقوم بذلك في خارج اوساط المدن الرئيسية البيوت الطينية في الأحياء الشعبية والأرياف وبيوت الأخشاب في الأماكن المطيرة من البلاد.

وبعد الخروج من هذا النصب الصيني الذي كان يعج براكبي الدراجات تركنا الشارع الرئيسي إلى آخر فرعي مزفلت زفلتة جيدة وقلت في نفسي أين أورومسي من هذا ؟.

فهذه المدينة(ين تشوان) على صغرها النسبي إذ سكانها يبلغ عددهم ثلاثمائة وسبعين ألفًا هي أحسن تنظيما وأكثر عناية بالشوارع و المرافق العامة من مدينة أورومسي عاصمة سينكيا نغ التي يبلغ سكانها مليونا من النفوس.

المسجد الجنوبي والمفاجأة:

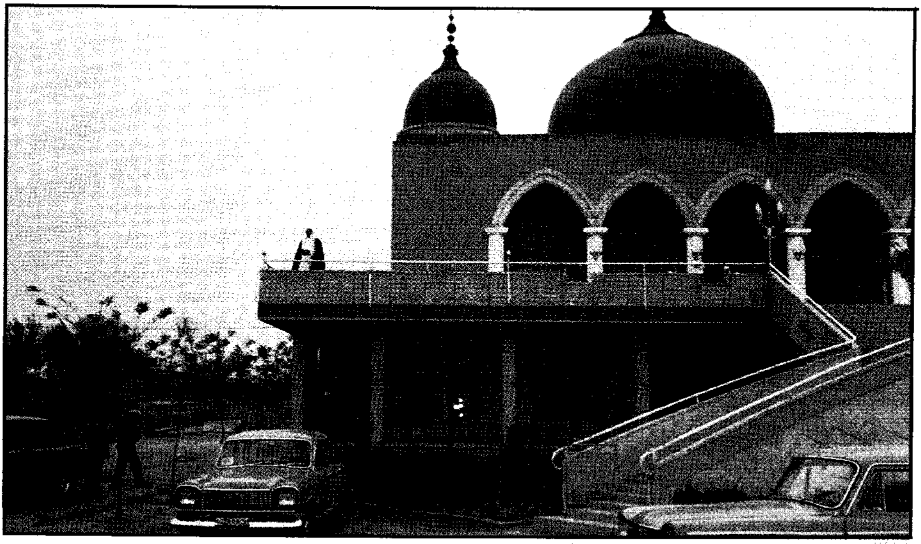


المسجد الجنوبي في ين تشوان

سار الموكب مع هذا الشارع الفرعي الذي تحف به بيوت طينية جيدة المظهر والقصد زيارة المسجد الجنوبي كما يسمونه لأنه واقع في هذا الجزء الجنوبي من المدينة واسمه مسجد(نانغ وان) بمعنى المسجد الجنوبي.

وكانت المفاجأة عندماأ قبلنا عليه مفاجئتين اولاهما أنه مبني على طراز عربي إسلامي وإن شئنا الدقة قلنا على الطراز العربي(المملوكي) فهو بقبة عربية كبيرة بارزة تدور بها نوافذ ذات زجاج ابيض والقبة مطلية بطلاء أخضر جميل. ويحيط بها قباب اربع صغار في اركانه الأربعة وكلها مطلية بطلأ أخضر والمفاجأة الثانية أن حكومة مقاطعة(نن تشا) الشعبية هي التي وقع عليها الجزء الأكبر من نفقات بنائه.

ذلك بأنه كان في الأصل مسجداً قديمًا يرجع تاريخه إلى اسرة(مينغ) هكذا قالوا لنا في ذكر تاريخه وذكر تواريخ مساجد أخرى في تاريخهم التقليدي يؤرخون باسماء الأسر الحاكمة ثم يعودون يحسبون متى ابتدأت تلك الأسرة ومتى انتهت ولما كنا لانعرف تاريخ اسرة مينغ ولاغيرها فإنني سألتهم عن التاريخ التقريبي لبنائه الأول فذكروا أنه يرقى إلى أكثر من ثلاثمائة سنة.



ركن من المسجد الجنوبي في ين تشوان

وهو مسجد عزيز على نفوس المسلمين في هذه المقاطعة ولكن الشيوعية في عهد عصابة الأربعة وثورتهم الثقافية خربوا هذا المسجد فيما خربوه من مساجد وأماكن أثرية أخرى لأنهم سيقيمون بزعمهم على انقاض ذلك ثقافة شيوعية جديدة فلما ولى عهدهم الأدبار واعادته الحكومة الحاضرة اليهم كانت العامة من المسلمين أعجز من ناحية المال عن أن تسارع إلى بنائه وبخاصة أنهم أرادوا أن يبنى على طراز عربي إسلامي خلاف بقية المساجد في الصين أو أكثرها فإنها مبنية على طراز صيني لذلك قامت الحكومة ببنائه وأسرعت في ذلك حتى قالوا إنه تم وصار على ما هو عليه الآن في مدة عشرة شهور.

وكان ابتداء البناء فيه يوم ١٩٨٢/٢/٧م. وقد أسهمت الجمعية الإسلامية في نفقات بنائه ولم يتلقوا أية مساعدات من خارج الصين على ذلك.

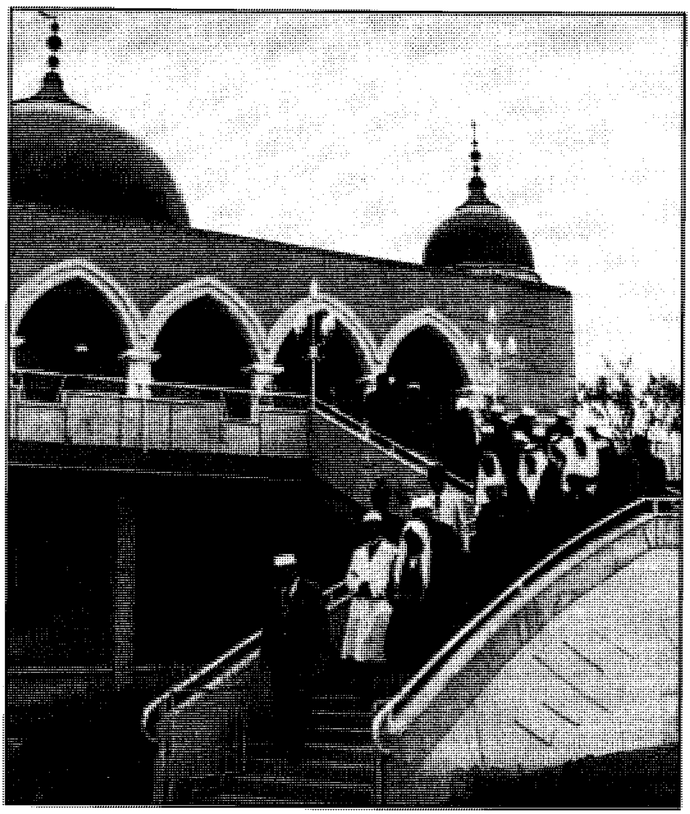


الصعود للطابق
الثاني من المسجد

وجدنا جماعة من الإخوة المسلمين في استقبال الوفد عند البوابة الخارجية للمسجد يتقدمهم الأخ(محمد إسماعيل لي جنغ رين) إمام المسجد والأخ (عمر لي فونغ) مؤذن المسجد.

فصعدنا من الفناء الخارجي المكشوف المحيط بالمسجد إلى درج ينتهي إلى المصلى في طابق فوق الأرض فرأيته في غاية من النظافة لالكونه جديداً فحسب وإنما لكونه معتنى به واخبرونا أنه يتسع لأكثر قليلا من ألفي مصلٍ.

ومن فوق الدرجة استطلعنا المنطقة المحيطة بالمسجد التي ذكروالنا أنها تعتبر من أحياء المسلمين واسم الحي(نانغ وان). وقد هدموا بعض البيوت الطينية القريبة من المسجد بحيث أصبح حوله فراغ واسع مناسب يسمح لاليظهر المسجد ويبرز للناظرين فحسب وإنما ليمكن إذا احتيج في المستقبل إلى توسعته أو إنشاء مرافق جديدة أن يتسع لذلك.



النزول من المسجد الجنوبي في ين تشوان مع إمام المسجد

ومن المصلى الرئيسي انحدرنا إلى الطابق الأرضي بين عدسات مصوري التلفزة ومصوري الصحافة وهو أمر لم نقصده ولم نرم إليه ولكن اخوتنا المسلمين المسئولين في حكومة هذه المقاطعة أرادوا ذلك وقال لي أحد الإخوة المرافقين إنهم يريدون أن يحتفظوا عندهم بسجل كامل مصور لتحركات الوفد وتنقلاته في المقاطعة. ويتألف الطابق الأرضي من محلات وقاعة اجتماع ومكتبة.

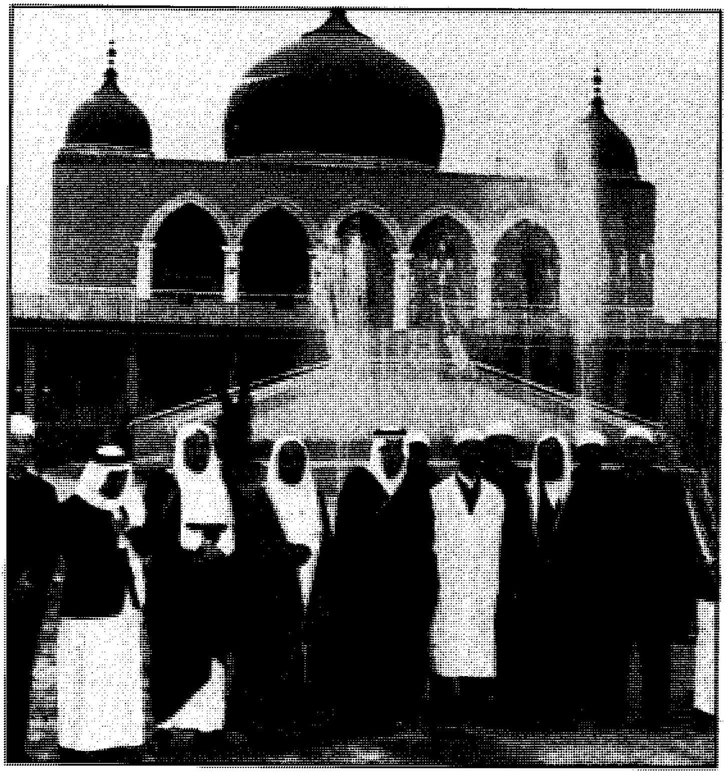
فوجدنا مالفت انظارنا في أماكن الوضوء من نظافتها وكثرتها وقد صفوا اباريق الوضوء فيها صفوفا منتظمة.

ثم انتقلنا إلى غرفة أخرى في هذا الطابق الأرضي وجدناهم قد اعدوا فيها مائدة كبيرة عليها مقادير كبيرة من المكسرات والحلوى والفاكهة إلى جانب الشاي الصيني المعتاد.

وكانت جلسة مذاكرة طيبة مع إمام المسجد والأخوة المسلمين من أهل هذا الحي على هذه المائدة التي لم نستشر في إقامتها ولو كان لي من الأمر شيء في هذا الأمر لما وافقتهم على ذلك لأنه يكلفهم مايشق عليهم توفيره ونحن لم نأت للموائد وإنما جئنا لمعرفة أحوال إخوتنا المسلمين ورسم الطريق لكيفية التعاون معهم في أمور دينهم.

وقد رأيتهم هنا يعملون في الشاي شيئا لم أر من قبلهم ممن مررنابهم من أهل الصين يعملونه وهو أنهم يضعون في الشاي حبوبا صغيرة مثل حبوب السمسم تكون طافية فوق الفنجال وظني أنها من حبوب حدثونا عنها أنها تنبت في هذه المقاطعة وأن لها أثراً طيبًا جيداً وقد أهدى منها لنا رئيس الحكومة الحاج (حسين خي بي لي) فيما أهداه لنا من إنتاج المقاطعة وهي في مظهرها لاتفرق بينها وبين حبوب السمسم المعتاد.

وتزين ساحة المسجد الخارجية المكشوفة نافورة جميلة تتراقص مياهها فتزيد الجو ندى على ندى ليس بحاجة إليه لأننا أصبحنا هذا اليوم على جو غائم معتاد واخذ السحاب يرسل رذاذاً خفيفًا فطلب الإخوة من أهل المسجد أن يلتقطوا للوفد صورة تذكارية أمام هذه النافورة فكانت هذه الصورة التي لاعيب فيها إلا أنها اقتصرت على بعض الأخوة المسلمين دون بعض.



صورة تذكارية أمام النافورة في المسجد الجنوبي
مع إمام المسجد وبعض المسلمين من ين تشوان

إذ لاحظنا أن حشداً من المسلمين كانوا يقفون خارج أسوار المسجد يرقبون الوفد ويحيونه بأدب واحتشام على عادة الصينيين في التزام الأدب وعدم الفوضى في الاستقبالات أوالاجتماعات.

ولا يزالون يعملون الآن في بناء بوابة للمسجد كبيرة يدخل منها إلى الساحة الخارجية المكشوفة وذكروا أيضًا أنه يحتاج إلى مئذنة يريدون لها أن تتناسب مع طراز المسجد العربي وقبته الكبيرة ولذلك لابد من ان تكون عالية بحيث يكون المسجد معلما سياحيا من معالم المدينة بل من معالم هذه المقاطعة إلى جانب كونه مكان عبادة.

وأخبرونا أنهم قدروا النفقات اللازمة للمئذنة بحوالي اربعمائة ألف ين اي حوالي ستمائة وثمانين ألف ريال سعودي فوعدناهم في أمر المساعدة على بنائها.

إلى المسجد المتوسط:

هكذا سموا المساجد القديمة بموقعها من المدينة فمن المسجد الجنوبي انطلق الموكب عائداً إلى قلب المدينة القديمة لزيارة (المسجد المتوسط) كما يسمونه أو بالصينية(تشونغ سي اى).

وكان مرور الموكب من شوارع المدينة أشبه بالمظاهرة الإسلامية لأن هذا اليوم يوم أول مايو هو يوم عطلة والموكب بسياراته الكثيرة الفاخرة بالنسبة للشعب الصيني الذي لايستطيع الفرد من أهله أن يملك أي سيارة ونحن أعضاء الوفد نرتدي الملابس العربية كاملة فيكون ذلك أكثر إلفاتًا لنظر المواطنين.

وهذامبعث سرور لأخوتنا المسلمين في هذه البلاد كما أخبرونا لأنهم يقولون بالفعل لابالقول لمواطنيهم الصينيين من غير المسلمين: إننا لسنا وحدنا في هذا العالم انظروإلى أخوتنا المسلمين الذين جاءوا الينا من البلاد المقدسة الإسلامية ليشاركونا القيام على شئون ديننا.

ويلمح المرء الذي يمر وسط هؤلاء القوم بأن وجوههم فيها طول بالنسبة إلى عامة أهل الصين، وأن عليها رونقًا لأنهم في أغلبهم أو في قسم كبير منهم

ينتمون إلى قومية (خوى) التي يقولون: إنها قومية إسلامية من المسلمين الذين جاوءا من البلاد الإسلامية البعيدة من فارس وتركستان وبلاد العرب فاختلطوا بالمسلمين الصينيين ومن أسلم من الصينيين اختلط بهم وصار مثلهم من قومية (خوي)، وإن كان قبل ذلك يعد من قومية (خان) التي هي القومية الغالبة في الصين وأهلها هم الأكثرية من أهل الصين وهي كافرة كما هو معروف.

مررنا بسوق اسمه(سوق الدقيق) فيه رواق من الخشب تحمله أعمدة من الخشب القوي مطلية بلون أحمر كما هي العادة في طراز البيوت الصينية القديمة، ولم نقف في هذا السوق وتمنيت أن أنزل واختلط بالناس وأتحدث إلى بعضهم ولكننى جربت ذلك في أماكن أخرى من الصين فوجدت أنه من الصعوبة بمكان لأن رجال الأمن والمرافقين الذين معنا سيلتفون علينا بغرض الحماية الشخصية وجماهير المواطنين يلتفون علينا من باب الاستطلاع فلا يكون لي ولا لمن أريد أن أحدثه الحرية اللازمة للحديث.

هذا إلى جانب شيء قالوا إنه نادر الحدوث في هذا الفصل من السنة وهو نزول المطر فقد بدأ يتساقط فيمنع الوقوف والتجول دون وقاية من مظلات أونحوها.

المسجد الذي حماه الله:

كان أول مالفت انظارنا عندما وقعت أعيننا على المسجد أنه ذوطراز صيني عتيق من طراز البناء التقليدي.

وعندما اطمأن بنا النزول من السيارات وتحدثنا مع إمامه الشيخ(حبيب عبد الله شي سونغ لي) وهو نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة(نن تشا) وغيره من الأخوة من أهل الدين والعلم في المسجد عرفنا السر في ذلك وهو أن هذا المسجد قد حماه الله من شرور الشيوعية في زمن الثورة الثقافية فلم يصيبوه بتخريب لذلك بقي على ماهو عليه.



عند الدخول إلى المسجد المتوسط في ين تشوان على يساري إمام المسجد

وقد أخبرونا أنه فرغ من بنائة الحالي في عام ١٨٦٠م، أي منذ حوالي قرن وربع من الزمان وهو على الطراز الصيني القديم لم يتغير منه شيء فهو ذوسقوف خشبية مسترخية بخشب مخروط منقوش نقشا بارزاً.

هذا وكان مصورو التلفزة يلاحقون الوفد يصورون كل حركة تصدر عن أعضائه.

دورة تدريب الأئمة:

في قاعة جيدة نظيفة وجدنا قومًا يدرسون على هيئة فصل دراسي واخبرونا أنهم يدرسون في دورة لتدريب أئمة المساجد في هذه المقاطعة مقاطعة نن تشا.

ويبلغ طلابها أو الدارسون في هذه الدورة ٤٠ شخصًا فيهم شبان وشيب والشيب حوالي ٧٠٪ وهذا أمر سار جداً لأن معناه أن الجيل الجديد الذي نشأ تحت ضغط الحكم الشيوعي لن يتخلى عن إمامة المساجد وعمارتها.

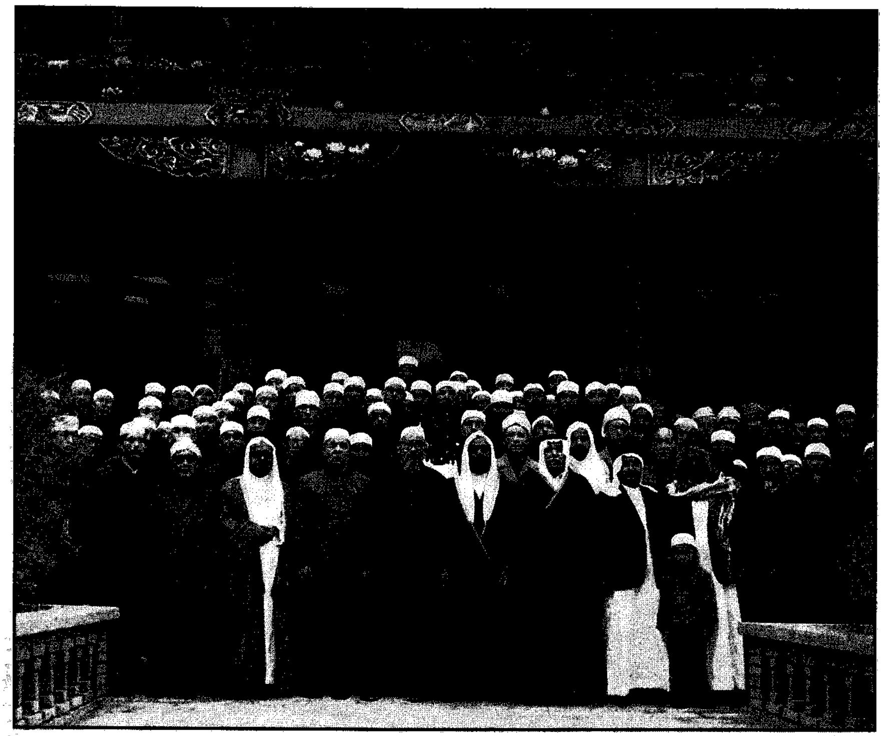
وقد اخبرونا أن طلاب هذه الدورة هم الدفعة الثالثة من دورات أقاموها لتدريب الأئمة، وكانت الدورة الأولى عام ١٩٨٢م، وعدد الدارسين فيها ثلاثون

طالبًا، والثانية في عام ١٩٨٣م وطلابها أربعون مثل هذه وتستمر الدراسة في الدورة ستة أشهر.

ومدير هذه الدورة هو الشيخ (محمد إبراهيم ماجنغ ساي).

وقد ألقيت في الدارسين كلمة تتضمن النصح، والوصية بإخلاص العمل لله، وبينت فيها المسئولية الكبيرة التي يتحملونها لكونهم سيصبحون أئمة المساجد بمعنى أنهم المسئولون عن شئون المسلمين فيما يتعلق بالعبادة والإفتاء والإرشاد.

ثم عقب عليها رئيس الجمعية الإسلامية الصينية بكلمة باللغة الصينية أخبروني أنها تتضمن التعريف بالوفد وطلب منهم أن يعوا هذه النصائح ويتذكروها.



صورة تذكارية لوفد الرابطة داخل المسجد المتوسط مع العاملين والدارسين في دورة تدريب الأئمة

وقد تأملت هؤلاء الأخوة الدارسين الذين سيصبحون أئمة في المساجد في المقاطعة وبعضهم يتولون الإمامة في الوقت الحاضر فوجدتهم نظيفي الأبدان والثياب على وجوههم إشراق عجيب وخاصة إذا قورنوا بمواطنيهم الصينيين من غير المسلمين.

وعلى ذكر المساجد في مقاطعة(نن نشا) فقد أخبرونا أن عددها في المقاطعة يبلغ ألفًا وخمسمائة مسجد.

جلسة مفيدة:

وبعد توديع هؤلاء الإخوة الكرام من أئمة المساجد والمرشحين للإمامة دعانا الأخوة المسئولون عن المسجد إلى جلسة في قاعة كبيرة ملحقة بالمسجد فوق البناء كالتي فيها الدورة ولكنها نظيفة معتنى بها رغم كون بنائها قديمًا وسقفها من الخشب.

وكانت المكسرات والفاكهة التي أهمها هنا التفاح قد وضعوها فيها إلى جانب الشاي الساذج المعتاد.

وكان الأهم من ذلك أن نائب رئيس الجمعية الإسلامية في هذه المقاطعة الشيخ الحاج(يوسف لوتشنغ لن) وهو شخص متفرغ للعمل الإسلامي ونشيط ومتحمس للدعوة ولاعمل له الا هذا قد بدأ في الإدلاء بمعلومات مهمة عن المسلمين في المقاطعة وما حققوه من أعمال إسلامية وما يحتاجون اليه من ذلك وبين الأشياء التي ذكر أنهم بحاجة إلى التعاون مع الرابطة على تحقيقها فكان من الأشياء السارة التي ذكرها في كلمته قوله إن حكومة المقاطعة قد اعطتنا مليونا ونصف المليون من الينات للمساعدة على اصلاح المساجد وبخاصة ماخربته الثورة الثقافية منها كما أن الجمعية المركزية في بكين قد اسهمت في هذا الأمر بمبلغ خمسين ألف ين وهم إذا ذكروا هذا الأمر فإنما يريدون أن هذه

النقود هي من الرابطة لأن الرابطة سبق أن قدمت للجمعية الإسلامية الصينية مبلغ خمسمائة ألف دولار قامت الجمعية بتوزيعها على المشروعات الإسلامية في المقاطعات الصينية المختلفة وبخاصة مايتعلق منها بإعمار المساجد.

وقال:إن هذا لايكفي بطبيعة الحال ولكننا نعتمد على تبرعات الإخوة المسلمين من محبي الخير في هذه البلاد.

والشيء السار الآخر الذي ذكره هو عزمهم على انشاء معهد إسلامي للمقاطعة يكون مقره مدينة(نن تشا) وقال: اننا حصلنا على سبعين ألف ين تبرعات لهذا المشروع من المسلمين.

وقال: إن حكومة المقاطعة قد منحتنا الأرض اللازمة لبناء المعهد. وهي موجودة تنتظر توفر المبالغ المالية اللازمة للبدء في العمل بها.

وقد رأيت أن أنقل هنا نص الترجمة الحرفية لكلمته كما ترجمها لنا الأخوة المرافقون لماتشتمل عليه من معلومات كثيرة عن المسلمين في هذه المقاطعة.

قال:

يشرفني أن أقدم لكم تعريفًا عن أحوال المسلمين في مقاطعة نن تشا.

- في هذه المقاطعة عشرة أجناس من البشر وان المسلمين فئة من هذه الفئات العشر.
- المساحة تقدر بـ ٦٠٠٠٠ كيلو متر مربع تقريبًا.
- عدد السكان ٤,٠٠٠,٠٠٠ بينهم ١,٣٠٠,٠٠٠ مسلم وكثافة المسلمين تعادل السكان.
- في الأماكن ذات الكثافة السكانية من المسلمين تم افتتاح مدرسة ابتدائية ومتوسطة لتربية جيل جديد من المسلمين.

العلاجات مجانا كما مشاهدة الافلام بدون مقابل.

انتشار الإسلام في هذه المقاطعة كان قبل ٧٠٠ سنة على أيدى العرب والفرس أثناء حكم «يان»(الحكم المنغولي) وكما يوجد قيادتان إسلاميتان في ذلك الوقت مهمتهما الأولى استتباب الأمن والثانية زرع الحقول. وكانت من أهم مقاطعات الصين في ذلك العصر.

وازداد عدد المسلمين في نهاية عهد« اليان» وبداية عهد الدولة المعروفة باسم« مين» في عام ١٣٦٨م.

في العصر الحديث الحالي يوجد تقريبًا ١٥٠٠ مسجد في هذه المقاطعة.

وكثير من المساجد تم هدمها في الماضي القريب في عهد عصابة الأربعة وخلال عشر سنوات كما تم إحراق الكثير من الكتب وتقييد حرية المسلمين.

وأن في الوقت الحاضر تحسنت الأحوال الاقتصادية لدى المسلمين واعادة ترميم المساجد القديمة وانشاء مساجد جديدة حتى وصل عدد المساجد إلى ١٤٠٠ مسجد تقريبًا والعمل جار لإنشاء المزيد منها، وأن الحكومة والجهات المسئولة في المقاطعة تساهمان في تمويل هذا العمل.

وقامت الجمعية الإسلامية بطبع القرآن الكريم وتفسير الجلالين وكتاب اللؤلؤ والمرجان وتوزيع هذه الكتب على المسلمين.

وقد استلمنا ٨٠٠ نسخة من القرآن الكريم من الجمعية الإسلامية الصينية وأن هذه النسخ أرسلت من قبل رابطة العالم الإسلامي إلى الجمعية الإسلامية بواسطة جهات الباكستان المسئولة، وتم توزيع هذه النسخ من القرآن الكريم بين العلماء والأئمة المسلمين في هذه المقاطعة، وأن حكومة الصين قد فنحت للمسلمين يومًا واحداً كعيد الأضحى كل سنة والحكومة ستقوم بتأسيس مدرسة إسلامية بالتنسيق مع الجمعية الإسلامية كما خصصت دفعة أولى من الاعتماد

المالي ومقدارها ٥٦,٠٠٠ ين ونسعى في الوقت الحاضر بجمع تبرعات من كافة الجهات.

وقمنا بتعلْيم دفعتين من العلماء والأئمة في الدورات التعليمية ونتحمل جزءاً من التكاليف كما وان الحكومة تحتمل جزءاً من النفقات. وتخرج من هذه الدورات ٧٠ شخصًا.

ومهمتنا في الوقت الراهن:

١- نساند الحكومة ونساهم في نشر سياسة حرية الأديان.

٢- نساعد المسلمين في كافة نواحي أمورهم الدينية.

٣- تطوير وتحسين مستوى العلماء والأئمة.

٤- نشر روح التعاون بين المسلمين.

ونجهل كثيرا من الأمور الدينية فنأمل تزويدنا بالمشورة والنصح، والحمد لله رب العالمين.



درس في دورة تدريب الأئمة في ين تشوان(داخل المسجد المتوسط)

كما أعطانا الحاج محمد إسماعيل المسئول عن الدورة كلمة بالصينية هذه ترجمتها:

بسم الله الرحمن الرحيم

قمنا بتعليم ثلاث دفعات من العلماء المسلمين في نن تشا.

الدفعة الأولى:

أكتوبر- ١٩٨٢ إلى أبريل ١٩٨٣م.

وتضم ثلاثين طالبًا من مختلف المقاطعات والقرى.

ومدة الدراسة ستة شهور.

الدفعة الثانية:

١٩-٨-١٩٨٣ إلى ٢-١٩٨٤م.

وتضم أربعين طالبًا، ومدة الدراسة ستة شهور

الدفعة الثالثة

٤ - ١٩٨٤م

وتضم أربعين طالبًا موزعين على المرحلة المتوسطة فما فوق. ولمدة ثمانية شهور.

وتشتمل المواد الدراسية على مواد اجبارية وإختيارية.

ومناهج المرحلة المتوسطة الإجبارية :عمدة الرعاية- اللؤلؤ والمرجان- تفسير الجلالين، والمواد الاجبارية: تفسير حسين- تاريخ الإسلام- أحوال الدول العربية.

ومناهج المرحلة العليا الإجبارية:- علم العقائد(علم التوحيد)- تفسير البيضاوي- مشكاة- مكتوبات.

والمادة الاختيارية:- تفسير حسين

- قام بالتدريس نخبة من كبار العلماء في مسجدين، و جمعت النفقات من قبل الحكومة وتبرعات فاعلي الخير من الصينيين.

ومما يصعب من عملية التعليم ندرة الكتب.

ونرجو تزويدنا بالكتب التالية:

عمدة الرعاية

مشكاة

شرح الجلالين

تفسير الصاوي

تفسير البيضاوي

رمضان افندي

إحياء علوم الدين

در المختار(شامي).

الحاج محمد إسماعيل

نن تشا

وغادرنا هذا المسجد الذي سلم من عبث الشيوعية، وكان المطر يهطل فأخلى رجال المرور الشارع لمرور سيارات الموكب مما زاد من لفت أنظار الناس إلى موكب هذا الوفد الإسلامي فوقفوا يتفرجون.

فكان الذهاب إلى الفندق والغداء السخي على الطعام الصيني اللذيذ الذي زاد من لذته كونه قد أعد بأيد مسلمة يأمن معها المسلم من دخول أي مكروه إليه.

إلى السلام الدائم:

قالوا : سيكون ذهابنا في هذا الظهرإلى محافظة السلام الدائم، فقلت: هذا اسم جيد لولم يكن فيه الا التفاؤل لكفى، وان كنا نعلم أن السلام الدائم في هذه الدنيا لايكون. فلم الذهاب إلى هناك؟

فأجابوا لرؤية مسجد تاريخي هام.

ثم عرفت أن (السلام الدائم) هو اسم إحدى المحافظات في هذه المقاطعة وأننا سوف نذهب إلى مسجد تاريخي هام في قرية واقعة في هذه المحافظة وليس في مركز المحافظة التي فيها عدة مساجد ولكنها أقل أهمية عندهم من هذا المسجد. واسم المحافظة بالصينية(يونغ ننغ) بهذا المعنى أى السلام الدائم. خرجنا من الفندق والمطر يهطل قاصدين قرية تسمى(ناجاكو) فيها ذلك المسجد التاريخي القديم وتقع على بعد اثنين وعشرين كيلاً من عاصمة المقاطعة(ين تشوان).

وعندما خرجنا رأينا جموع الراجلين وراكبي الدراجات الذين كانوا في شوارع المدينة يستمتعون بعطلة أول مايو قد اختفوا أوكادوا فقد ألجأهم المطر وقلة الوسائل في اتقائه إلى ترك الشوارع إلا من كان منهم يحمل مظلة واقية وبعضهم يحملها وهو على دراجته وهم قليل وبعضهم قد وضع معطفه على رأسه ولوكان الجو غير بارديتقى به المطر.

وخرجنا من المدينة مع طريق أزفلتي ليس فيه أرصفة بخلاف الشوارع التي في داخل المدينة فكلها أو أكثرها ذات أرصفة جيدة.

وتحف بالطريق بيوت طينية قديمة ذات سقوف ممالة إلى جهة واحدة حتى ينزلق ماء المطر عنها. وقليل منها مستوية السقوف أي مسطحة.

ومررنا بمصنع غير كبير قالوا: إنه مصنع ساعات وبمعهد طبي يقع في بناء أسمنتي جيد ومن الفخار المطلي بالأسمنت.

ورأينا هنا في بعض الأماكن في الريف مايعده بعض مرافقينا الصينيين تقدما وهو بيوت من لبن الإسمنت مما نسمى مثيله بالبيوت الشعبية أي الأسمنتية غير المسلحة وذلك بالفعل يعتبر تقدما بالبيوت إذا قورن ببيوت الطين.

كما لفت المرافقون نظري إلى فلاح عنده تفاح يبيعه على الطريق وهم يقولون: شخصي شخصي، أي إنه يبيعه لشخصه وليس للحكومة وهو أمر مهم عندهم وان كان الأن قد اصبح كثيرا فإنه مما يستحق أن يلفت إليه النظر، لأنه يدل على الرجوع عن الشيوعية الكاملة التي أراد (ماوتسى تونغ) في آخر حياته أن يطبقها كما تقدم.

ومررنا بمشتل فيه أشجار صغيرة قالوا: إنها تشترى لتصد الرمال في الأماكن المعرضة لذلك وإلافإن المنطقة التي نحن فيها الآن لاتعاني من ذلك بل هي في حوض وادي النهر الأصفر وهي أرض طينية حرة لاشك بأن الطين الذي فيها هو مما جلبه النهر الأصفر إليها على مدى القرون.

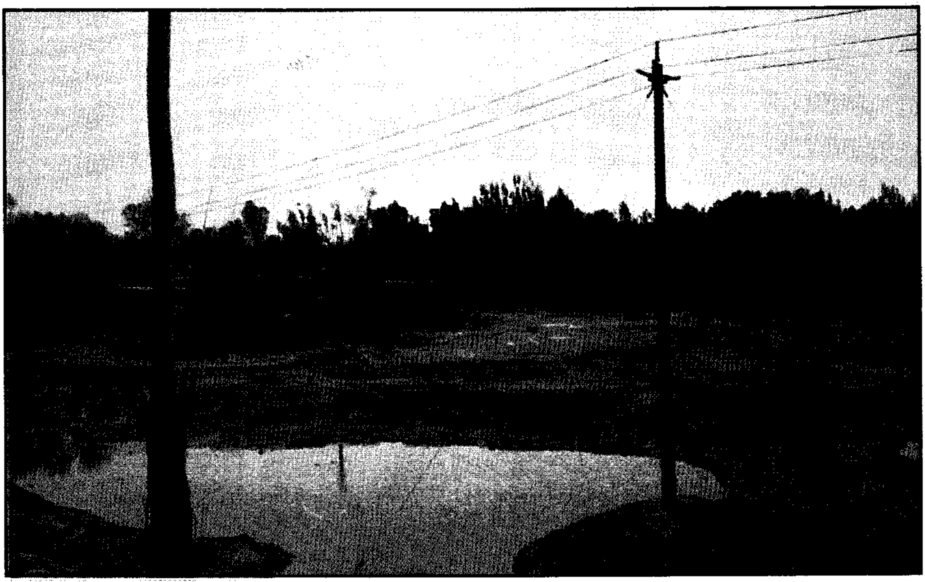
ومن الملاحظ هنا أن الطقس لطيف ولذلك كانت أشجار الطريق كلها خضرة خضرة يانعة ولا أثر للبرد هنا وقد وجدنا أنفسنا فجأة في الريف فالمدينة ليست كبيرة وضواحيها ليست متسعة وهو ريف أخضر اكثر المزارع فيه هي مزارع القمح الشتوي النضر، قالوا: إنه يزرع في أول مارس ويحصد في يوليو.

وهذا بخلاف مانعرفة في بلادنا حيث نبذر القمح في وسط الجزيرة في القصيم مثلا في نوفمبر ويحصد في مارس.

ولكن هذه المقاطعة إلى جانب إنتاجها للقمح فإنها تشتهر بإنتاج نوع جيد من الأرز وذلك لوفرة المياه فيها ولدفء ظاهر في جوها عندما ينقضي الشتاء

لأنه طقس شبيه بالطقس الصحراوي ويقولون: إن له رائحة جيدة مما ذكرني برائحة نوع من الأرزيستنبت في العراق يسمونه العنبر، وبعضهم يسميه(عبر بوه).

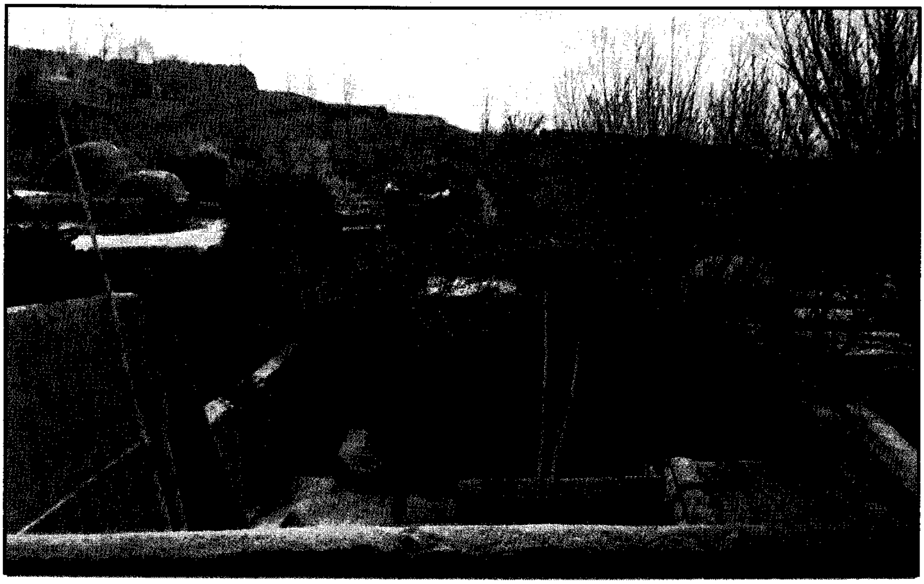
وقد رأينا بعض البيوت الريفية الطينية قد بيضوا واجهاتها بالجص فقط مثل بيوتنا التي كنانبنيها بالطين ونطلى واجهاتها وماحول ابوابها ونوافذها بالجص من باب التجميل وبعضها رأينا جصه جديداً ممايدل على أنهم لايزالون يبنون البيوت بالطين ويزينونها بالجص وليسوا مثلنا قد تركنا ذلك حتى أصبح أثراً لايعرفه الجيل الناشئ.



بيوت ريفية خارج ين تشوان

والريف منبسط هنا كله يشرب من مياه النهر الأصفر إما مباشرة أو من قنوات شقوها من النهر وقد لاحظت كثرة التبن في بيوت الطين ممايدل على أن المنطقة تنتج الحبوب بكثرة وأنهم يستعملون التبن في أوجه كثيرة من الانتفاع ومنها مثلا أعلاف الدواب وخلطه بالطين الذي تطلى به البيوت ليساعد على عدم انجراف الطين من الحيطان وبعضه يسمدون به الأرض لكثرته عندهم.

وسألتهم عن الحر في الصيف أهو شديد؛ فقالوا: إن الحر يكون شديداً لديهم في شهر يوليو واغسطس وهذا أمر طبيعي لأن بلادهم شمالية. ولكن الشعور بالحر أمر نسبي فما يشعر به قوم في بلادهم بأنه حر شديد قد يشعر به آخرون في بلاد أشد حراً بأنه لطيف.



التبن فوق السطوح

وتكررت رؤية اكداس التبن التي وضعوها على سطوح المنازل وقال بعض الأخوة: إن هذا هو الأرز يجعلونه هنا لأنه أحفظ له من وجوده على الأرض حيث يكون معرضا للرطوبة والفساد ويريدون بذلك أنه الأرز بقصبه وسنبله ولكن الذي أعرفه أن الأرز يقطف قطفًا ويترك قصبه على الأرض حيث ينتفع به بعد ذلك في أوجه عدة.

وقد كاد الطريق يخلو من الناس من أجل المطر وأما السيارات فإنها فيه قليلة لأنها قليلة في الأصل في هذه البلاد الصينية كما تقدم- وأكثر السيارات التي رأيناها في الريف هي الشاحنات التي تصنعها الصين وكلها مملوكة للدولة.

ومن الغريب انني رأيت عدداً قليلاً من الناس من رجال ونساء يسيرون تحت المطر بدون مظلات ولا أي شيء يقيهم منه لأنهم بحاجة إلى الخروج وليست عندهم وسيلة من وسائل اتقائه.

في قرية ناجاكو:

ويبلغ عدد سكانها ثلاثة آلاف وسبعمائة نسمة كلهم من المسلمين، قالوا: إن بيوتها تبلغ الف بيت تقريبًا ووجدنا أهل القرية كلهم تقريبًا في استقبال الوفد من رجال ونساء وأطفال وقد وقفوا تحت المطر الذي أحال الأرض في هذه الناحية إلى وحل زلق يصعب المشي عليه لأن الأرض طينية حرة فتعلق بالارجل وتسبب الانزلاق ولكن ذلك لم يمنع هؤلاء الأخوة من التجمع لرؤية إخوتهم القادمين من بلاد الحرمين الشريفين.



مصافحة المسئولين من المسلمين في نن تشا

كان على رأس المستقبلين إمام المسجد الشيخ(كمال الدين كنغ جانغ جو) ورئيس لجنة تعمير المسجد الأخ(عادل نارونغ شون).

كان المطر يهطل والأرض زلقة كما قدمت ومع ذلك كان الجموع في الخارج ينتظرون أما نحن فقد أدخلونا غرفة صغيرة عليها مائدة مستطيلة حولها كراسٍ غير كافية.

فالقى رئيس لجنة تعمير المسجد الأخ(عادل) كلمة بالصينية تضمنت بعض المعلومات عن هذا المسجد. وقال إنهم يريدون تعميره وقد بدأ بالفعل جمع التبرعات غير أن المبالغ المطلوبة للتعمير كبيرة لايقوون عليها الا أن ذلك لم يفت في عضدهم.

وقد رددت عليه بكلمة مختصرة شكرته فيها والإخوة الحاضرين على هذا الترحيب ثم قلت له: إن رابطة العالم الإسلامي التي ينتمي إليها وفدنا وانا أحد المسئولين فيها سوف تحرص على أن تقدم المساعدات المجزية لبناء المسجد.

ولم أشأ تطويل الكلمة لأننا كنا في هذه الغرفة التي يتوفر فيها الدفء والشاي الصيني الحار على حين أن سائر الأخوة من المسلمين كانوا لايزالون واقفين تحت المطر في انتظار أن يسمعوا شيئًا من الوفد أو على الأقل أن يحظوا بالسلام على اعضاء الوفد ومصافحتهم.

لذلك قالوا إنه يستحسن أن توجه اليهم كلمة فخرجت اليهم وجاءوا بكرسي وقفت عليه لكي أراهم ويروني ووقف الأخ المترجم(لقمان ما شان لي) على كرسي أخر بجانبي فالقيت لهم كلمة اوضحت فيها تأثرنا بهذا الاستقبال الإسلامي الحار الذي قابلونا به في هذه اليوم البارد الماطر وقلت لهم إننا سنبلغ إخوانكم في المملكة العربية السعودية خاصة وفي البلدان الإسلامية عامة عن طريق الرابطة مارأينا لديكم من محبة لإخوتكم المسلمين ومن تمسك بعقيدتكم

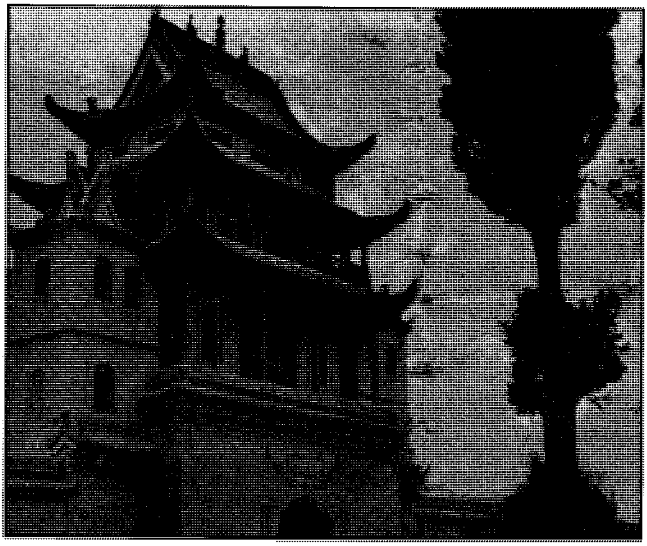
الإسلامية ذلك التمسك الذي لم تنل منه التهديدات ومحاولة الصدعن دين الله في زمن طغيان عصابة الأربعة والثورة الثقافية حتى إنهم صادروا مساجدكم وخربوا بعضها وهاانتم الآن تستعيدون هذه المساجد وتسعون في تعميرها رغم قلة ذات اليد ورأيتكم لاتكتفون بتعمير المساجد القديمة وإنما تبدأون بعمارة مساجد جديدة.



في قرية ناجاكو المؤلف واقف عليى الكرسي يخطب
والأخ لقمان ماشان لي على يساره واقف على كرسي أيضًا يترجم.

وقد كنت اتكلم من تحت مظلة واقية عن المطر أما الأخوة فان بعضهم لم يبالوا بالمطر والبرد وبعضهم كان قد التجأ إلى بعض الحيطان القريبة وكان الجمهور مؤلفًا من الجنسين ومن الأحداث أيضًا الا أن النساء لايخالطن الرجال بمعنى أنهن يكن بينهم في الاجتماعات دائمًا ولكن يجتمعن بجانبهم وفي نهاية اللقاء استمعنا إلى معلومات عن هذا المسجد التاريخي.

قالوا: لقد بنى هذا المسجد قبل اربعمائة سنة تقريبًا قالوا ذلك بعد أن جعلوا يحسبون ويذكرون الأسر الحاكمة التي يؤرخون بحكمها فذكروا اسرة(منغ) وان المسجد قد رمم في تاريخه الطويل مرتين.



صورة لمسجد قرية ناجاكو قبل التخريب الشيوعي

وانه ظل طول تاريخه يصلى فيه ويعمر بالصلاة وذكرالله إلى ان جاءت الثورة الثقافية في طغيان الشيوعية في الصين وهم لايذكرون كلمة طغيان الشيوعية بل ولايذكرون الشيوعية أوالا شتراكية في كلامهم في العادة بحال من الاحوال لا مدحًا ولا قدحًا وإنما يعبرون عن ذلك بالثورة الثقافية اوخلال حكم عصابة الأربعة فاستولوا على المسجد وصادروه من المسلمين وجعلوه مصنعا ولم يرعوا حتى كونه مصنعا من ناحية صيانته بل أهملوا ذلك وخربوه، ولك أن تتصور المسجد حينما يحال إلى مصنع.

وقد رأيته كذلك خربا قد تهدم سقفه وتكسرت الاخشاب التي في ارضه وأصبح لايصلح بحالته الحاضرة للصلاة ولذلك فإن الإخوة الآن يعيدون بناءه من جديد وقد قربوا بعض المواد.

وقالوا: إنهم جمعوا من عامة المسلمين عشرين ألف ين وساعدتهم حكومة المقاطعة التي يرأسها الحاج (حسين خي بي لي) بخمسين الف ين مساعدة على بناء المسجد بحجة أنه ذو قيمة أثرية تاريخية، و المقاطعة مقاطعة للمسلمين وإن لم يؤلفوا الأغلبية فيها. الا أنهم يحتاجون مع ماجمعوه إلى مائة الف ين أخرى حتى يستطيعوا أن يكملوا عمارة المسجد.

وكانوا يقولون ذلك وانا أعجب من أمر هذا الدين الإسلامي الذي قل أنصاره بل كثر محاربوه في الصين في وقت من الاوقات ثم نصره الله فكان المسلمون أكثر تمسكا وصلابة في دينهم وحتى إن الدولة ممثلة في حكومة المقاطعة التي كانت تحت سيطرة الشيوعيين المتعصبين وتخلصت منهم مثلما تخلصت منهم في باقي اجزاء الصين وإن لم تتخلص من الشيوعية والاشتراكية بعد قد اعادت المسجد إلى المسلمين ولم تكتف بذلك وإنما اعطتهم خمسين الف ين اسهاماً منها في اعادة تعمير المسجد.



الصورة مع الجماهير في ناجاكو

وقد ودعنا أخوتنا المسلمون والمطر لايزال يهطل بغزارة بالغة؛ وكان المنظر المؤثر أن الأرض كانت قد اصبحت زلقة يعلق طينها الذي سببه المطر بالأرجل ويصعب تخليصها منه ومع ذلك ظلت هذه الجموع ،تواكب الموكب وتسير في زقاق القرية حتى فارقناها. وكان مصورو التلفزة الحكومية والمصورون الآخرون يسجلون ذلك كله.

وأذكر أنني عندما خرجت من المسجد إلى حيث السيارة والطريق زلقة بادر أحد الشيوخ المسنين المسلمين أقدر عمره بما يقارب السبعين سنة فأخذني من أبطي يساعدني على السير في الطين اللين ويمنعني من السقوط

إلى بلدة ينغ أو:

ولن اتحدث عنها مباشرة لانناسنمر في طريقنا إليها بما يستدعي الحديث قبلها وبخاصة قرية في الطريق أيضًا فيها مسجد قديم خربه الشيوعيون إبان الثورة الثقافية وقد أعاده الأخوة المسلمون وإنما نقول هنا إن بلدة(ينغ او) هذه تبعد عن العاصمة ستة وستين كيلومتر وأن ٧٠٪ من سكانها مسلمون.

سار الموكب في الطريق الاسفلتي الذي اصبح سيئًا بعد توالي نزول المطر لأن الطين الذي كان يملأ النقر والحفر الصغيرة الموجودة فيه قد ذاب فاصبح كالماء فصارت السيارات كأنها تسير في بعض الاحيان على أرض غير مزفلتة وكانت مناقع المياه الصغيرة تمنع السيارات من الاسراع لئلاتتلطخ بالماء والوحل.

وقد اخبرنا الإخوة المرافقون من أهل هذه المقاطعة أن نزول المطر بهذه الكيفية في هذا الوقت يعتبر من الأمور النادرة.

ومررنا على فرع صغير من فروع النهر الأصفر فقال الأخ(يوسف ليو) نائب رئيس الجمعية الإسلامية في مقاطعة(نن تشا) وكان يرافقني بالسيارة نفسها طول الوقت من أجل أيضاح مااستوضحه منه في هذه البلاد: إن هناك مسجداً على النهر ولكننا لن نمر بالقرب منه ورأيته على البعد ظاهراً واضحًا الا أنه

ليس بالكبير وقال الأخ يوسف: إن أغلب القرى هنا فيها مساجد لأن المسلمين موجودون في أغلبها ولايمكن لنا أن نزورها كلها وإنما نزور المساجد الأثرية التاريخية الكبيرة التي يحرص المسلمون على اعادة تعميرها. وسألته عن بقية المواطنين غير المسلمين الذين يسكنون هنا فأجاب: إنهم لادين لهم.

ثم مررنا بفرع آخر للنهر الأصفر على هيئة قناة واسعة تفوق في سعتها سعة نهر بردى في دمشق وتتدفق بمياه خصبة لايجود نهر بردى بمثل تدفقها الا في أيام فيضانه.وقد غلبت الصفرة على لون مياه النهر الأصفر بالفعل وذلك بفعل الطمي الذي ينحدر مع الأمطار من التلال الصغيرة التي يمر النهر بمنطقتها في مقاطعة(كانسو) وخارجها.

ثم مررنا بالنهر الأصفر نفسه فرأيناه في هذه المنطقة واسع المجرى ولكنه غير مكتظ بالمياه واخبرونا أن السبب في ذلك قله سقوط الثلج على المناطق الباردة في اعاليه هذا العام.



في الطريق خارج ين تشوان

فقطعناه فوق جسر جيد. وصرنا بعد ذلك نسير مع طريق ازفلتية جيدة وسط حقول خضر نضرة أهم مافيها أشجار التفاح المزهر الذي كنا قد رأينا شجرات منه مزهرة في فندق الصداقة في مدينة(لانجو) وهانحن الآن نرى أشجاراً كثيرة منه وأخبرونا أن المقاطعة تنتج مقادير كبيرة من التفاح سواء في هذه المنطقة أو في شمال المقاطعة.

ولايزال المطر ينزل لذلك خلا الطريق أوكاد من المارة والمتفرجين برؤية الموكب الذي لاشك في أنه ليس مألوفا للريفيين من أهل البلاد لأنه بالإضافة إلى السيارات العديدة المعتادة فإنهم ارسلوا معنا سيارتين عسكريتين اضافيتين جعلوهما تتقدمان الموكب احداهما من الجيش في المنطقة والثانية من الشرطة.

وفي الساعة الثالثة والنصف كنا نمر ببلدة(ينغ أو).

ولم نتوقف في البلدة نفسها وإنما واصلنا السير إلى قرية مسلمة تقع غير بعيدة منها ولكن أشياء استوقفت نظري فيهامنها سور عليها قديم مبنى من الطين يشبه أسوار الطين التي كانت موجودة حول بعض المدن في بلادنا قبل خمسين سنة الا أن هذا السور الطيني الصيني هو أرشق قواما، واحسن بناءً فقد تأنقوا في بنائه حتى رأيت الطين الخارجي الذي طلي به قد أكثروا من وضع التبن فيه كما كنا نفعل في طلاء حيطان المنازل وأسطحها وهو يمنع الطين من الانجراف عندماينزل المطر ولكنه لايكون في حيطان الأسوار والمنازل الكبيرة المحصنة اكتفاء بكون تلك الحيطان تكون غليظة بحيث لايضرها ذهاب مايجرفه المطر من حيطانها.

وأكثر بيوت المدينة التي رأيناها من الطريق هي كذلك من الطين الذي جعلوا لحيطانه أساسات من الحجارة تقيها الرطوبة وفيها أبنية قليلة بالأسمنت.

وكان الشارع الذي مررنا به متوسط السعة عليه أشجار من أشجارالظل الباسقة.

ولم نر أناساً كثيرين في شوارعها مع أن الموكب بهئيته المتميزة يجذب المتفرجين ولاشك في أن ذلك كان بسبب كثرة المطر.

وكل الذين رأيناهم في الشوارع كانوا يحملون المظلات الواقية من المطر.

وعلى البيوت الواقعة في اطراف المدينة أكوام التبن ربما كان ذلك من أجل حفظ التبن لئلا تفسده رطوبة الشتاء وقال لي أحدهم: إنهم يفعلون ذلك من أجل تدفئة البيوت أيضاً في فصل الشتاء ولاأدري صحته.

قرية تاي تسي المسلمة:

قطعنا عشرة كيلات بعد بلدة(يونغ او) فوصلنا إلى القرية المسلمة المقصودة(تاي تسي) وتنقط(تسى) حرفين مع أنها بثلاثة أحرف لأن حرف(تس) ينطق مابين مخرج حرف السين والزاي وهو مخرج غير مستعمل في أحرف الهجاء العربية الفصيحة.

ويقولون: إن معنى اسمها هو(المنصة).

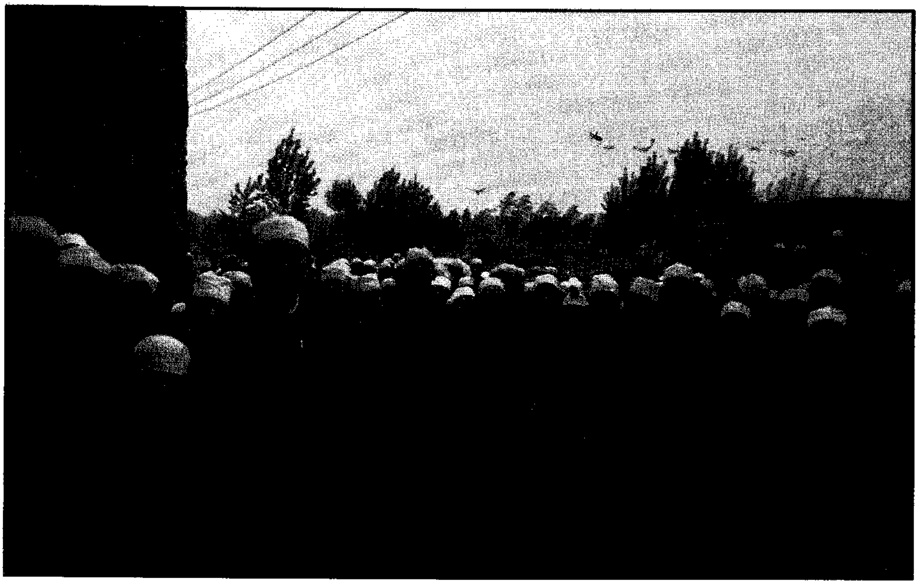
ودخلناها مع طريق اسفلتي جيد لم تفارق جانبيه أشجار الظل الباسقة كسائر الطريق.



الاستقبال في قرية تاي تسي

فوقفنا عند مسجد القرية الذي وجدنا فيه جمهوراً من المسلمين مجتمعين حوله في انتظار وصول الوفد وقد تجمهروا في المسجد وخرجوا في المطر لاستقبالنا خارجه.

منهم الحاج(إسحاق كاي تشي نين) نائب رئيس الجمعية الإسلامية في المنطقة وإمام المسجد الجامع سابقا والشيخ(عباس ما وانقو) نائب إمام المسجد.



جموع المستقبلين المسلمين

وأسرعوا يدخلوننا إلى غرفة كبيرة في جانب المسجد حيث كانوا قد اعدوا مائدة مستطيلة بالشاي الصيني الحار الذي كان له وقع جيد في هذا اليوم الماطر لا سيما مع وجود حبات السمسم التي تسبح على وجوه الفناجين المملوءة بالشاي والتي لايمكن اتقاؤها إلا بإمالة غطاء الفنجان مع ابقائه فوق الفنجان أثناء الشرب و على المائدة كانت المكسرات والفواكه المجففة المعتادة.

ولاحظنا أن مظاهر القوم فيها شيء من مخالفة المظهر الصيني فوجوههم تميل إلى الاستطالة قليلاً وعيونهم تميل إلى السعة بالنسبة إلى وجوه الصينيين

الأصلاء فأخبرني أحد الأخوة بأن فيهم عرقًا من المغول لقرب هذه المنطقة نسبيا من منغوليا ومن المعروف عند أهل هذه البلاد أن أناسا من أهل منغوليا كانوا قد قدموا إليها في مرحلة تاريخية سابقة.

وجرت محادثات مهمة بين الوفد وبين الأخوة المسلمين الذين وجدناهم في هذه البلدة. وكان الأخ(عباس ماوا نقو) هو المتصدر الرئيسي للحديث والقوم يستمعون وقد يعلقون.

فكان مماقاله: إن مسجدهم هذا كان قد خرب بل هدم إبان الثورة الثقافية ولكنهم استعادوه من الحكومة في عام ١٩٨٠م، وبدأوا في عام ١٩٨١م، بإعادة تعميره فأقبل المسلمون على دفع ما يستطيعون من التبرعات حتى جمعنا ما أصلحه بحيث قام هيكله الاسمنتي كما ترونه وكان الهيكل العام فيه قد استكمل بالفعل وإن لم يتم الطلاء ولاتركيب النوافذ في بعض اجزاء المسجدوالملحقات به مثل الغرفة التي كنا جالسين فيها.

عدد المسلمين:

وقال إن عدد المسلمين في قرية(تاي تسي) هم خمسمائة أسرة تؤلف مايبلغ أكثر قليلامن ثلاث آلاف نسمة.

وإنه لايوجد فيها من غير المسلمين إلاعشرون أسرة يبلغ عدد أفرادها مائة وثمانية وعشرين نسمة.

وقال إن هؤلاء المواطنين من غير المسلمين يعملون مع المسلمين في صالح القرية ولايشذون عنهم في ذلك حتى في التبرع لإعادة بناء المسجد الذي خربته الثورة الثقافية إبان نفوذ عصابة الاربعة فقد تبرعوا لذلك مثل المسلمين.

وقال: إن مسارعة المسلمين إلى إعادة بناء المسجد تدعو للفخر والاعجاب فقد كان الذي لايستطيع أن يجد ما يقدمه للمسجد يتبرع بأشياء عينية مما يستطيع حتى إن بعضهم يقدم عدداً محدوداً من لبن الأسمنت أو من الآجر لأنه لايستطيع غير ذلك.

وقال: إن الصلوات الخمس كلها تقام في المسجد حتى العشاء والفجر وان عدد المصلين في الاوقات المعتادة هو في حدود خمسمائة مُصلٍ وأما صلاة الجمعة فانه يحضرها في المتوسط مابين سبعمائة إلى ثمانمائة مُصل.

وتتبع المسجد مدرسة للعلوم الإسلامية يدرس فيها الآن حوالي اربعين دارسا ليسواكلهم من صغار السن وإنما بعضهم من الكبار الذين يريدون أن يتفقهوا في أمور دينهم.

ولاشك في أن هذه المدرسة أشبه بالكتاب ولكن مجرد وجودها على هذه الصفة يعتبر تقدما عظيما بل فتحًا مبينًا في هذه البلاد التي ابتليت بالشيوعية وكانت شيوعيتها متعصبة بل فظة في تعصبها في ذلك الوقت الذي يسمى وقت الثورة الثقافية أو وقت تسلط عصابة الأربعة على مقدرات الصين.

وقد قال بعض المسلمين هنا وهم فرحون بأن الحياة الآن احسن من ذي قبل وأنهم يأملون في أن تكون احسن في المستقبل وهم لا يستطيعون أن يقولوا أكثر من هذا لأن الحكومة الحاضرة هي بالفعل أحسن من الحكومة الشيوعية السابقة وإن كانت الحكومة الحاضرة لاتزال تسمى نفسها حكومة شيوعية وتتصرف على هذا الأساس إلا أنها تقول وتكرر القول بأن السير على بعض النظم المتعصبة البالية فيما يسمونه بتطبيق الشيوعية قد أضرباقتصاد البلاد ومس كرامة الشعب الصيني العريق حيث كان قدقضى على حرياته وحاول هدم تقاليده وموروثاته.

وقالوا: إن الفلاحين قد أصبحت لديهم مدخرات كثيرة من الفلاحة لأنهم أصبحوا يستطيعون أن يبيعوا ماينتجونه من مزارعهم وأشجارهم بحرية ويتمتعون بعائدذلك حتى تمكن بعضهم من شراء جرارات زراعية صغيرة.

وكانوا يذكرون ذلك بكل فخر واعتزاز وكأن امتلاك جرار صغير يعادل امتلاك أسطول من السيارات والآلات الزراعية في البلاد الحرة غير الشيوعية.

ثم ذكرو أن المسلمين قد طبخوا طعاما خاصا بنا وأن عدداً من أهل القرية يريدون منا أن ندخل إلى بيوتهم لتناول الطعام ولحصول البركة من دخولنا بيوتهم لكوننا قدمنا من الحرمين الشريفين.

وتلك فرصة- كما قالوا- لم تسنح من قبل بل هو شرف عظيم لم تحظ به منطقتهم- على حد تعبيرهم جزاهم الله خيراً.

وقد أفهمهم الإخوة المرافقون بأن الوقت ضيق وأن الوفد قد تأخر في الوصول اليهم بسبب المطر المتواصل كما أن العودة إلى مدينة(ين تشوان) عاصمة المقاطعة تحتاج إلى وقت إضافي لهذا السبب ولدينا برنامج مرسوم من قبل هناك.

ثم عادوا يكررون الحمد لله والشكر لهذه الحكومة الحاضرة على تبدل حالتهم حتى قال خطيبهم : إن بعض المسلمين من اصحاب الحرف اليدوية الحرة قد صارت لديهم أرباح خاصة بهم لأنهم صارو يعملون بحرية للآخرين وعند الآخرين بخلاف ما كان عليه الحال في السابق عندما كان كل شيء مقيداً.

وقالوا: إنه حتى التجارة صار فيها شيء شخصي مربح لمن يعملون فيها.

وخلصوا من ذلك إلى القول بأنهم لهذا السبب يفكرون الآن في بناء مسجد آخر جديد في القرية يكون مخصصا للنساء.

وذكروا بل ألحوا على حاجتهم الماسة إلى الكتب الإسلامية باللغتين الصينية والعربية .

وقالوا: إنه يصعب الحصول عليها حتى بالشراء.

وقد رددت على الخطيب بكلمة حمدت الله فيها وشكرته على أن يسرلنا الاجتماع بهم وسماع مايريدون أن يقولوه وكررت ما كنت ذكرته لغيرهم من مهمة الوفد، ومن عمل رابطة العالم الإسلامي.

وقلت لهم: إن ماذكرتموه عن تبدل حال المسلمين هنا من السيئ إلى الأحسن لهو ممايثلج الصدر وسوف ننقل ذلك إلى إخوتكم المسلمين في سائرأنحاء العالم.

كما أننا في رابطة العالم الإسلامي لن ندخر وسعًا في مساعدتهم على مشروعاتهم الإسلامية وخاصة ماذكروه من حاجة المسجد إلى مرافق وفراش.

وعندما انقضت الكلمات ذكروامن تاريخ بناء هذا المسجد أنه كان مبنيًا بالخشب منذ مائة وعشر سنوات وأنهم أنفقوا على اعادة بنائه بعد أن استعادوه من الدولة أكثر من مائة الف ين ومع ذلك لايزال بحاجة إلى إكمال مرافقه.

في أحد بيوت المسلمين:

طلبوا منا وألحوا على أن ندخل بيوت المسلمين في القرية لأنهم علموا بقدومنا وأملوا فيه فاعتذرنا بضيق الوقت ولكن ذلك لم يقنعهم فاتفق الأخوة المرافقون على الاكتفاء بدخول بيت واحد.

اسم صاحب البيت الطبيب(ادريس وانغ تشن تشونى) قالوا إنه طبيب شعبي وإنه يعمل لنفسه، وليس لدى الحكومة.

وكان في الاستقبال الأخ الطبيب المذكور وإن كان لايحمل شهادة طبية حديثة فهكذا يسمونه؛ له أربعة أولاد بنتان وابنان ،إثنان من أولاده تخرجا في الجامعة، وقال: إن له ثلاثة أحفاد، والتنويه بما للرجل من أولاد أوأحفاد يتخذ في الوقت الحاضر معنى خاصا لأن الحكومة الصينية قد حرمت زيادة الإنجاب على ولد واحد للأسرة الواحدة. بل قالوا: إنه ولد وحيد بمعنى أنه لاثاني له هكذا رأيناهم كتبوافي بعض كتبهم بالإنجليزية ولكن بعض الناس وبخاصة في القرى والأياف لم يمتثلوا لذلك امتثالاً كاملاً فالمسلمون مثلا خارج المدن قد تغض الدولة النظر عن مخالفتهم لهذه القاعدة على اعتبار أنهم من أهل الريف الذين لايشكون ضغطًا في المساكن ولا يتسببون في ارهاق ميزانية المدن التي تنفق عليها الدولة.

وهذا بطبيعة الحال كله بالنسبة للاولاد الذين ولدوا بعد صدور قانون الإنجاب والا فإن الذين ولد لهم قبل ذلك لايشملهم هذا الأمر.



في بيت أحد المسلمين في تاي تسي

أما البيت نفسه فإنه طيني، بل هو من الطين كله دخلنا إليه من باب خارجي إلى فناء مكشوف (حوش) تفتح عليه أبواب غرف عديدة رأينابها عدداً من النسوة المسلمات ينظرن من دون أن يقتربن من الوفد والمرافقين، فضلاً عن أن يجرأن على السلام أو الكلام.

وقد اخبرونا أنه يضم أكثر من الأسرة الواحدة التي تعني رجلا وزوجه واولادهما ودخلنا غرفة طينية من تلك الغرف مسقوفة بالخشب ومدعومة تحت الخشب بخشب قوي اسفلها يساعد على حمل السقف.

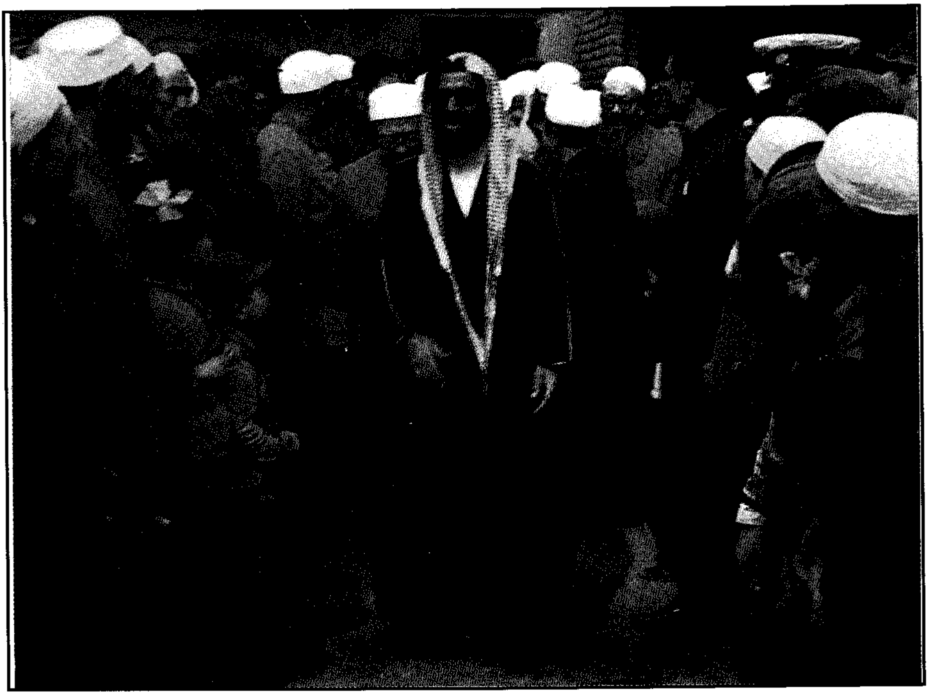
وذكروا أن هذا البيت بنى قبل خمس واربعين سنة وأن بيوت الطين إذا تعهدها أهلها بالترميم والملاحظة فإنها تعيش مدداً طويلة لأنها هي الشائعة عند الناس في هذه الارياف وفي اطراف المدن أيضًا وذكروا أن كثيرا من الناس يشعرون أنها أكثر ملائمة للسكان في هذه البلاد التي يشتد فيها البرد في الشتاء. ويكون فيها صيف حار أيضًا وذلك لكون الطين عازلاً للحرارة. ولكون هذه البيوت كلها تبنى من بيئتهم أما الأشجار التي يأخذون منها أخشاب السقوف فهي أشجار الصفصاف التي تكثر عندهم.

جلسنا في غرفة الضيوف في البيت على دكة عالية في مقدمة الغرفة مرتفعة عن باقي الغرفة وجلس معنا عدد من علية القوم وهذا هو مكان الضيوف الذين يجلونهم.

وجلس سائر الناس الذين صحبونا من القرية أسفل من ذلك على أرض الغرفة.

ووجدناهم قد أعدوا قبل وصولنا على هذه المنصة المرتفعة أنواعًا من المكسرات والكعك والخبز اليابس والحلوى ومع ذلك الشاي الصيني الشبيه بالأخضر. وفيها مدفئة للحاجة إليها في هذا اليوم الندي، وجلس معنا صاحب

البـيت بناء على إلحـاحنا وإلا فـإنه كـان قـبل ذلك واقـفًا بمثابة المسـتـعد لخـدمـة ضيوفه.



الوصول إلى القرية المسلمة

وتجدر الاشارة إلى أن هذا البيت الطيني ملك له وحده كما اخبرونا.

كـان أول شيء بدأوا بـه ونحن نتناول المكسـرات والشـاي أن احضـروا اربعـة أطفال من أبناء المسلمين وأمروهم بقراءة بعض السور القصار يقرأ الواحد منهم من السـور من حيث انتـهى صاحبه بعضـهم مثـلا قـرأ: (قل يـا أيهـا الكا فرون) والذي بعـده(إذاً جـاء نصـرالله والفـتح) وهـم كلهم في سـن تتـراوح بـين الثـامنة والثـانيـة عـشرة فـهم إذا مـن ناشـئة المسلمين الذين ولدوا فـي الشـيـوعـيـة، ولكن أهلهم استطاعوا أن ينشئوهم تنشئة إسلاميـة رغم قلة الوسائل، وعنف الهجمة الشيوعية الإلحادية وبعد أن فرغ الأطفال من تلاوة القرآن الكريم أخذنا بالحديث

معهم عن شئون مختلفة من شئون المسلمين وإن كنا لانطمع في أن يكون حديثهم صريحًا في انتقاد ما قد يريدون انتقاده من أعمال الدولة أو حتى في الشكوى إلينا نحن أخوتهم في الإسلام الذين قدموا من بلاد المسلمين لأننا وفد رسمي يعلمون كما يعلم غيرهم أن الحكومة قد احاطته بمرافقين ومراقبين فضلا عن السماعين المحليين لها.

وكان من أهم ماتحدثوا به شوقهم العظيم إلى حج بيت الله الحرام الذي كانوا قد منعوا منه عدة أعوام واتيحت الفرصة الآن لبعضهم إذا تيسرلهم الحصول على عملة أجنبية قابلة للتحويل.

وقدموا إلينا رجلا قالوا وهو يسمع: إنه كان قد جمع كل مايملك وخرج من هذه المقاطعة مقاطعة(كانسو) قاصداً باكستان من أجل أن يحصل على تأشيرة للحج ففاته الوقت لطول الطريق وغاب عنا ستة أشهر ثم عاد من دون أن يتمكن من اداء الحج بعد أن أنفق كل ما كان قد جمعه.

وكانت قصة هذا الأخ مؤثرة، ومنظره أيضًا يبعث على التأثر الشديد لاسيماوهو يروي قصته ينظر إلى المترجم الذي كان ينقلها إلى العربية.فكانت جميع خلجات وجهه توحي بالتأثر والأسف .

ولاشك أن السبب في ذلك هو كونه لم يستشر مجربا في الحصول على سمة الذهاب إلى الحج.

وعمنا الأسف والأسى لحالته وطلبنامنهم أن يعطونا اسمه ووعدناه أن نبذل جهدنا لتمكينه من الحج في العام القادم إذا تقدمت الجمعية الإسلامية الصينية باسمه ضمن أسماء المسلمين الراغبين في اداء فريضة الحج كما اعتادت الرابطة أن تقدم اسماءهم إلى وزارة الخارجية في المملكة العربية السعودية لتأمر باعطائهم سمات الدخول إلى المملكة بغرض الحج تحت كفالتها.

واعلنت له أمام أهل القرية أنه يسرنا أن نستقبله ضيفا على رابطة العالم الإسلامي عند وصوله إلى المملكة وأثناء موسم الحج حتى مغادرته.

فسر بذلك ووعدنا نائب الجمعية الإسلامية في المقاطعة الذي كان حاضراً معنا بأن يقدم اسمه إلى الرابطة لهذا الغرض قبل حلول موسم الحج بوقت كافٍ.

وكانت هذه الجلسة مع الإخوة المسلمين في هذه القرية المسلمة من الجلسات الطيبة التي لاتكاد تمحى من الذاكرة.

العودة إلى ين تشوان.

ودعونا بحفاوة بالغة وودعهم الوفد كذلك وانطلق الموكب في جوماطركشف عيوب الطريق الأزفلتي إذ كانت النقر والحفر الصغيرة فيه قد ملئت بتراب أزاحه المطر أو أذاب طينه فأصبح الموكب يمشي رويدارغم الحاجة إلى السرعة لأن لنا موعداً هناك في عاصمة الولاية(ين تشوان) نريد إدراكه ولأن لنا حاجة ملحة نريد قضاءها في فندق الضيافة مبعثها أننا فارقناه منذ ساعات وشربنا الشاي عدة مرات في هذا الجو الماطر البارد الندي ولم نستعمل حماما أثناء هذه المدة.

عدد المساجد في هذا الريف.

مررنا بمسجد جديد ظاهر على الطريق الازفلتي، وكان ظهوره وبروزه مع جدة بنائه هو الذي لفت نظري مع بهجة طلائه ورونق مظهره وهذا أمر له معناه في بلاد سادتها الشيوعية كما سبق أن ذكرته عند الكلام على جولة المساجد في مدينة (لانجو) عاصمة مقاطعة(كانسو).

فسألناهم بهذه المناسبة عن عدد المساجد في هذه المنطقة؟، فأجاب رئيس الجمعية الإسلامية التي هي الجهة الوحيدة المسئولة عن المساجد التي تعترف بها الحكومة إن عددها يبلغ مائة وخمسين مسجداً.

وهذا رقم مفرح بل رقم عظيم لايستطيع المسلم إذا سمعه إلا أن يشكر الله سبحانه ويحمده، وقد فعلنا ذلك.

ولكن الأخ نائب رئيس الجمعية أضاف شيئًا مفرحًا آخراً الا هو قوله: إن هذه المساجد كلها مساجد جديدة فقلنا..و(يأبى الله الا أن يتم نوره).

وقد سلكنا في العودة إلى عاصمة المقاطعة(ين تشوان) طريقا أخرى غير الطريق التي قدمنا بها إلى قرية (تاى تسي).

فأبصرنا الريف زراعيا أكثر الغلات فيه هي الحبوب وأهم مظهر من مظاهر ذلك كثرة التبن الذي وضعوه على سطوح المنازل وحتى رفعوه هنا كتلا كبيرة فوق الأشجار الكبيرة وربطوه هو إليها ربطًا وثيقا لايسقط مع الرياح وإن كانوا قد وضعوه فوق الجذوع القوية لفروع الأشجار ففي هذا صيانة له عن أن تفسده رطوبة الشتاء على الأرض ومنعا من الحيوانات عن أن تصل إليه.

وكان المطر لايزال ينهمر وهم يقولون: إنه ليس من المعتاد سقوط الأمطار بهذه الكثرة في هذا الفصل من السنة. ولكن استمرار سقوط المطر عزز في نفوسنا الشعور بخصب هذا الريف الصيني البعيد بل الموغل في البعد عن عاصمة الصين(بكين) وعن المراكز الإدارية في الجمهورية الصينية الشعبية التي يزيد سكانها على الألف مليون.

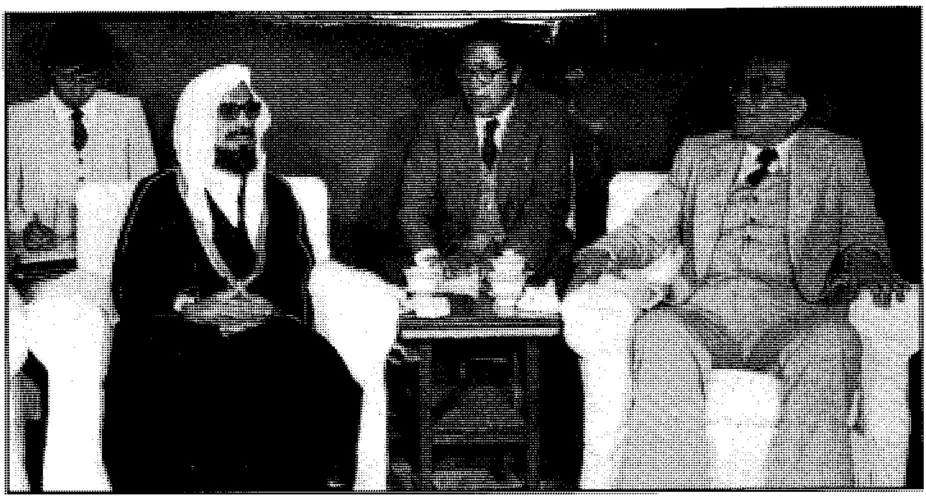
ومررنا بقرية اسمها(أوجونغ) أهم مافيها على الطريق بالنسبة الينا مسجد جديد ظاهر قالوا إنها مثل قرية(تاي تسي) تابعة لمحافظة في المقاطعة غير محافظة العاصمة.

وعندما وصلنا فندق الضيافة في ين تشوان كانت الساعة قد تجاوزت السادسة وهو موعد حفلة العشاء التي سيقيمها رئيس حكومة المقاطعة فبادر الرفاق مسرعين يصعدون الدرج بدون أن يتمهلوا فيمسحوا احذيتهم التي في ارجلهم بماسح كانت إدارة الفندق ممثلة في مديرة حازمة قد وضعتها عند المدخل وصعدوا يدوسون على السجاد النظيف الذي يغطي درج الفندق لأن تلبية نداء الحاجة إلى الحمام كانت قد أنستهم كل ذلك.

حفلة رئيس الحكومة:

كان البرنامج يتضمن حضور حفلة على مأدبة عشاء يقيمها للوفد رئيس حكومة مقاطعة(نن تشا) حسين خي بي لي وكان موعدها السادسة وقد وجدناه حاضراً في الفندق غير أنه عندما علم بتأخر وصولنا أخرها نصف ساعة.

وعندما حان الموعد وجدناه قد دعا عدداً من الوزراء وكبار الموظفين من مسلمين وغير مسلمين كما دعا إليها كبار المسلمين.



مع رئيس الوزراء حسين خي بي لي على يسار المؤلف المترجم الاستاذ لقمان ماشان لي وخلفه أحد الصحفيين يسجل مايدور من حديث

واقام مأدبة عشاء فخمة صينية أصيلة غير أن صينيتها كلها ممزوجة بمزاج إسلامي صاف خالٍ من الوسواس بدخول شيء من المنكرات أوالمحرمات فيها فلم يكن فيها شيء من ذلك وعندما صفت اطباق المقدمات الشهيرة وبعضها كان غريبا نهض الداعي رئيس الحكومة المحلية الأخ(حسين خي بي لي) فألقى كلمة ترحيب بالوفد.

فردت عليه بكلمة مناسبة تضمنت شكره وشكر الأخوة المسلمين في هذه المقاطعة التي تشتهر بأنها مقاطعة للمسلمين من قومية(خوي) وأنها متمتعة بالحكم الذاتي وقلت له: إنه مادامت هذه المقاطعة معروفة بهذه الصفة فإننا نرجو أن تكون بمثابة المثال الطيب للمقاطعات وأن تكون مشرفة للمسلمين وأن تسبق في التطوير والتقدم المادي والمعنوي بقية المقاطعات المماثلة لها في الظروف والامكانات.

وبخاصة في موضوع المساعدة على ترميم المساجد القديمة وتشييد المساجد الجديدة وتثقيف المسلمين ثقافة إسلامية صحيحة.

ثم توالت أطباق الطعام الغريبة وفيها عصب خف البعير، والأرز بالعسل، والحلوى في منتصف الطعام وأنواع متنوعة من اللحوم من الغنم والبقر والطيور حتى إنهم جاؤا بثلاثة حملان صغيرة. والحمل ولد الشاة الصغير و كلها مشوية قالوا: إن عمر الواحد منها أربعون يوما فقط، وكانوا قدموا قائمة الطعام في أول المائدة فعرفنا ماسوف يقدم لنا.

وفي ختام المائدة أمر الرئيس بإحضار الطباخين ليسلموا علينا وليرينا أنهم كلهم من الإخوة المسلمين كما حضر للسلام معهم أيضًا النساء اللائي كن يقدمن الطعام وهن مسلمات أيضًا.

محافظة تونغ شين

تقع محافظة تونغ شين في الجزء الأوسط من مقاطعة نن تشا ،على حدود مقاطعتي كانسوو شنشي، وبالقرب من منطقة منغوليا الداخلية.

ويكثر في هذه المحافظة المسلمون حتى وصلت نسبتهم إلى ٨٠٪ من مجموع السكان وهي أول منطقة أسس فيها حكم ذاتي للمسلمين من قومية خوي في جميع أنحاء الصين. ولذلك تكثر فيها المساجد ومنها مسجد تاريخي عريق سيأتي الكلام عليه.

وتزدهر فيها زراعة القمح والأرز وبساتين التفاح كما تشتهر بإنتاج البطيخ والشمام.

يوم الأربعاء ١٤٠٤/٨/١هـ ١٩٨٤/٥/٢م

إلى مدينة تونغ شين:

توجه الموكب في السابعة والنصف صباحا إلى مدينة(تونغ شين) وتبعد مائتين وسبعة وعشرين كيلو متراً عن مدينة(ين تشوان) عاصمة مقاطعة(نن تشا) التي هي مقاطعة للمسلمين كما تقدم ومتمتعة بالحكم الذاتي وهذه المدينة تابعة لهذه المقاطعة.

ومعنى هذه المسافة أن علينا أن نقطع بالسيارة أكثر من أربعمائة وخمسين كيلو متراً في الذهاب والإياب في الطريق البري من أجل زيارة هذه المدينة التي تضم أعداداً كبيرة من المسلمين من أهلها وتعتبر مدينة نائية.

والسبب في السفر إليها إضافة إلى السلام على الإخوة المسلمين الذين يعتبرون في مكان ناءٍ بعيد عن الطرق المسلوكة المعتادة هو مشاهدة مسجد تاريخي عظيم فيها ومشاهدته لمجرد المشاهدة تستحق الزيارة ولكن إخوتنا

ارادوا أن تكون المشاهدة وأملوا أن تتبع المشاهدة المساعدة على إعادة ترميم ذلك المسجد التاريخي العظيم الذي يذكرونه ذكراً مقرونًا بالفخر.

ومجرد وصول وفد من الأراضي المقدسة من مكة المكرمة إلى أي مدينة فيها مسلمون هو مقصد من المقاصد التي تستوجب الزيارة وهو مطلوب لذاته فإذا انضم إلى ذلك مقصد إسلامي آخر كان هذا مطلوبًا على مطلوب أو نوراً على نور.

تألف الموكب هذا اليوم من ست سيارات تتقدمها سيارة عسكرية أظنها للشرطة.

ومررنا بمستشفى حكومي فسألتهم عن كيفية العلاج فيه ؟؛ فأجابوا بأنه لابد لمن يأتي للعلاج فيه من أن يدفع ثمن الدواء الذي يحتاجه.

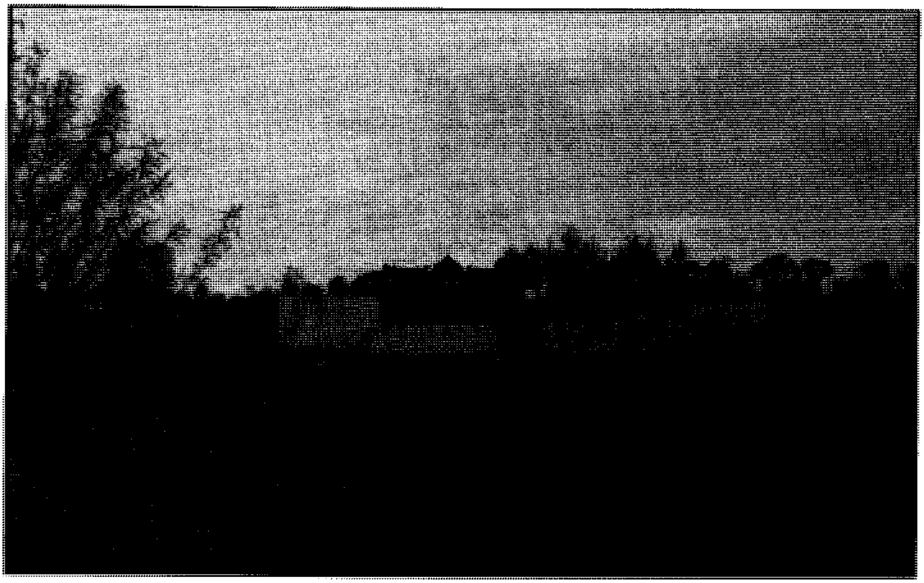
وكان سير الموكب وئيداً بسبب ماخلفه المطر أمس والبارحة من مناقع في الحفر التي حفرها الزمن في الطريق الاسفلتي فحد من إندفاع السيارات. وكان هذا أمراً محموداً بالنسبة إليّ رغم كونه قد يكون مضيعة للوقت لأنني أعتبر استجلاء ما حول الطريق من هذه الأرض النائية من البرالصيني الشاسع أمراً مرغوبًا فيه بل إن الوقت الذي يذهب في ذلك لم يذهب سدى.

ثم مررنا بمعهد زراعي على الطريق الاسفلتي أيضًا وذلك بعد أن قطع الموكب خمسين كيلو متراً من الطريق وهو في مكان ريفي وليس في مدينة من المدن ولاشك في أن الريف احق بالمعاهد الزراعية من المدن.

ومع وجود هذا المعهد الزراعي الذي يوحي بالحداثة في الزراعة فإنني رأيت ماقد يتنافي مع ذلك. أومايظهر أنه كذلك وهو منظر أناس يزرعون الأرزمعهم حمار وفرس يستعينون بهما بدلاً من الآلات الزراعية الحديثة- إن صح التعبير- أو لنقل على الأدق،:إن ذلك لكونهم، لم يحصلوا على الآلات الزراعية الحديثة.

مسجد ياتشنغ:

مررنا بمسجد على الطريق أخبرنا الأخوة المرافقون أن اسمه(ياتشنغ) فالتقطنا له صوراً وقد أعجبنا لكونه أحسن بناء موجود في القرية وهذا ممايدل على عناية هؤلاء الأخوة المسلمين بدينهم.



مسجد في الطريق

ولذلك شواهد تقدم ذكربعضها وسيأتي ذكر الآخر وهو أن غالب المنازل في هذا الجزء الشمالي الغربي من الصين مبنية بالطين مثلما كانت البيوت لدينا في نجد قبل التطور الأخير إلا أنهم يخصون المسجد ببنائه بالحجر أو الخشب الصقيل المعتنى به الذي يجعله يبدو كأنه المبنى الاسمنتي المعتاد.

ثم مررنا بقرى متعددة كلها ريفية وبعضها صغير وفيها سكان مسلمون عرفنا ذلك من دون تعريف بالقلانس البيض وهي الطواقي- جمع طاقية- التي يضعها المسلمون فوق رءوسهم مع أن المسلمين لايلتزمون كلهم بأن يضعوا على رءوسهم الطواقي ولكن هذه عادة شائعة لدى كثيرمنهم.



قرية بين لانجو وين تشوان

بلدة أو تنغ:

بعد مسيرة ثمانين كيلو متراً مر الموكب مع الشارع الرئيسي لبلدة تسمى (اوتنغ) والشارع الرئيسي فيه السوق الرئيسية التي تكون في الصين حافلة بالمتاجر الصغيرة غير الحافلة بالسلع أو بالبسطات وهي الأشياء الصغيرة التي يعرضها أربابها للبيع منشورة على فراش فوق الأرض أو عربة من عربات اليد. وذلك لعدم وجود الحرية التجارية الكاملة في البلدان الشيوعية كما هو معروف على أن الصين الشعبية هي من أقل البلدان الشيوعية تعصباً لاحتكار التجارة الصغيرة.

والبيوت الواقعة على هذا الشارع الرئيسي واجهاتها من لبن الإسمنت أوالآجر بخلاف البيوت الواقعة على الأزقة والشوارع الداخلية فهي من الطين.

وقد رأيت فيها مارأيته في أماكن عدة من كونهم لايزالون يبنون بالطين أويرممون البيوت الطينية القديمة به.

ومن المظاهر القديمة في هذه البلدة حمار يجر عربة ويسير في الشارع الرئيسي في البلدة ورجال أمامهم عربة يد محملة يدفعونها بأيديهم.

وتقع البلدة على قناة قدشقت من النهر الأصفر. وفيها محلات أحسن حالاً من بيوت الطين المعتادة ومن ذلك أبنية حكومية حديثة مما تؤجرها الحكومة لموظفيها وعمالها وبيوت أخر مسنمة السقوف رغم كون البلاد ليست مطيرة وربما كان ذلك من أجل سهولة انزلاق الثلج عن السقف المسنم وإلا فإن غالب البيوت فيها ذوات سقوف مسطحة.

وفي أطراف البلدة القديمة منازل ريفية من لبن الطين- جمع لبنة- على سطوحها أكوام من تبن الأرز أو القمح - لاأدري فالمنطقة تزرع الاثنين- ولذلك رأينا في ريفها بعد ذلك قمحًا أخضر نضراً .



موكب وفد الرابطة واقف تحت الأشجار الباسقة التي تزين جانبي الطريق

وتزين أشجار الطريق الباسقة هذا الطريق وهي لم تفارقه منذ مغادرة مدينة (نن تشوان) عاصمة المقاطعة الا أنها في بعض المواقع أكثر ظلالاً وأكثر ارتفاعا كما هوعليه الحال في ريف هذه البلدة.

وقد شعرنا بأن الجو قد برد قليلاً الا أن المطر لم ينزل لحسن حظنا لأنه يعكر علينا صفو الرحلة ولو لم يكن من ذلك إلاّ الإعتام على المصورات، وعدم رؤية الحفر والنقر في الطريق الاسفلتية و الوحل في الأماكن غير المسفلتة خارج الطريق والا فإن الطريق كله مزفلت.

قطعة من الصحراء:

سبق أن قلنا وأكدنا قولنا بأن هذه المنطقة هي قطعة من الصحراء لولا وجود هذا النهر الأصفر العظيم الذي يمدها بالماء والنماء تماما مثلما عليه الحال في صعيد مصر مثلا بل في مصر كلها التي هي- في الحقيقة- صحراء قاحلة لولا نهر النيل الذي يمدها بالمياه وأسباب النماء من الطمي الذي يخصب الأرض ويجدد شبابها.

وقد تذكرت ماذكرته من قبل حول هذا الموضوع عندما خرجنا من بلدة (أوتنغ) هذه التي نشأت وربما كانت أقيمت في الأصل بسبب وجود هذا الفرع من النهر الأصفر إذْ ما أن فارقناها خارجين من الوادي المنخفض الذي تقع فيه حتى شعرنا بأننا قد خرجنا من الوادي الخصيب إلى وجه الصحراء الجديب. إذْ اصبحنا في أرض صحراء جهراء، أي مستوية لاتختلف عن صحرائنا العربية بشيء.

ومع ذلك شعرنا بشيء شدنا إلى العصر الحديث عند حدود هذه الصحراء الصينية مع الوادي الخصيب الذي تقع فيه هذه المدينة إذ شاهدنا مصنعًا للاسمنت ذكروا أنه صغير وأنه يوجد في المنطقة مصنع للاسمنت آخر أكبر منه.

ورأينا طوائف من السكان يسيرون راكبين دراجاتهم على هذه الطريق ، وهذه المنطقة منه يصح أن تسمى بالطريق الصحراوي.

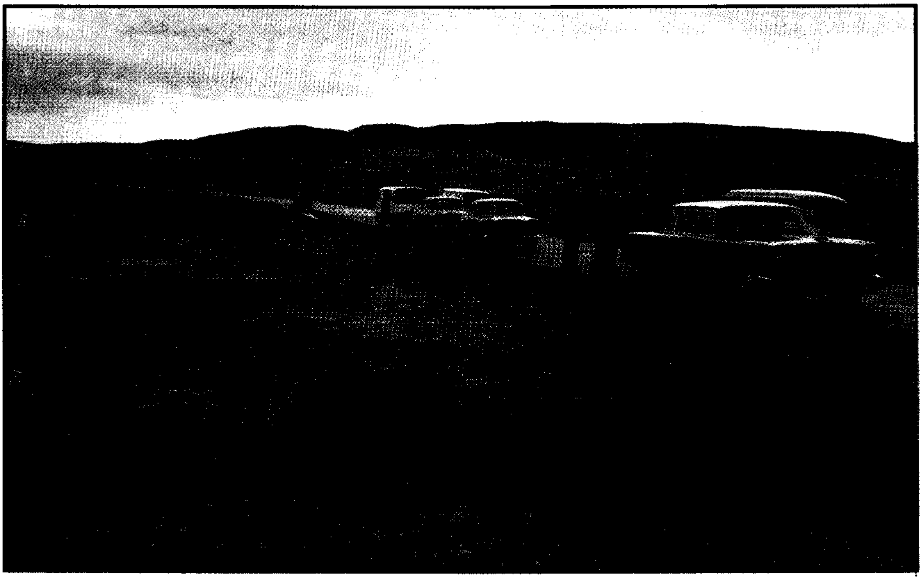


في الطريق بين ين تشوان وتونغ شين

وقد حسنت حالة الطريق نفسه وذلك بسبب بعده عن مضايقات الريفيين ورطوبة المياه، وتزين هذه الصحراء تلال طينية متطامنة.

وقد شعر ركاب الموكب بمايشعر به من أكثر من شرب الشاي أو القهوة في صباح يوم من أيام الشتاء، فأوقفوا السيارات على جانب الطريق الصحراوي وتفرقوا بين الشعاب والتلال الامن كان منهم من الكفار فانهم وقفوا بثيابهم وبالقرب من اصحابهم يبولون ولايبالون بما أصاب من ذلك من ثيابهم.

ولقد أبعدت قليلاً ابتغاء لمكان مطمئن وهو الغائط في اللغة الفصحي وبه سمي(النجو)أو البراز بلغة الأطباء لكون من يبتغى ذلك يذهب إلى مكان غائط في الأرض أي مطمئن أو منخفض فيها.



الموكب واقف في الصحراء بين ين تشوان وتونغ شين

وشعرنا ببرودة الريح وكانت الشمس غائمة والأرض رطبة على أثر المطر الذي سقط أمس فكان الاحساس بحالة الجو يشبه الاحساس بحالة الجو في الشتاء في نجد واعتذر الرفاق عن البرودة في الجو في هذا الفصل الذي هو فصل الربيع وقالوا: إن هذا البرد جاءنا من (سينكيانغ) وهي تركستان الشرقية التي قد منا منها قبل أيام قليلة فقلت لهم كأنما كان برد تلك المنطقة يلاحقنا.

وقد قصصت قصته في كتاب« في مهد الترك» ويمكنك أن تطالعه إن شئت.

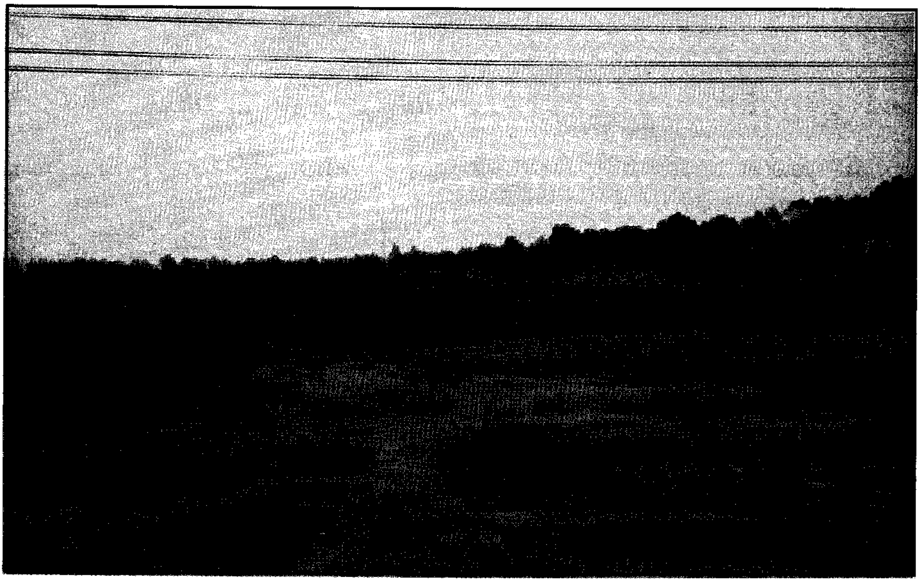
فوق رأس البقرة:

الصينيون مولعون بالتشبيهات والمجازات في لغتهم ولا يستطيع أن يتحدث عن ذلك بالتفصيل الا خبراء بلغتهم ولست منهم غير أنني لم أعدم شواهد على ذلك كثيرة تمر في أضعاف الكلام أو تحس بها في الأسماء أو الصفات عندهم.

ومن ذلك أننا رأينا على البعد تلة جبلية صحراوية فقالوا: إنها (نيو تيو تشان) ومعناها: (جبل رأس البقرة) فنيو هو بقرة ويذكرنا ذلك بماسبق أن أوردناه عن (جامع) (نيوجيه) في بكين الذي قالوا: إن معناه جامع حي البقرة أوشارع البقرة. وتيو: رأس وتشان: جبل. وذكروا أن هذا الجبل سمي بذلك لمشابهته في المنظر لرأس البقرة.

ولم أر عند رأس البقرة شيئًا من البقر وكان الأولى به أن يسمى رأس البعير لأنه واقع في صحراء ولأن مثل هذه المنطقة- لولاقناة النهر الأصفر- لاتعيش فيها البقر وإنما تعيش فيها الإبل، ولكنني رأيت قطيعًا من الغنم البيض يرعى في هذه الصحراء كما ترعى الأغنام في صحرائنا العربية.

وذلك رغم كون الرعي هنا قليلاً فعدا بعض الأشجار القليلة اللاطئة بالأرض فإنه ليست هناك اعشاب خضر في الصحراء ماعدا ما كان على جانبي الاسفلت مباشرة لأن المطر القليل الذي سقط وتسرب إلى جانبيه تسبب في إنباته.



الصحراء القريبة من مجرى النهر

واخبرونا أن الاغنام ترعى الاعشاب اليابسة التي كانت قد ازدهرت في الصيف الماضي، وإذا جاءها الشتاء البارد جفت ويبست ولكنها تبقى صالحة لرعي الأغنام وذلك خلاف ما يكون عليه الحال عندنا حيث تجف الأعشاب بعد الربيع ثم تكون هشيمًا تذروه الرياح قبل حلول العام القادم. وقد اخبرونا أنه نظراً لبرودة الجو فإن المطر القليل يكفى لإرواء العشب لمدة طويلة.

على رأس البقرة:

وصل الطريق إلى جبل رأس البقرة الذي تبين أنه ليس جبلاً صخريا عاليا، وإنما هو تلة جبلية متسعة يتألف ظهرها من الطين والحجارة وسبب كونها ترى على البعد هو كونها تقع على ظهر حزم مرتفع من الأرض.

ولذلك ركبه الطريق الاسفلتي ولم بجانبه

إلى الوادي الخصيب ثانية:

بعد نصف ساعة من السير في هذه الصحراء القاحلة هبط الطريق إلى منطقة منخفضة من الأرض على هيئة واد غير عميق يجري فيه النهر الأصفر نفسه إلا أنه غير متسع جدا بسبب وجود الأماكن الصخرية المرتفعة التي تحاصره.

فتبدلت المناظر فجأة من صحراء كدرة إلى أرض خصبة نضرة وكان من أول مايلفت النظر مزارع الأرز التي بسطوا فيها الأغطية الرقيقة من اللدائن من أجل حماية الأرز مادام صغيراً من البرد.

وشجرة تشبه الأشجار الصحراوية المتوسطة أسرع المرافقون يروننا اياها باهتمام وهم يقولون(كوتشي) (كوتشي) ولم أفهم أول الأمر حتى شرحه لي الأخ

المترجم (لقمان ماشان لي) فقال: هذه الشجرة ذات حبوب مشهورة في الصين بأن تناولها مفيد جداً وبخاصة لكبار السن فهي تغذي الأعصاب وتسبب إسالة الدم في العروق وهي التي اهدى اليكم منها رئيس وزراء هذه المقاطعة(نن تشا) كما أنهم في المائدة الرسمية وضعوا في طبق الحسا ثلاث حبات منها لكل شخص فتذكرت ذلك وأن حبوبها في حجم حبة الهيل أو لنقل حبة القهوة الا أنها مستطيلة، وقالوا إنها تنبت في الأصل برية وأنها تنقل من هذه المقاطعة إلى سائر أنحاء الصين والعالم.

وهذا المكان تابع لمحافظة(تشونغ ننغ) ويبعد مائة وستة وخمسين كيلو متراً عن عاصمة المقاطعة(ين تشوان).

وقد استمر الطريق يسير وسط هذا الوادي الخصيب بغية أن تستفيد القرى منه، وقد انتصبت الأشجار الاسطوانية العالية على جانبيه ساكنة ساجية إذكان الجو ساكنا ليس فيه من الهواء مايحرك الخوصة فما شبهت هذه الأشجار الاسطوانية الفارعة الساكنة الآن الا بالجنود الصينيين الذين يقفون في وقفة عسكرية على ابواب المحلات الهامة للحراسة أو لمجرد المظهر فهم يقفون وقفة مشدودة مستقيمة وقد سكنت اعضاؤهم حتى اصبحت لا تكاد تفرق بين سكون الجندي وسكون بندقه التي تكون بيده، ولو لا أنك قد تمعن النظر في وجهه فتجد أن جفنه يطرف في بعض الأحيان لظننته تمثالامن التماثيل وليس آدميا حيا.

وقد التقطت صورة لأشجار الطريق الاسطوانية هذه بسوقها البيض وفروعها الخضر والسيارة تسير وذلك لاستقامة الطريق وامتداده في جزء من هذه المنطقة.

وأخبرنا الإخوة المرافقون أن المسلمين يؤلفون أكثرية من سكان هذه المحافظة(تشونغ ننغ) فيما عدا عاصمتها فان المسلمين فيها أقلية عددية.

ومن المناظر المميزة منظر امرأة جميلة كانت تركب دراجة ثم نزلت منها واقفة، على ترعة من النهر الأصفر وتبين لنا أنها من الأخوات المسلمات لأنها تضع فوق رأسها قلنسوة(طاقية) بيضاء، وهي شعار المسلمين وتلبسها بعض المسلمات المحافظات على المظهر الإسلامي.

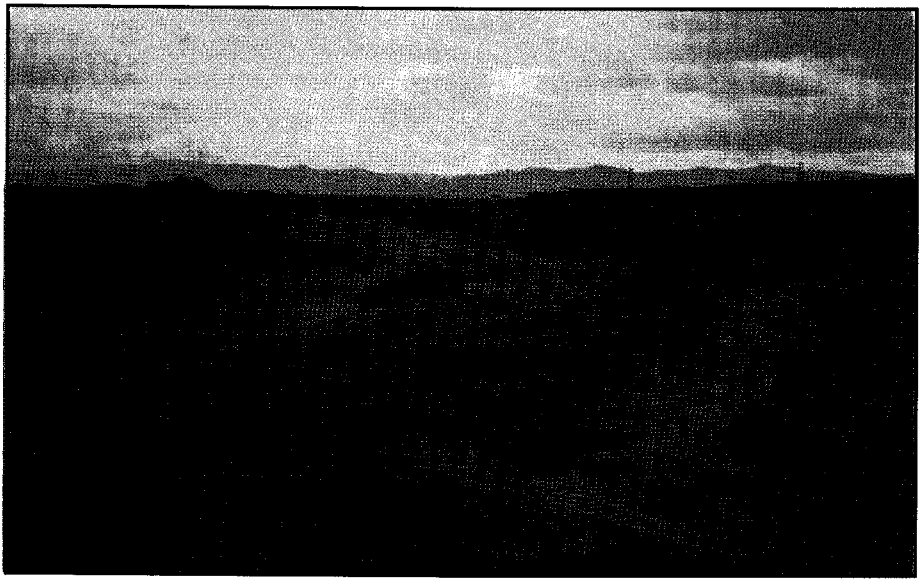
ومر الطريق بسوق البلدة على الشارع العام فلاحظنا وجود بعض البيوت الاسمنتية عليه بخلاف سائر البيوت هنا فإنها من الطين كما رأينا الفلاحين قد احضروا معهم بعض ماينتجونه وهم يبيعونه في السوق بأنفسهم.

ولاحظت هنا كثرة الدراجات بينما لم أر سيارة ركوب واحدة في هذا السوق ولافيما حوله. وإنما كانت توجد بضعة سيارات من سيارات الشحن. وكذلك رأيت عدداً قليلاً من الجرارات الزراعية، وقد أخبرونا أن سكان هذه المدينة التي هي عاصمة محافظة(تشونغ ننغ) يبلغون مائة الف نسمة.

وتلفت النظر أيضًا هنا الكتابة الصينية المعقدة فوق واجهات المنازل الطينية البسيطة. ثم مررنا بفرع من فروع النهر الأصفر ومن بعده رأينا حافة هذا الوادي الخصيب صحراوية غليظة كالتي نسميها الحزم في بلادنا.

واسرع الموكب لركوب هذا الظهر الصحراوي المرتفع وأسرعت معه الأشجار الاسطوانية المنتصبة على جانبي الطريق الا أنها عندما علا الطريق هذا المكان الصحراوي المرتفع وقفت ولم تفعل ذلك فهي تحتاج إلى رطوبة وماء كثير لايتوفر لها الا في الوادي الخصيب.

وصرنا مرة أخرى في مكان خالٍ من العمارة لعدم استطاعتهم إيصال الماء إليه من مياه النهر لارتفاعه ولايتأتي ذلك إلاباستعمال مضخات ضخمة وهو يشق عليهم توفيره لأن الصين الشعبية تعتبر- كما قال لنا ذلك ممثلوها الرسميون- دولة نامية وليست من الدول المتقدمة والمراد بالدولة النامية الدولة الناقصة النمو كما هو معروف.



نظرة من بعيد إلى جامع تونغ شين

وحتى في هذا القسم رأينا عدداً من الدراجات وشخصين راكبين حمارين ولم أر سيارات تذكر، بهذ المناسبة أقول إنني بحثت في ذهني وعيني عن محطات من محطات الوقود فلم أر منها حتى واحدة.

ومع أن السبب في ذلك مفهوم وهو قلة السيارات الخاصة أي التي يملكها أفراد الشعب أو انعدامها لكن أين تتزود سيارات الحكومة؟ والجواب أن ذلك ربما كان من محطات في أماكن غير بارزة من أجل حراستها ومن أجل عدم وضعها على طريق عام لأنه لايوجد من عامة الشعب من يشتري منها الوقود واما السيارات الحكومية فإنها تذهب إلى المحطات في أماكنها غير البارزة.

ووجه هذه الأرض المرتفعة الصحرواية التي هي صخرية معظمه من الطين يركبه السافي وهو الرمل الدقيق الذي تنشره الريح.

وقابلتنا في الطريق ثلاثة جرارات زراعية يظهر أنها من الأملاك الخاصة وليست حكومية إذْ يحمل احدها تبنا ويحمل الآخران أمتعة وادوات للفلاحين.

ودراجتان من الدراجات المعتادة عليهما امرأتان تلفحهما الريح الباردة وإن لم تكن بالغة البرد.

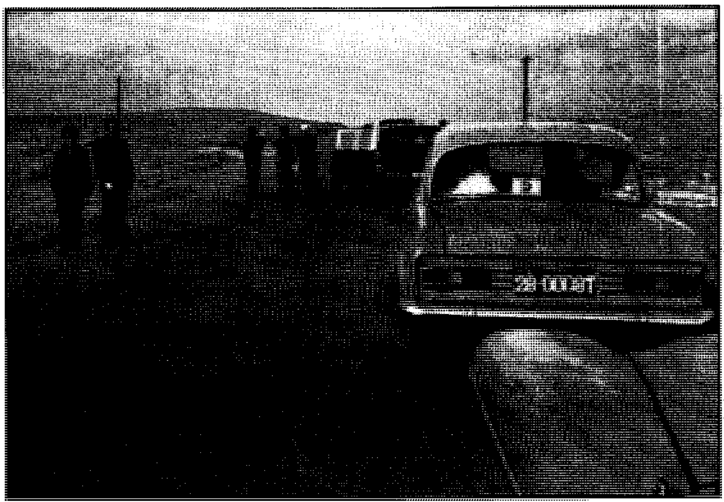
ثم قطيع من الأغنام البيض، وعدد من الإبل ذوات السنامين رأيتها على البعد و تمنيت أنها قريبة منا.

وقد ذكرني ذلك ببلادنا إذا تغاضيت عن السنامين الذين يزينان ظهور هذه الإبل الصينية بدلاً من السنام الواحد على ظهور الإبل العربية النجيبة التي لاشك في أنها لو كانت ذات سنامين لأثقلها ذلك واعجزها عن السرعة في الطلب والهرب فضلاً عن كونه يذهب منها الرشاقة واللياقة البدنية المعهودة.

وساعد في تذكر بلادنا وادٍ صحراوي جاف عليه جسر عبر فوقه الطريق.

وقفة الراحة:

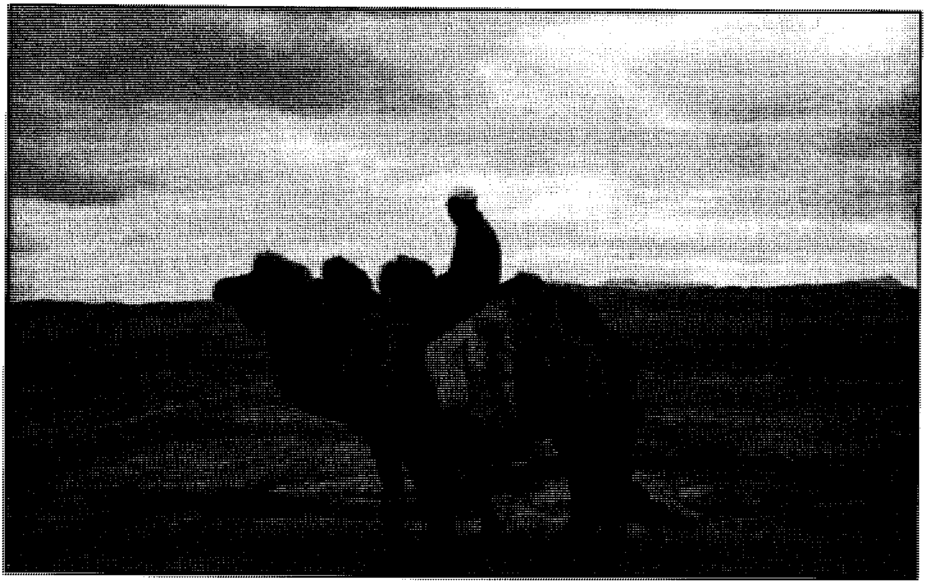
سماها المترجم بذلك وهو يقصد المعنى الذي سمي من أجله بيت الخلاء(بيت الراحة) في بعض البلدان العربية فالمراد منها افساح المجال للمبال.



سيارات الموكب في وقفة في الصحراء في الطريق
بين ين تشوان وتونغ شين

فرأيت غير بعيد من الطريق قناة اسمنتية قد شقوها في هذا الجزء الصحراوي وهي قادمة من النهر الأصفر في الجزء الذي تجاوزناه وذاهبة إلى واحة أخرى هي التي نقصدها ولايفصل بينهما الا هذا المرتفع الصحراوي الذي نقف عليه وهي تجري في هذه الصحراء الجردا، بمنظر أنيق، وانسياب طليق، ورأيت راعيين اثنين معهما أربعة أحمرة- وهذا هو جمع القلة في العربية الفصحى لكلمة حمار- وقد جلسا على كوم من الطين والحمير ترعى.

الإبل الصينية:



المسلم الذي قابلنا راكبابين سنامي البعير

وكنت أتأمل هذه الصحراء الصينية التي وقعنا فيها فجأة كما يفعل مثل ذلك من يخرج فجأة من وادي النيل إلى مايليه من الصحراء المصرية وأسائل نفسي عن وجود الإبل فيها وإذا بي أرى راكبا معه جملان ضخمان قصيران من ذوات السنامين فهي إذاً إبل صينية وهي أيضًا من ذوات السنامين. فهي إذا جديرة بالمشاهدة.

.وكانت مقبلة علينا مع الطريق الاسفلتية وسياراتنا مسرعة ومجرد أن ألمحها وهي كذلك لايكفي فأمرت بإيقاف الموكب المكون من سبع سيارات تتقدمها السيارة العسكرية ذات البوق المميز الذي يتقدم المواكب الرسمية عادة ونزلت من السيارة أحمل المصورة فنزل معي الحارس الخاص والمترجم بسرعة يتبعونني وأنا أحاول التقاط صورة لصاحب الإبل مع إبله فكلموه بكلمات يسيرة قالوا لي على أثرها إنه من إخوتنا المسلمين فتبادلنا التحية الإسلامية.



الإبل ذات السنامين في الطريق إلى تونغ شين

وعندما كنت أهم باغتنام هذه الفرصة السانحة فالتقط له صورة وقد اعجلني المنظر عن خلع العباءة وكان المصور الحكومي الذي يرافقنا يسارع بالتقاط صورة لي وأنا أفعل ذلك لأنه كان يعتقد أن هذه فرصة لاينبغي أن تضيع.



المؤلف بين الإبل ذات السنامين

قبل الهدف:

إن الهدف من رحلتنا الطويلة هذه بالسيارات هو زيارة مدينة(تونغ شين) ذات الأغلبية المسلمة بين سكانها ومشاهدة مسجدها التاريخي العظيم الذي يقول حتى الصينيون الكفار إنه مفخرة من مفاخر تاريخهم، ولذلك رصدوا مبلغًا من مال الدولة للإسهام في تعميره واعادته إلى ما كان عليه.

بعد سير استمر اربع ساعات و نصفا أقبلنا على هدفنا المنشود في وادٍ متسع منخفض من الأرض تمضي إليه القناة التي سحبوها من النهر الأصفر متجاوزة ذلك الجزء الصحراوي الواقع بين الواديين الخصيبين.

ووصلنا قبل الحوض المنخفض إلى قسم من الأرض الصحراوية المستصلحة حديثا واضح ذلك من جميع أمرها فمنازلها كلها من الطين الحديث البنا ء ،وليس فيها عود أخضر من الأشجار الطبيعية وإنما معظم الزراعة هي من القناه وأكثرها حقول زراعية غير متسعة.

ولاحظنا العلامة المميزة للمسلمين في هذه البلاد وهي القلانس (الطواقي) البيض على الرءوس حتى على رءوس الأطفال وهي رمز أكثر منها مفيدة لأن بعضها خفيف لايقي من البرد أو الحر كما رأيتها بعد ذلك.

ثم وصلنا الوادي الذي يشرب من هذه القناة وهو زراعي متسع جميع البيوت فيه من الطين بعضها بجانبها ماكنا نسميه في بلادنا (المطينة) وهي الحفرة التي يؤجذ منها الطين للبناء وقد استغلها هؤلاء الصينيون فغرسوا فيها أشجار الظل النافعة.

وهذه البيوت كلها بيوت خاصة أي يملكها الأفراد وليس للحكومة فيها تدخل لأن الناس يبنونها بأنفسهم من أرضهم.

وقد مررنا بمسجد صغير عند هذه البيوت ليست له منارة.

ومن الأشياء اللافتة للنظر في هذه البيوت أن سطوح بعضها مقببة أي يشبه نصف البطيخة المستطيلة وبعضها ذات سقوف مسطحة. وربما كانوا فعل ذلك لتقوية السطوح على حمل الثلوج في الشتاء وقد أكثروامن غرس أشجار الظل والاعشاب في البيوت وخارجها.

ومنظر مسجد صغير صيني الطراز. وعربة يجرها حمار وبقرة قد قرنا معًا.

الاجتماع العظيم عند الجامع القديم:

اقبلنا على مدينة(تونغ شين) فرأينا أعلى مافيها مسجدها التاريخي القديم لأنه مقام على ربوة مرتفعة وهو أيضًا مرتفع بالنسبة لبقية المباني في المدينة وبخاصة بيوتها التي لاتكاد ترتفع عن الطابق الواحد. وقد اخبرونا أنه يرى من مسافة خمسة كيلو مترات وأنه يرى كله وليس منارته فقط التي هي صينية وتبدو كأنها القباب الصغيرة المربعة التي يعلو بعضها بعضًا بحيث تكون العليا أصغر من التي تحتها.

وقبل الوصول للمسجد مر الطريق بمجرى واد عميق جداً وهو جاف ذكروا أنه وعدة وديان أخرى كانت تغذي المدينة بالمياه في القديم غير أنها قل المطر فيها في الأزمنة الحديثة فشقوا عوضًا عنها هذه القناة من مياه النهر الأصفر.

أما الوادي الذي تقع فيه المدينة وعلى ضفافه فهو ذو ضفا ف واقفة حولها تلال حمر جميلة المنظر.

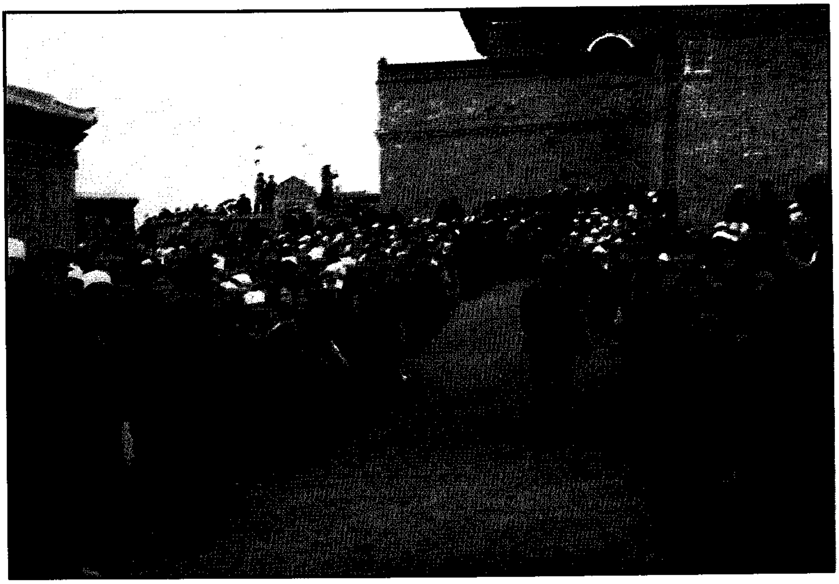
ثم رأينا قسمًا من المدينة طيني المنازل كله وبعض البيوت فيها متفرقة ولم أر الآجر في مبانيها ووجدنا الصفوف الهائلة التي تضم الألوف المؤلفة من الإخوة المسلمين من كافة الأعمار وقد خرجوا لاستقبال إخوانهم القادمين من بلاد الحرمين الشريفين.



جماهير المستقبلين في بلدة تونغ شين على يميني المحافظ

وكانوا في مشاعر مهتاجة من الفرح والابتهاج منهم جميعا عند المسجد الذي يقع على ربوة عالية كماأنه ليس حوله من مباني المدينة شيء في الوقت

الحاضر وإنما ترى المدينة بعيدة وقد جاء القوم على اقدامهم ليكونوا في الاستقبال جزاهم الله خيراً.



صفوف من المسلمين عند جامع تونغ شين

وذلك لأن المنازل القديمة كانت حول المسجد ولكنها خربت ورأينا خرائبها ظاهرة في واد قريب من المسجد ولا أدري سبب خرابها هكذا.

وقد وجدناهم نظموا المستقلبين في سماطين أي صفين طويلين سار بينهما الموكب بسياراته السبع ولم يكد يسير إذ اندفع الجميع إلى السيارات يريدون أن يحيوا الضيوف فيطبقوا على الموكب، وكان وراء الصفين من الجماهير من يدفعهم إلى ذلك. بل إن المنطقة كلها قد امتلأت بالمستقبلين الذي صعدوا الأماكن المرتفعة حتى جللوها كلها بأجسادهم.

وكان رجال الأمن يبعدونهم عن الطريق غير أن السيارات لم تستطع الوصول إلى الموقف المقررلها بسبب إغلاق الطريق بالمستقبلين.

وقد خيل إليّ أن سكان المدينة كلها خرجوا عن بكرة أبيهم فكان في الاستقبال عند وقوف الموكب أعيان المدينة ورجال العلم والدين فيها على رأسهم

الأخ(موسى تو غونغ بو) عمدة المحافظة التي تقع فيها المدينة والإمام(بلال لي تو خا) الامام الأول للجامع و(داود أو تشي مي) نائب رئيس فرع الجمعية الإسلامية في المحافظة وخلق من ذوي الرتب والمسئولين في المدينة لم أذكر أسماءهم لكثرتها وصعوبة كتابتها فضلاً عن استحالة فهمها.

كان محافظ المنطقة ورجال الأمن وأهل العلم والدين يحاولون منا أن ننزل بسرعة من السيارات لكيلا يطبق علينا الجمهور الذي كان يتدافع من أجل السلام والمصافحة أوحتى من أجل مجرد رؤية الإخوة القادمين من البلاد المقدسة وكنا جميعًا نرتدي الملابس العربية الكاملة مما جعل غرابة الزي أيضا حافزة على المزيد من التزاحم.



جانب من المستقبلين في تونغ شين

وكان قد أعلن عن مجيئنا من قبل واخبرونا أن هؤلاء القوم الذين هم من جميع الأعمار من الجنسين (الرجال والنساء) كانوا قد حضروا إلى هنا منذ مدة طويلة.

وكنا على عكس الإخوة الذين يريدون منا أن نسرع في الترجل من السيارات ونسارع إلى الخروج من وسط هذه الجماهير الحاشدة فكنت أودالتمهل من أجل تأمل القوم وتصوير بعض هذا الاستقبال إذ تصويره كله يقتضي الوصول إلى مكان مرتفع والإشراف عليه ثم تصويره من هناك وهو غير متيسر مطلقاً.

فالتقط الإخوة بعض الصور لجوانب من هذا المشهد وتأملت القوم فرأيت في ألوانهم إشراقا وعلى وجوههم طلاوة ولاشك في أن مرجعها إلى وقوع بلادهم في مكان موغل جهة الشمال.



موكب وفد الرابطة بين المستقبلين بجانب الجامع في بلدة تونغ شين

كما أن كونهم مسلمين يزيد وجوههم إشراقاً لأنه يبعد عنها شرب الخمر التي تسبب التجاعيد في الوجه والاكثار من أكل الخنزير الكثيرالدهن وهو مايجعل كثيرا من وجوه الكفار الصينيين غير مشرقة أويسهم في كونها كذلك.

وكانت التلفزة والصحافة تصور هذه المشاهد وتسجلها.

علـى مائـدة سريعـة:

من عـادة الأخوة الصـينيين أن يقدمـوا للضيـف مائدة حافلة بالمكسرات أشبه مـاتكون بالمائدة التي يعبر عنها في البلدان الغربيـة ومن قلدها من أهل بلادنا العربيـة بمائدة الشـاي ولكنهم يجعلونـها حافلة بالأطعـمة التي تغنـي حتى عن المائدة الرئـيسـيـة الحـارة لأنهـا تكون قـد اشتـملت على أنواع منوعـة مـن الكعك ومن الخبز الخفيف الذي يصنعونه حسب طريـقة لهم خاصة فالصـينيون لا يقلدون غيرهم في صنع الطعـام وإنما العكس هو الصحيح على مدى التـاريخ إضافة إلي الفواكـة المجففـة والطازجة والسكريات المتنوعـة وأصناف الحلوى الغـريبـة ونجم ذلك كله هو الشـاي الصـيني الخفـيف الذي لايدخله السكر وإنما يضعـون فـيـه حبـوبا شبـيـهـة بـالسمسم تكون طافيـة على صـفـحة الكـوب الـصينـي الـصـيني والأولى نسبة إلى الصين والثانية نسبة إلى الصيني الذي هو الخزف الذي ينسب في الأصل أيضًا إلى الصين لأنهـا كانت قـد اشتـهرت بصناعتـه أكثر من غيـرها في التاريخ القديم.

لقـد اعـدت ذكـر ذلك و إن كنت قـد ذكـرتـه من قـبل وذلك لمناسـبـة مـائدة مكسرات كبيرة وجدناهم قد أعدوها للوفـد في غرفة واسعة من عـدة غرف تابعة للمسجد وإن كانت منفصلة عنه بل بعيدة نسبيًا منه.

لقد تقدمنا القـوم بسرعـة وهم يشـيـرون إلى الطريق لـهذه الغـرفـة متـجاوزين الجماهير المجمـهرة وهي واقـفة في العـرا ء كما كـانت كذلك منذ مدة قبل وصـول الوفد.

فكان حديث ممتع على المائدة وكـان تعريف ببقية الحـاضرين من القوم الذين لم يتم التـعـريف بهم أول الأمـر بسـبب شدة الزحام ومنهـم طائفـة من أئمـة المسـاجد كتبوا اسما ءهم.



على المائدة عند الوصول إلى بلدة تونغ شين مع جماعة المسلمين

المساجد في المحافظة:

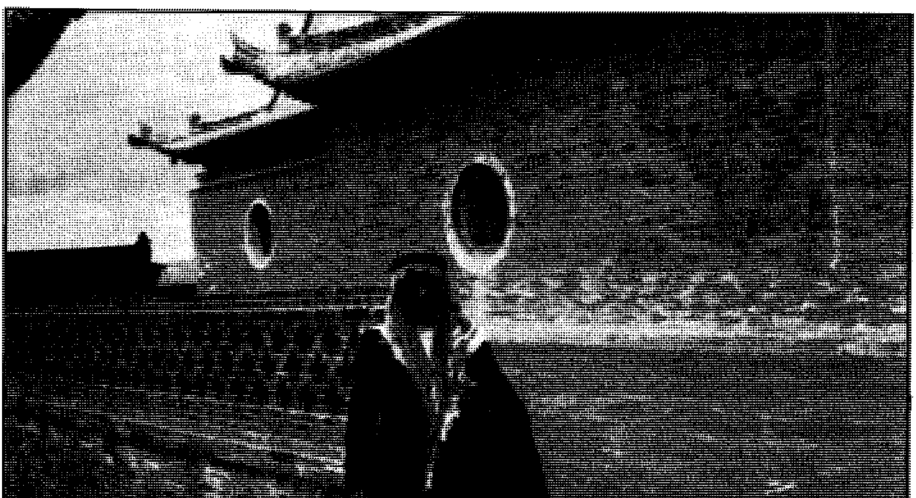
على ذكرأئمة المساجد واسمائهم وكثرتهم سألنا القوم وهم مجتمعون يستطيع بعضهم أن يصحح مايقع في كلام الآخرين من غلط اوسهو فقلنا لهم: كم عدد المساجد في هذه المحافظة؟ فاجابوا: إنه ثلاثمائة واربعة عشر مسجداً، وهذا كما ترى عدد ليس بالقليل الا أن المفاجأة السارة كانت عندما ذكروا أنها كلها مفتوحة للصلاة فقد كانت بعض المساجد في أنحاء من الصين لاتزال مغلقة بعد أن صادرتها الحكومة أو اغلقتها في زمن حكم عصابة الأربعة.

ولاشك في أن مرد ذلك إنما هو لكثرة المسلمين وقوة نفوذهم في هذه المحافظة التي هي جزء من مقاطعة(نن تشا) ذات الحكم الذاتي المخصصة للمسلمين من قومية(خوي).

تكلم عمدة المحافظة الأخ(موسى تو غونغ بو) في المائدة فقال من جملة قوله: إن سكان المحافظة عددهم مائتان وعشرون ألفًا وإننا نرحب بكم باسمهم جميعًا ثم قدم للوفد هدايا من انتاج المحافظة أهمها نوع من الشعيرية الصينية الجيدة.

وقد سألت نائب رئيس الجمعية الإسلامية في المحافظة الأخ(داود أو تشي مي) عن عدد المسلمين بين سكان هذه المحافظة؟ فأجاب : إنهم مائة وسبعون ألفًا من مجموع السكان الذي هو ٢٢٠ ألف نسمة وهذه نسبة جيدة ولله الحمد نسأل الله تعالى أن يصلح احوالهم ويسدد اعمالهم إلى مايرضيه.

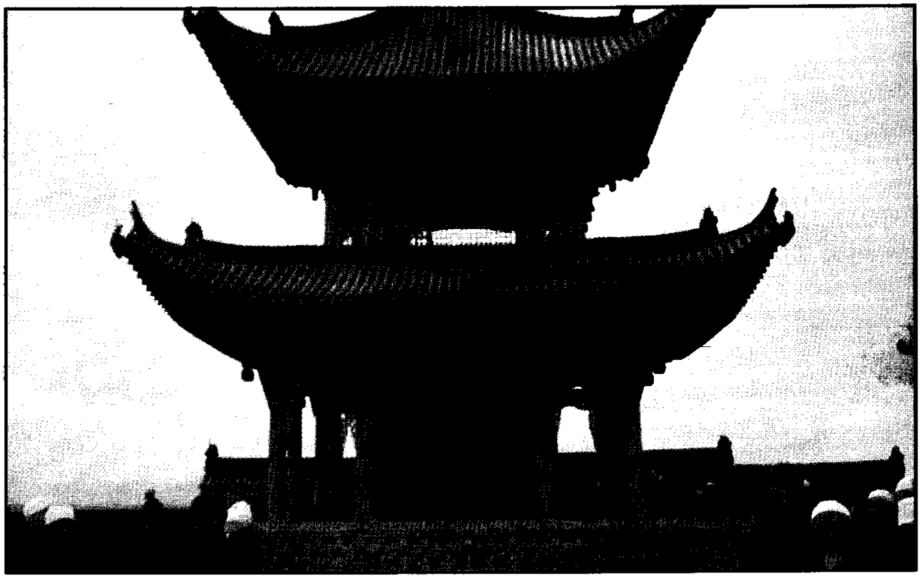
وتحدثوا عن هذا المسجد التاريخي العظيم فذكروا أنه أسس في أوائل حكم أسرة مينغ وعلى وجه التحديد كان بناؤه في عام ١٣٦٨م أي أنه قد مضى عليه مايزيد على ستمائة سنة.



جانب من الحائط الخارجي لجامع تونغ شين
والاستاذ ابراهيم الخزيم مقبل منه

واخبرونا أن له قيمة أثرية بالغة الأهمية عند المسلمين وغيرهم وأن المدينة التي كانت قريبة منه قد خربت عدة مرات وتهدمت بيوتها بسبب فيضان السيول وبقي المسجد وحده بعد أن نقل السكان منازلهم إلى أماكن بعيدة آمنة من الهدم.

وبقي المسجد وحده لم يضار وذلك لكونه واقعًا على ربوة مرتفعة وبناؤه جيد يشبه بناء بعض القصور الصينية التاريخية.



إحدى منارات المسجد التاريخي في تونغ شين

وقالوا: إن عدد المساجد الموجودة في مدينة(تونغ شين) وضواحيها ٣١٤مسجداً.

فرددت عليهم بكلمة ضافية شكرت فيه هذا الترحيب الحار الصادر من أعماق القلوب بالوفد وذلك الاستقبال المنقطع النظير الذي أملى على هؤلاء الأخوة أن يأتوا من جهات بعيدة لمكان الوصول وان يبقوافيه الوقت الطويل أيضًا.



المؤلف يتكلم على يساره المترجم لقمان في تونغ شين

ومن خصوص المسجد ذكرت لهم اننا نشارككم الاعتزاز بوجوده ونرى أن واجبنا يقضي المشاركة بإصلاحه والإسهام في ذلك والتعاون معكم على ذلك وهذا كله من باب القيام بالواجب وإلا فنحن نعرف أنكم وحدكم لاتألون جهداً في ذلك كما رأيناكم في عدة أماكن ولاتقتصرون على اصلاح المساجد القديمة التي تحتاج إلى إصلاح وإنما تنشئون مساجد جديدة رغم قلة الامكانات وضيق ذات اليد.

وقلت لهم: إننا سنبلغ ماشاهدناه منكم من مظاهر الترحيب التي تدل على عمق مشاعركم الإسلامية ومحبتكم لأخوانكم المسلمين في البلاد المقدسة وسوف تنقل رابطة العالم الإسلامي ذلك إلى إخوانكم المسلمين في جميع أنحاء العالم.

هذه وكانت مصورات التلفزة والصحف تتابع كل ذلك وتسجله حتى إنني عندما اردت الذهاب للوضوء في الاماكن المخصصة لذلك في المسجد تبعني المصورون فطلبت منهم أن يعودوا.



عند الجامع التاريخي في تونغ شين

ولاشك في أن مرجع ذلك إلى أوامر كانت قد صدرت اليهم من سلطات الحكم في المقاطعة بأن يسجلوا جميع تحركات الوفد لأنهم يريدون أن يعرضوا ذلك في التلفاز لديهم وربما لدى غيرهم من المحطات في الصين كما أنهم ذكروا أنهم سيعطوننا نسخة من الشرائط المتلفزة التي تضمنت ذلك.

الجماعة في المسجد:

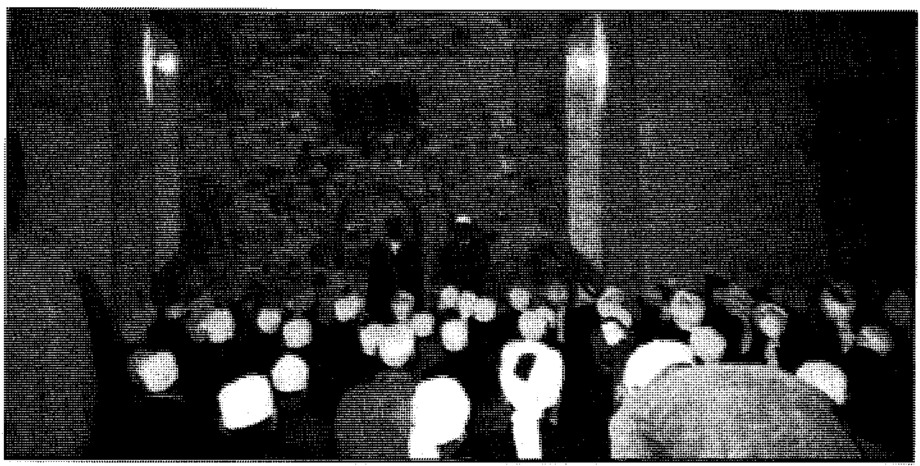
خرجنا من غرفة الاجتماع إلى المسجد لاداء صلاة الظهر التي حان موعدها فرأينا الجموع المجمعة من الناس لاتزال واقفة في الخلاء تنتظر الحصول على نظرة إلى إخوانهم في الله القادمين من بلاد الحرمين الشريفين وفيهم نسبة كبيرة من النساء والأطفال.



بعض الجموع في أنتظار وصول الوفد في تونغ شين

وأما الشيوخ والبالغون فقد اندفعوا إلى المسجد وبعدما أذن المؤذن لصلاة الظهر بصوت نقي شجي زاد من شجاه بل من شذاه منظر الإخوة الكرام الذين كانوايتدافعون على الأعضاء للسلام وكان بعضهم يكتفى بمس الثياب إذا تعذر عليه السلام من باب إظهار الاحترام.

تقدمتهم لصلاة الظهر تحت إلحاح منهم والزام فقال الائمة: إن صلاتنا خلفكم هو من باب التبرك والاستئناس لأنكم جئتم من بلاد خير الناس.



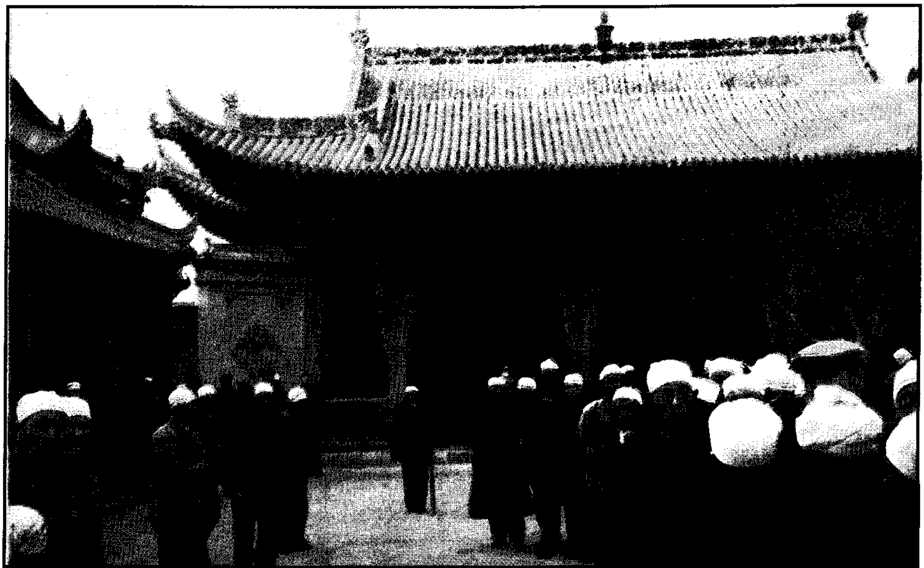
داخل جامع تونغ شين بعد الصلاة والمؤلف يلقي كلمة على يساره المترجم

ثم ألقيت فيهم كلمة مرتجلة مناسبة اعقبها دعاء بنصر الإسلام و المسلمين عامة وهؤلاء الأخوة المسلمين الصينيين المخلصين خاصة.

ثم قدموا لنا تعريفًا بجامع «تونغ شين» باللغة الصينية هذه ترجمته:

يعتبر مسجد تونغ شين من اقدم وأكبر المساجد في مقاطعة نن تشا.

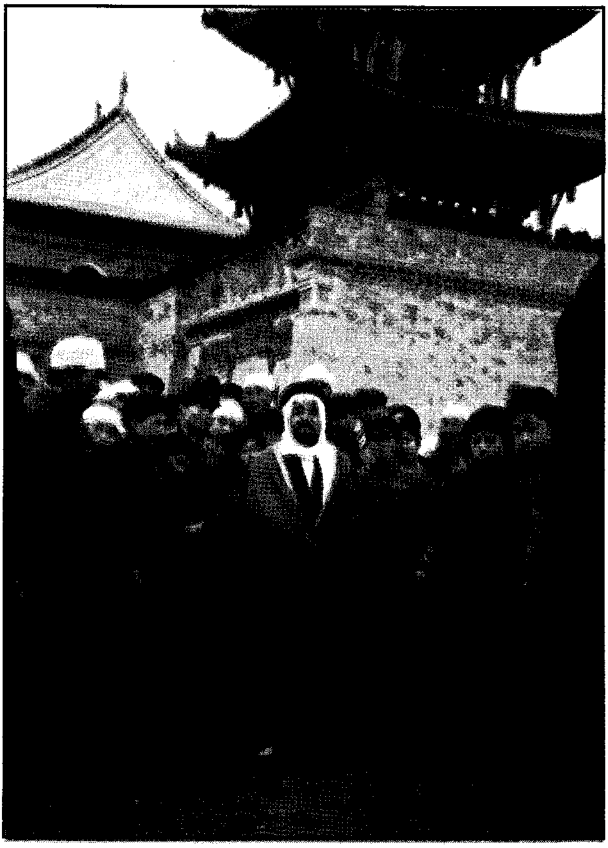
ويرجع تاريخ بنائه إلى ماقبل ٦٥٠ سنة وجرى ترميمه في اعوام ١٥٧٣و ١٦٢٠، ١٧٩١و ١٩٠٧. وبعد الثورة والتحرير في الصين تمكن المسلمون في المقاطعة أن يتولوا ادارة انفسهم في عام ١٩٥٨.



أحد الأروقة في جامع تونغ شين

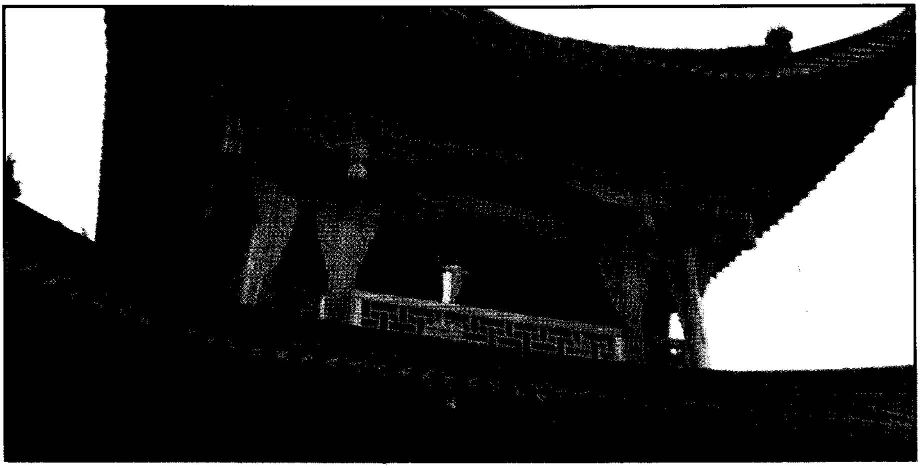
والمسجد بنى على الطراز الصيني من الخشب ومزخرف بالنقوش الصينية والكتابات العربية وله مكانة خاصة في نفوس المسلمين في هذه المنطقة.. يقصده كثير من الزوار والسواح لمشاهدته. وكذلك يرتاده كثير من المسلمين للصلاة فيه في الصلوات الخمسة المفروضة ويبلغ من يرتاده من المصلين في صلاة الجمعة مايقرب من ألف مصل.

وللمحافظة على هذا المسجد التاريخي القيم تبرعت الحكومة المحلية بمبلغ ٦١ الف يوان عام ١٩٨٣. والمسلمون يبذلون كل مافي طاقتهم للمحافظة عليه والاهتمام به.



الأستاذ رحمة الله بن عناية الله سكرتير وفد الرابطة يتفرج على حائط المسجد والجمهور يتفرج عليه

والقيت نظرات خاطفة على المسجد ومحرابه الذي حفرت عليه الآية الكريمة: ﴿ إنما إلهكم إله واحد﴾ ومنعنى الازدحام من استجلاء باقي المسجد فخرجت مسرعا إلى فناء خارجي مكشوف واسع تابع للمسجد وهو كالمسجد في مكان عالٍ كأنه السطح فألقيت اطلالة سريعة على أطلال المدينة القديمة التي كانت قائمة حول المسجد فخربتها السيول ويقع معظمها في جهة الشمال من المسجد وبجانب مرتفع منها مقبرة واسعة للمسلمين تدل على ماكانت وصلت إليه المدينة من اتساع في القديم.



رأس منارة جامع تونغ شين

الـوداع الحافـل:

خرجنا من المسجد نخوض في جموع الأخوة الذين كانوا ينتظرون خروجنا ومررنابهم إلى حيث تقف السيارات.



صورة تذكارية في محراب جامع تونغ شين مع إمام المسجد على يساره الشيخ عبد الرحمن المنيعي عضو الوفد وعلى يمينه المؤلف

ولم نكد نخلص إلى السيارات أو نستطيع فتح ابوابها للركوب الا بمساعدة من رجال الشرطة والمستقبلين الرسميين الذين كانوا يقسون في بعض الأحيان على الأخوة المزدحمين حولنا ليبعدوهم عنا وهي قسوة استنكرتها غير أن أحد المرافقين قال: إن ذلك ضروري لحمايتكم ولم أفهم الحماية من العواطف الأخوية الكريمة وكان بودي أن أقف معهم مدة أطول أتحدث فيها اليهم واخبرهم بأننا نشتاق اليهم كما يشتاقون الينا.



صورة تذكارية في فناء جامع تونغ شين

مع بعض المسلمين عند توديعهم

ثم سارالموكب مودعًا هذه الجموع الكبيرة مغادراً المنطقة، وأنا أفكر في هؤلاء الأخوة الذين كانوا قدموا من أنحاء المدينة المتباعدة وبعضهم جاء من ريفها الأبعد من ذلك و وسائل الركوب المعتادة المتاحة لغيرهم ليست متوفرة هنا فسلكنا طريقنا في بطن هذا الوادي العجيب الذي هو مجاور لمجرى وادٍ ضخم عميق المجرى جاف.



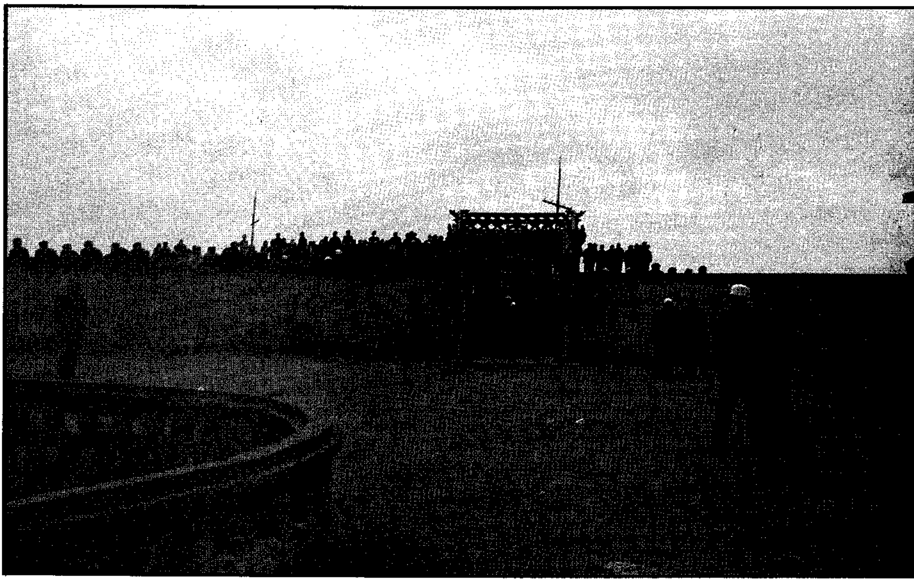
البيوت المنحوتة في التلال

ومن أعجب مالاحظته في هذا الوادي بيوت عجيبة منحوتة في جانبي الوادي الذي يشبه الواحد منها جانب الجبل الواقف فتراهم نحتوا البيت فيه وركبوا عليه بابه دون أن يتكلفوا لذلك بناء حيطان اوحواجز اوتستقيفا للبيوت لأن ذلك كله من جانب الوادي كما رأينا في مدائن صالح في بلادنا حيث نحتت البيوت في الجبال، الا أن الفرق بينهما أن جانب الوادي هنا ليس صخريا خالصا، بل هو طيني غليظ مشوب بحصًا دقيق.

المأدبة الشعبية الكبيرة:

اخترق الموكب ضاحية من ضواحي مدينة(تونغ شين) التي هي في الحقيقة أكثر بيوتها بمثابة الضواحي لأنها متناثرة غير متلاصقة وأكثرها من طابق واحد حتى دخل إلى فناء مكشوف(حوش) تحيط به من جميع الجهات عدا الجهة التي فيها الباب غرف تفتح إليه دون اروقة أي أن الغرف تفتح مباشرة على

الفناء دون أن يكون فوق أبوابها سقوف من رواق أونحوه وفي ركن فيه كومة من مخلفات الفحم الحجري بعد حرقه لأنهم يوقدون بالفحم الحجري وهولا يستهلك كله عند الحرق بل يبقى منه رماد كثير.



مقر المادية الشعبية في تونغ شين

توقف الموكب وعدد سياراته سبع مع ما انضم اليه من سيارات أهل المدينة عند الباب الخارجي عدا سيارتي فقد دخلت بعد السيارة العسكرية التي تتقدم الموكب.

واستقبلنا أخ من الإخوة المسلمين مهليا مرحبا قدموه لنا بأنه الأخ(صادق دينغ ليانغ تشو) وأن عمله هنا هو نائب رئيس لجنة المساجد وهي لجنة شعبية ألفت بغرض ترميم المساجد واصلاحها بعد الدمار الذي أصاب بعضها في عهد الطغيان الشيوعي السابق.

وأما عمله الخاص فهو(صاحب مطعم إسلامي شخصي) هكذا عرفوا المطعم بالإسلامي بمعنى أنه لايقدم الا طعاما حلالاً للمسلمين، وقالوا: شخصي بمعنى

أنه ليس موظفًا عند الدولة فليس مطعمه ملكا للدولة كما يكون عليه الحال في أكثر المطاعم.



الموكب في تونغ شين القديمة

ونظراً إلى أن غرف المنزل تفتح مباشرة على هذا الفناء من دون أن يكون هناك بناء يسترها عن العيون فقد وضعوا على ابوابها ستائر من القماش تسدل عليها عندما يكون الباب مفتوحًا.

ادخلونا غرفة الجلوس الرئيسية وفي صدرها مكان مرتفع عن الأرض بحوالي المتر ويعتبر هذا عندهم صدر المجلس الذي يجلس فيه الضيوف الأجلاء ويؤلف هذا المكان المرتفع حوالي ربع مساحة الغرفة أو ثلثها وقد جلسنا فيه نحن أعضاء الوفد جميعنا ومعنا بعض وجهاء البلدة ومنهم محافظ المحافظة أي الحاكم الاداري لهذه المحافظة التي هي جزء من المقاطعة والمقاطعة في الصين بمثابة الولاية في الولايات المتحدة الامريكية مثلا لها حكومتها الخاصة وإدارتها المحلية. ووجدناه - كالعادة- قد أعد مقدمات الطعام الكثيرة التي

هي أشبه ماتكون بالمقبلات عند غيرهم وقد وضعوها قبل وصولنا وتشتمل على أنواع من الخبز المجفف ومايشبه(البسكويت) والحلوى وبزر البطيخ لكي يتلهى به الضيوف قبل مائدة الطعام الرئيسية وسكر النبات وهناك نوع واحد من الفاكهة الطرية(الطازجة) وهو التفاح لأنه الوحيد الذي يكون طازجًا الآن مما تخرجه بلادهم.

كان مضيفنا الأخ(صادق دنغ ليانغ تشو) يجلس معنا قليلاً مهليا مرحبًا تتعثر كلمات الترحيب في فمه من فرط الفرحة والتأثر وتفيض على وجهه علامات الفرح والسرور وهو يرحب باخوانه الضيوف من بلاد الحرمين الشريفين.

ثم يذهب ربما ليدبر شئون المائدة التي عرفنا أنها كبيرة من كثرة عدد المدعوين الذين شغلوا عدة غرف غير التي كنا فيها.

وعرفنا بعد ذلك أنه ذبح خروفين وذلك غير اللحوم الأخرى كالدجاج واللحم في المائدة الصينية على وجه العموم لايكون أكثر مايقدم فيها لأنهم يصنعون أنواعًا منوعة من الطعام والخضرات والأعشاب وأنواع اللحوم الأخرى من الطيور والاسماك.



داخل بيت أحد المسلمين في تونغ شين

ويكفى أن تعلم أن هذا الأخ الكريم قد اخذ في التقديم واخوانه وجيرانه يتعاونون على تقديم اطباق الطعام الفئة منها بعد الأخرى فكان اللحم وحده اربعة أنواع إلى جانب الدجاج والطيور الأخرى ثم أنواع منوعة من الخضرات والبقول المطبوخة والأرز بالسكر، والحلوى في وسط المائدة كالمعتاد عندهم والمكرونة وأنواع لانعرفها من طعامهم ولكننا نطمئن إلى أكلها لكون الذين صنعوها هم من إخوتنا المسلمين.

ولما رأيت المائدة بهذا السخاء والمدعوين بهذه الكثرة ابديت استغرابي من أن يستطيع شخص واحد في بلاد مثل هذه البلاد الشيوعية أن يقيمها بنفسه فهمس في اذني أحد الإخوة المرافقين الصينيين قائلاً: إن المسلمين من أهل البلدة تعاونوا على الانفاق على هذه المأدبة وإن هذا الأخ الكريم هو الذي أعدها وقام على انفاذها ولا أدري الحقيقة وإنما وضعت في يد طفل صغير لمضيفنا الكريم بعض النقود التي تساعد على تحمل نفقة هذه المائدة السخية.



أطفال في تونغ شين

وكان الإخوة الضيوف المسلمون من سكان هذه المدينة يضيفون على المائدة من عبارات الترحيب بالوفد ماأضفى عليها مسحة مريحة أيضًا.

ومن ذلك أن محافظ المحافظة الأخ(موسى تونغ بو) قال وأعاد القول إن مدينة(تونغ شين) لم تشهد ترحيباً مماثلا للترحيب الذي قابلتكم به حتى لضيوف الحكومة أو مسئوليها الكبار لأنها ترحب بكم من القلب من دون أن يدفعها إلى ذلك دافع مادي أونحوه. وقال: إنكم أول وفد إسلامي في التاريخ يصل إلى هذه المدينة. وقال: لذلك عندما سمع المسلمون بقدومكم جاءوا ليكونوا في هذه الأعداد الكبيرة في استقبالكم.

العودة إلى(ين تشوان):

بعد فترات من الوقت لاتنسى بين إخوتنا المسلمين الأعزاء في المدينة ودعونا في تأثر بالغ شارك فيه الجميع حتى النساء كن يشاركن في ذلك ولكن على طريقتهن المحافظة فالبعض منهن يطل من ابواب البيوت ويكتفي بذلك وبعضهن يجترئن فيقتربن من الوفد ولكن لم يحدث أن تزاحمت أجنبيات منهن من أجل الاقتراب من الضيوف ومصافحتهم كما تفعل الكافرات.

وأما الأطفال فإنهم كانوا أكثر جرأة وكان ذووهم يشجعونهم على ذلك يلتمسون البركة من أن تمس أيديهم الصغيرة أيدي إخوتهم جيران بيت الله في مكة المكرمة.

سار الموكب مغادراً مدينة(تونغ شين) في الثالثة والنصف من بعد الظهر. مع الطريق نفسه فوصلنا مدينة(أو تشنغ) في السادسة والربع عصراً فوجدنا سوقها مزدحمًا بالدراجات والمشاة أكثر مما رأيناه في الصباح لأن الناس في هذا الوقت يكونون قد انتهوا من أعمالهم اليومية في السادسة وخرجوا إلى السوق ومن الملاحظ هنا أن الناس حتى الفلاحين منهم يرتدون ملابس نظيفة على فقرهم وضيق ذات اليد المتفشى بينهم.

وأذكر أنني رأيت في الطريق سيارة شحن تحمل على ظهرها عدداً من الناس وكلهم نظيف الثياب نظيف البدن وعلى وجوههم علامات الارتياح مع أنه

لوكان هذا في بلادنا لغطى المرء منا وجهه لئلايراه الناس وقد يعرفون أنه راكب في ظهر سيارة شحن أما هؤلاء فربما كان لسان حالهم ينشد مع الشاعر قوله:

وماعن رضى كان الحمار مطيتي ... ولكن من يمشي سيرضى بماركب

وهنا تذكرت شيئين هنا أولهما أن الطريق الأزفلتي قد اصبح مغبراً الآن لأن الشمس جففته فصار الطين القليل الذي علق به من جراء المطر غبارا يابسًا متطايراً والثاني: أنه لايكاد يوجد أحد حافٍ في الصين حتى الفلاحون الذي قد ترى بعضهم حافيًا في كثير من البلدان لا تكاد تجد أحداً منهم بدون تعال.

وقد أدينا صلاة العصر جماعة في الخامسة والنصف وقد بقي على غروب الشمس ساعتان واخذ الكفار الصينيون الذين يرافقوننا من أجل التصوير للتلفزة والصحف يصورون هذا المشهد الغريب عليهم لأن الصلاة كانت على أرض الصحراء وليست في مسجد من المساجد المبنية و«جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً».

وقبل الوصول إلى مدينة(ين تشوان) تركتنا السيارة العسكرية التي كانت تتقدم الموكب لأنها من محافظة(تونغ شين) وحلت محلها سيارة عسكرية أخرى كانت تنتظر في مركز عسكري أظنه للشرطة تابع لمحافظة عاصمة المقاطعة وهي (ين تشوان). وكان الوصول إلى الفندق في الثامنة الا الربع مساء.

وهو الفندق الذي حللنا فيه منذ وصولنا إلى مدينة(نن تشوان) واسمه فندق (نن تشا) على اسم المقاطعة نفسها.

جلسة المباحثات الرسمية:

قلنا فيماسبق إن الأخ الشيخ(الياس شن شيا شي) النائب الأول لرئيس الجمعية الإسلامية الصينية المركزية كان قد حضر إلى لانجو من بكين بالقطار

عندما عرفت الجمعية أننا لم نتمكن من المجيء بالطائرة إلى بكين حسب البرنامج المقرر بسبب حالة الطقس وحضر معه الأخ عيسى محمود كو جنغ تاي رئيس العلاقات الخارجية بالجمعية الإسلامية وقد كان معنا في لانجو ثم سار بالقطار إلى(ين تشوان) ونظراً لكوننا سنغادر(ين تشوان) بل سنغادر

مقاطعة(نن تشا) كلها غدا فانه لابد من عقد جلسة المباحثات الرئيسية الختامية بين الجمعية الصينية ووفدنا وهي التي كان مقررا لها أن تعقد في(بكين) في الأصل غير اننا الآن قد قررنا الا نمر أصلا بمدينة بكين.

وقد عقدت هذه الجلسة في الساعة العاشرة من مساء هذا اليوم واستمرت حتى الساعة الثانية إلا ربع صباحًا أي قرابة أربع ساعات.

وكانت استكمالا للاجتماع الأول الذي عقد بين وفد الرابطة والجمعية الإسلامية الصينية في بكين بتاريخ ١٤٠٤/٧/١٤هـ.

وقد مثل الجمعية المذكورة في هذا الاجتماع الثاني الإخوة:

١- الشيخ الياس شن شياشي نائب رئيس الجمعية الإسلامية الصينية المركزية.

٢- الشيخ صالح آن شي وي نائب رئيس الجمعية الإسلامية.

٣- الاستاد عيسى محمود كوجنغ تاى رئيس قسم العلاقات الخارجية في الجمعية المركزية.

٤- الاستاذ لقمان ماشان لي نائب رئيس قسم العلاقات الخارجية في الجمعية المركزية.

٥- الاستاذ مالك امين موظف في الجمعية المركزية.

٦- السيد يوسف ليوخغ لو نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة نن تشا.

وحضره من جانب الرابطة جميع أعضاء الوفد.

وقد دارت المحادثات الأخوية الإسلامية والمناقشات الودية التي تؤكد عزم الطرفين على توثيق العلاقة بين رابطة العالم الإسلامي والجمعية الإسلامية الصينية المركزية بما يعود بالنفع والخير على المسلمين.

وفي الساعة الواحدة والنصف من بعد منتصف ليلة الخميس ١٤٠٤/٨/٣هـ، انتهى الاجتماع بالاتفاق على الأمور الآتية:

أولاً: قبلت الجمعية الإسلامية الصينية المركزية شاكرة المنح الدراسية التي سبق أن عرضتها الرابطة عليها وهي عشرون منحة دراسية في المرحلة الأولى قابلة للزيادة بعد الاستفادة منها وحسب الضرورة والامكانيات . وتتحمل الرابطة مصاريف الدراسة والاقامة والسفر إلى مناطق الدراسة التي تحدد بان تكون في باكستان والبلدان العربية كالاردن ومصر والكويت وتونس كما تقرر بأن تكون عشر منح منها في الدراسات الإسلامية والعشر الباقية في اللغة العربية والتاريخ الإسلامي والجغرافيا وأن تتم دراسة اللغة العربية في البلدان العربية.

كما أكد الطرفان بأن يتم الترشيح لهذه المنح الدراسية من مختلف القوميات والمناطق الإسلامية في الصين وأن يتم ارسال وثائق الطلاب موثقة بالتصديق اللازم من الجهات المختصة في وقت مبكر لاكمال اجراءات الالحاق في الجامعات قبل شهر سبتمبر ١٩٨٤م.

ثانيًا: يوجد في الصين الشعبية أكثر من ٢٠ ألف مسجد منها ١٢٠ مسجداً اثريًا كبيراً تحتاج إلى الترميم والاصلاح ولكن ٣٤ مسجداً من هذه المساجد الأثرية التاريخية تتطلب ترميمًا عاجلاً. وتاتي في الاولوية والأهمية ١٥ جامعا هي:

١- جامع جنغ جن في مدينة جان جو بمقاطعة فوجيان.

٢- جامع جنغ جو في مدينة نانكين.

٣- جامع شى واسي في مدينة جيلين مقاطعة شاندونغ.

٤- جامع خوتن في خوتن سينكيا نغ(تركستان الشرقية).

٥- جامع مافينغ كَابي في كيو لين بمقاطعة كوانغ سي.

٦- جامع نانجين كون منغ بمقاطعة يوننان.

٧- جامع فيت اليه في غولجه بمقاطعه سينكيانغ(تركستان الشرقية)

٨- جامع جنغ كَوان في تونغ شين بمقاطعه نن تشا.

٩- جامع ناجاكو في ين تشوان بمقاطعة نن تشا.

١٠- جامع شما كَوان في لانجو بمقاطعة كانسو.

١١- جامع عيدكَاه في كاشغر بمقاطعة سينكيانغ.

١٢- جامع يانغ خان في اورومسي بمقاطعة سينكيانغ.

١٣- جامع شه شي وي في اورومسي بمقاطعة سينكيانغ.

١٤- جامع دي شي في شيانغ بمقاطعة ليونينغ.

١٥- جامع دوون كَوان في شينينغ بمقاطعة شنغهاى.

وتليها ١٨ مسجداً هي:

١- مسجد سونغ جيانغ في مدينة شنغهاي.

٢- مسجد بي سي في لينغ كينغ بمقاطعة شاندونغ.

٣- مسجد بوجن في بوجن خوي.

٤- مسجد جوشن جن في جوشن جن : خنان.

٥- مسجد شوبن ين في شيآن : شانشي

٦- مسجد جنغ دوجنغ في جنغ دوجنغ : جنغ سي

٧- مسجد يانغ جو في يانغ جو خيانسو

٨- مسجد شوشي في شوشي اند خوي

٩- مسجد يانفو في يانفو اند خوي

١٠- مسجد جنغ وان في دنغ شان خوي

١١- مسجد دنغ واسي في كا مفونغ خنان

١٢- مسجد دوجانغ في دوجانغ خوي

١٣- مسجد سونغ زي في سونغ زي خوي

١٤- مسجد شيان في شانشي

١٥- مسجد جبنكوان في انك كانغ شانشي

١٦- مسجد جن لونغ في بينغ ليانغ كانسو.

١٧- مسجد جوجان في جوجان كانسو.

١٨- مسجد عيدكاه في ياركند سينكيانغ .

وتحتاج الجمعية الإسلامية الصينية إلى ٣٠٠ الف دولار لكل مسجد على اصلاحه وترميمه وبناء على طلب المساعدة في نفقات الاصلاح والترميم فان الرابطة ستدرس مبدئيًا امر المساعدة في الجوامع الخمسة عشر المذكورة؛ .

أولاً: تؤكد الالتزام بالمساعدة عليها ولكن مسألة تحديد المبلغ سيكون حسب الامكانات والاعتمادات المالية لميزانية الرابطة.

ثانيا: أما المساجد الصغيرة التي شاهدها وفد الرابطة في مناطق زياراته بالصين مثل سينكيانغ وكانسو فالأمر متروك لتقدير الرابطة في مساعدتها.

ثالثًا: تستضيف الرابطة عشرة من الشخصيات الإسلامية الدينية والعلمية والسياسية في الصين لاداء فريضة الحج وذلك من خارج بعثة الحج الصينية الرسمية. ويمكن أن تقدم الجمعية الإسلامية الصينية اسماء مرشحيها مع نبذة عن حياة ونشاط وعمل كل واحد منهم في شهر رمضان أو قبل الحج بشهرين ويلاحظ في الترشيح من لم يسبق لهم اداء فريضة الحج من قبل.

رابعًا: المساجد التي زارها وفد الرابطة شبه خالية من المصاحف مما يدل على حاجة المسلمين الماسة إلى المصاحف. وحيث ان الجمعية الإسلامية الصينية تزمع طبع مائتى الف نسخة من المصحف الكريم ذي الحجم المتوسط بثلاث دولارات فان الرابطة ستساهم في طبع مائة الف نسخة من تلك المصاحف كما أن الجمعية ستقبل المصاحف المهداة إليها من الخارج إذا كانت بكميات محدودة لأن إدخال الكميات الكبيرة من الكتب الدينية من الخارج إلى الصين الشعبية يصادفه صعوبة في الجمرك.

خامسًا: الترجمة الصينية لمعانى القرآن الكريم التي اعدتها الرابطة سترسل نسخة منها إلى الجمعية الإسلامية الصينية لدراستها وامكانية طباعتها في الصين كما ستعطى لها ترجمة جزءعم من تلك الترجمة والتي يحملها الوفد إلى الجمعية للاطلاع.

والرابطة على استعداد لدفع نفقات إعداد الترجمة الصينية لتفسير القرآن الكريم من مصاريف ورواتب العلماء التي تستعدها الجمعية بشرط إشعار الرابطة مسبقًا بالاسماء والتكاليف قبل بدء العمل وبعد إتمام الترجمة سوف ترسل الجمعية نسخة من ترجمة التفسير إلى الرابطة لمراجعتها واقرارها واعتماد المساهمة المالية لها.

سادساً: الترجمة الأويغورية التي يضعها الشيخ محمد صالح لمعانى وتفسير القرآن الكريم عندما تكتمل وتتم مراجعتها من قبل لجنة من علماء تركستان الشرقية. سترسل الجمعية الإسلامية الصينية نسخة منها إلى الرابطة لمراجعتها. واعتمادها واقرار المساعدة اللازمة لها.

سابعًا: نظراً لحاجة الجمعية الإسلامية الصينية إلى مطبعة لطبع المصاحف والكتب الإسلامية المختلفة ستقدم الجمعية دراسة كاملة وتفصيلية عن أنواع (مكائن) الطبع اللازمة وتكاليفها إلى الرابطة وستقوم الرابطة بدراسة الطلب وامكانية تامينها بارخص الاسعار من الشركات العالمية وستخبر الجمعية بما يتم بشأنها قبل الارتباط بتوريد(المكائن) إلى الجمعية.

ثامنًا: ستسهم الرابطة في مشروعى المعهد الإسلامي في اورومسي والمعهد الإسلامي في لانجو لأنهما جاهزان من حيث الأرض والخرائط ولديهم بعض المال للبدء في التنفيذ.

أما المعهد الإسلامي في ين تشوان الذي ستقيمه الجمعية الإسلامية لمقاطعة نن تشا والتي حصلت لذلك ٥٦ الف ين من الجمعية الإسلامية الصينية المركزية وتحتاج إلى مليون وخمسمائة الف ين فستنظر الرابطة في أمره إذا كانت لدى الجمعية الإسلامية لمقاطعة نن تشا الأرض ووضعت الخرائط اللازمة لإنشائه.

تاسعًا: الجمعيات والمعاهد الإسلامية والمساجد المنتشرة في الصين تحتاج إلى الكتب الإسلامية والمجلات والصحف وسوف ترسل الرابطة دورياتها الصادرة والمجلات الإسلامية والكتب الدينية المختلفة إلى الجمعية الإسلامية الصينية المركزية بناء على طلبها وستقوم الجمعية بتوزيعها على الجهات المعنية.

عاشراً: فرش المساجد يمكن تصنيعه في الصين ويمكن ارساله من خارج الصين وتتسلمها الجمعية الإسلامية الصينية المركزية بدون صعوبة وتقوم بتوزيعها على المساجد باسم الرابطة.

حادي عشر: ترغب الجمعية الإسلامية الصينية المركزية بأن تزودها الرابطة بجهاز تلكس وآلات كاتبة عربية ومكائن تصوير المستندات كما ترغب تزويد المساجد بالمراوح الكهربائية ومكبرات الصوت وصور الحرمين الشريفين.

ثاني عشر: ترغب الجمعية تزويدها بالمدرسين للمواد الإسلامية والعربية ممن يجيدون اللغة العربية حينما تتقدم بالطلب إلى الرابطة في الوقت الملائم لها.

يوم الخميس: ٢ شعبان ١٤٠٤هـ ٣ مايو ١٩٨٤م. .

توزيع المساعدات العاجلة:

نحن نحمل كما قدمت مبالغ مالية نقدية بالدولار نوزعها على بعض المساجد المحتاجة بمثابة المساعدة العاجلة على ترميمها أو الإسهام في بنائها وهي قليلة بالنسبة إلى حاجة هذه البلاد الواسعة التي خرجت من تعصب الشيوعية الطاغية كالمريض الذي تماثل للشفاء بعد أن أنهكه المرض فهو يحتاج إلى غذاء بعد أن كان يحتاج إلى دواء وإن كانت في الحقيقة لم تعان من الشيوعية كلها فان الشر دركات كما أن الخير درجات والمثل العربي القديم يقول: إن في الشر خياراً؛ والشعر العربي الجاهلي السائر:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

ففي هذا الصباح وبعد تناول طعام إفطار خفيف فرغنا من توزيع المساعدات على المساجد التي زرناها وسلمناها للمسئولين عن تلك المساجد بحضور موظفين كبار من الجمعية الإسلامية الصينية المركزية وفرع الجمعية الإسلامية في هذه المقاطعة.

كما وزعنا الأشرطة التي تتضمن تلاوة القرآن الكريم وأجهزة التسجيل ومكبرات الصوت التي نحملها على المساجد المحتاجة لها.

وفي الساعة العاشرة كانت وجبة غداء رسمية حضرها الأخ(قدرة الله ماتينغ اي) نائب رئيس الحكومة في المقاطعة وكانوا عجلوها من أجل الايعوقنا الغداء عن الوصول إلى القطار القادم من بكين ذاهبا إلى لانجو، عاصمة مقاطعة كانسو، وكان الإفطار الخفيف الذي وزعوه هذا الصباح علينا في الغرف محفوظًا في علب من الورق المقوى مكتوبا عليها باللغة العربية(الحلويات الإسلامية) كما كانت الحلوى التي يقدمها المسلمون هنا وفي سائرمدن المقاطعة مكتوبا عليها بالعربية(حلويات إسلامية) والسبب في ذلك أن مجرد وجود الحروف العربية مع كون المسلمين لايعرفون معناها يدل عندهم على أنها من صنع مسلمين فلا يتحرجون من أكلها بخلاف الحلوى التي يصنعها الكفار فإنها ربما لاتخلو من المحظورات سواء في الأدهان أو غيرها.

وداعًا يا نن تشا:

كان الوداع حافلاً في هذا الضحى تمثل في موكب رسمي انطلق من فندق الضيافة(فندق نن تشا) ضمن موكب طويل من السيارات كان في السيارة الأولى منها بعد سيارات الشرطة كاتب هذه السطور بجانبه الأخ(قدرة الله ماتنيغ اي) نائب رئيس الحكومة وكان الأخوة المسلمون الذين لم يستطيعوا مصاحبة الموكب في انطلاقه من قصر الضيافة إلى محطة القطار التي تبعد عنه باثني عشر كيلو متراً قد تجمعوا يودعون وبعضهم يغالب الدموع عند باب قصر الضيافة.

ولم يقصد الموكب محطة القطار مباشرة وإنما ذهب إلى مكان في طرف المدينة بجانب ارض مزروعة ذكروا أنهم قد أعدوه ليقام عليه المعهد الإسلامي في هذه المدينة الذي يعلقون عليه آمالاكبيرة في إحياء العلوم الإسلامية وايجاد جيل جديد من طلبة العلم ثم العلماء الذين يمكن أن يرسل بعضهم إلى المناطق الداخلية التي يقطنها المسلمون وهي في حاجة ماسة إلى وجود طلبة العلم فيها.

إضافة إلى كونهم يؤملون أن يصبح المعهد قبلة لطلبة العلم يفدون اليه من الجهات الأخرى لأن هذه المقاطعة تعتبر من الناحية الرسمية مقاطعة خاصة بالمسلمين من قومية(خوي) فلهم رئاسة الحكومة فيها ونيابة الرئاسة مع أنهم الآن لايمثلون الأغلبية العددية فيها لأن كفار الصين الذين يسمونهم قومية (خان) قد كاثروهم على سكانها فكثروهم.

وقد وعدناهم بدعم مشروع إنشاء هذا المعهد الإسلامي إذا عزموا عليه بمساعدة مالية على بنائه ثم مده بمدرسين وكتب إذا طلبوا ذلك.

ثم كانت جلسة طيبة في قاعة كبار الزوار في محطة القطار حيث امتلأت بالمودعين من الإخوة المسلمين وغيرهم من كبار الموظفين في الدولة.

وكانت جلسة وداع مفيدة تناولت الشئون الإسلامية وتخللتها بعض الطرائف الخفيفة من ذلك أنني قلت لنائب رئيس الحكومة الأخ قدرة الله عندما تطرق البحث إلى موضوع تحديد النسل في البلاد واقتصاره على ولد واحد للأسرة الواحدة: إنه ينبغي لكم أن تتسامحوا مع المسلمين لأنهم أقلية عددية ولم يكن بإمكانه أن يقول شيئًا يخالف قوانين الحكومة في مثل هذا المشهد وإنما قال: اننانعتمد تطبيق السياسية الحكومية في المقاطعة على ثلاثة اوجه أولها بالنسبة إلى سكان المدن هو تحديد النسل بولد واحد والثاني بالنسبة لسكان الريف بولدين لأن الفلاح يحتاج إلى ولد له يساعده على فلاحة أرضه وهذا أمر تشجعه الحكومة أيضًا. والثالث لسكان الأماكن الجبلية غير المسكونة ونسمح لهم بأن يصل عدد الأولاد إلى ثلاثة حتى يعمروا هذه الأماكن الوعرة الخالية.

ولم أشأ أن أبين له خطأ هذا الافتراض فيما إذا هاجر ساكن الجبال إلى المدينة أو الريف وهم لايستطيعون رسميا منعه من ذلك إلا أن الحياة تمنعه قهريا بسبب عدم وجود سكن له في المدينة وهو لا يستطيع ذلك بنفسه بسبب ضعف الدخل وفقر السكان.

عَوّدّ إلى مقاطعة كانسو

من ين تشوان إلى لانجو:

وكان الوداع الحار في القطار هو خاتمة العمل هذا النهار في هذه المقاطعة المنسوبة للمسلمين(مقاطعة نن تشا) فتحرك القطار في الحادية عشرة والنصف مبتعداً عن المحطة ولكن العواطف التي غمرنا بها إخوتنا المسلمون فيها لم تبتعد ولن تبتعد عن الاذهان على مدى الأزمان ولم يكن في قطار العودة مايحسن ذكره زائداً عما في قطار الذهاب الا أنهم احضروا لنا غداء إضافيا في علب من الورق لأنهم خشوا علينا الجوع من تأخر العشاء الكامل في القطار الذي حدد موعده في الثامنة والنصف خلاف عادتهم في التبكير بالعشاء.

أما هذا الغداء الاضافي فاكثره من الاطعمة الناشفة وفيه شرائح من لحم البقر النا شف أيضًا.

هذا وكان الوصول إلى لانجو في العاشرة و النصف ليلاً فوجدنا في الاستقبال جماعة من الأخوة الكرام وفيهم من لم نرهم من قبل.

ثم كان النوم في فندق الضيافة في لانجو الذي لا يقارن بقصر الضيافة في(ين تشوان) من حيث العناية والنظافة والترميم فهذا (اللانجوي) أقل من(الين تشواني) في هذا الميدان بكثير وعفواً من هذه التعابير التي يختلف الاجتهاد حتى في كتابتها بالعربية لأنها في الأصل بحروف تنطق بأصوات أو مقاطع صينية لانظيرلها من الحروف العربية.

محافظة لن تشا

مدينة(لن تشا) هي عاصمة محافظة لن تشا وهي إحدى المدن العريقة التي يقطن فيها ابناء قوميتى خوي وخان.

من المدن التاريخية الشهيرة في اطراف الصين على طريق الحرير، وهي تبعد عن العاصمة بكين ٢٠٠٠ كيلو متر، تلقب باسم«مدينة الآفاق»(فوهان)، وما زال هذا الاسم موجوداً.

وبعد القرن الثالث عشر صار اسمها« خوتشو» ذكرت في آداب القدماء من الصينيين. وجاء وصف لها في كتاب«خوتشو» في اسرة مينغ الملكية (١٣٦٨-١٦٤٤): إن الجبال والانهار تلتف حولها وتعد من المناطق الاستراتيجية. وجمالها الطبيعي وآثارها التاريخية تفوق المدن الأخرى. ومشاهيرها ليسوا أقل من مشاهير المناطق الداخلية. والعادات والتقاليد في غاية البساطة. وأهلها يحافظون على الأخلاق الاجتماعية ويجتهدون في الزراعة، وعند الزواج لاتهمهم الثروة والجاه.

وفي ولاية لين تشا ١٤ قومية منها خوي وخان ودونغشيانغ وباوآن وسالا وتو. ويبلغ عدد سكان الاقليات القومية أكثر من ٧٠٠ ألف، منها اربع قوميات مسلمة، هي قوميات خوي ودونغشيانغ وباوآن وسالا. فلذلك كانت المساجد فيها كثيرة تبلغ ١٣٠٠ مسجد.

يوم الجمعة ٣ شعبان ١٤٠٤هـ ٤ مايو ١٩٨٤م.

إلى محافظة لن تشا:

هذه محافظة خاصة بالمسلمين مثلما أن(نن تشا) مقاطعة خاصة للمسلمين وهي أيضًا متمتعة بالحكم الذاتي والفرق بينهما في الاسم حرف واحد في الأول لكن الفرق في الحجم و الادارة كبير فنن تشا مقاطعة أي ذات حكومة خاصة و(لن تشا) هذه محافظة اي جزء من مقاطعة كانسو وليست مقاطعة خاصة

ويجمع بينهما غير التقارب في الاسم كون كل واحدة منهما ذكر أنها للمسلمين من قومية خوي وبها أغلبية من المسلمين وأهم بلدة في المحافظة عندهم بلدة اسمها (خوتشو) وهذا هو أقرب الألفاظ إلى النطق بها وإن كان بعض المترجمين الكتبة من الصينية إلى العربية قد يكتبونها بطريقة مختلفة كما يفعلون في كتابة غيرها وذلك من أجل صعوبة ايجاد حرف في العربية مماثل للصوت الصيني كما تقدم.

ويلقبونها- أو لنقل: يسمونها- بمكة الصغيرة لشهرة أهلها بتمسكهم بالديانة الإسلامية أكثر من غيرهم في المنطقة.

ويقولون: إنها كانت من اشهر البلدان الصينية الشمالية في دراسة العلوم الإسلامية وتخريج العلماء. وقد زال ذلك كله أوأكثره بعد تغلب الشيوعيين على الحكم وانقطاع صلة المسلمين الصينيين باخوانهم في البلدان الإسلامية مما حرمهم من ارسال طلبة العلم والدين إلى البلدان الإسلامية وحرم إخوانهم المسلمين من زيارتهم وافادتهم والاستفادة منهم الا أن الذي لم يزل من صدورهم بل إنه يقوى ويشتد في وجه الضغوط والتحديات العظيمة هو تمسكهم بإسلامهم وعدم تفريطهم بدينهم لذلك بقيت لهم هذه الشهرة العظيمةبالدين.

وبطبيعة الحال نحن لانقر تسمية(مكة الصغيرة) فهي تسمية جاهلية و غير جائزة وإن لم يقصد من قالوها بذلك محاربة الإسلام أومخالفته فمكة هي واحدة وحيدة في العالم ولاتجوز مثل هذه التسمية وإنما ذكرناها بذلك لبيان الواقع واظهار أهميتها عندهم وأن الإسلام باقٍ حتى في مظاهره في الألفاظ في أماكن ازدهاره من الصين.

كان موعد الإفطار مبكراً جداً بحيث ذهبنا إلى مطعم الفندق الذي تفصل بينه وبين الفندق نفسه حديقة تكثر فيها أشجار التفاح التي بدأت أوراقها بالنمو بعد اليبس الشامل في الشتاء الصيني الشمالي الطويل.

وفي السابعة والنصف صباحا كان الموكب المؤلف من ثماني سيارات تسبقها سيارة من سيارات الشرطة كالمتبع يتحرك من مدينة لانجو قاصداً مدينة (خوتشو) التي يسمونها (مكة الصغيرة) متأخراً عن الموعد المحدد لانطلاقه في الأصل حوالي نصف ساعة بسبب شيء يتعلق بمضيفينا من حيث ترتيب الضيافة وعدد المرافقين فيما نظن.

وتبلغ المسافة مابين(لانجو) و(خوتشو) مائة وسبعة وخمسين كيلو متراً من المقرر أن يقطعها الموكب في ثلاث ساعات وذلك لأن حالة الطرق في الصين أقل من مثيلاتها في البلدان العربية وإضافة إلى طبيعة الأرض في هذه المقاطعة التي هي ذات جبال وهضاب صخرية وتلال طينية عالية بينها وديان عميقة يتلوى الطريق بينها وفي احضان التلال فلا تستطيع السيارات أن تسرع كما تسرع في البلدان المتقدمةأو في البلدان الصحراوية المفتوحة للنظر مثل أكثر الأماكن في بلادنا العربية.

وفي هذه الساعة التي هي ساعة الذهاب إلى العمل في الصباح يرى المرء القوم على حقيقتهم وهم ذاهبون إلى أعمالهم وأكثرهم يعتبرون موظفين وعمالاً للحكومة سواء منهم من كان يعمل في الإدارات الحكومية أو من كان غير ذلك وإنما يعمل في مؤسسات أخرى عامة ولكنها تابعة للدولة مثل حوانيت البيع والشراء حتى المطاعم والمشارب.

فتراهم جميعًا بدون سيارات ركوب وانما الميسورمنهم من يستطيع أن تكون له دراجة خاصة يركبها ويسير بها الهوينا جريا على عادتهم في عدم الاسراع في السير حتى إذا كان السير على الأقدام. ولقد تكررت رؤية طائفة من النساء وهن يحملن اطفالهن الصغار معهن على الدراجات وربما لادخالهم دور الحضانة أو تسليمهم لمربيات في المؤسسات العامة.



الدراجات في أحد أزقة لانجو

وكل العاملين نظيفو الثياب حسنو المظاهر برغم الفقر وضيق ذات اليد ولااستجداء بل لاأكاد في الصين كلها التي مررنا بها أذكر انني رأيت سائلا أو(شحاذاً) واحداً، بل حتى أداب الطريق تراهم قد اخذوابها فهم مؤدبون مهذبون تجاه الغريب لاينظرون اليه شزراً، ولا يقفون ليتفرجوا برؤيته فضلاً عن سؤاله أو سؤال غيره عن حاله، وربما كان مارأيناه منهم في هذا الأمر سببه أننا وفد رسمي يرافقنا مرافقون رسميون منهم.

الا أن الذي يسير على قدميه أو يركب دراجة هوائية فإنه من الطبيعي أن ينظر نظرات الغطبة والحسد لمن يركب سيارة فارهة.

و نرى القوم في ذهابهم لأعمالهم يكون زيّهم موحداً فاللون الغالب هو الازرق والتفصيل واحد وذلك لكون المصانع كلها حكومية وهي تخرج للناس اقمشة متشابهة أو متماثلة لأن دخولهم متماثلة، وقدرتهم على الشراء متقاربة.

غادرنا مدينة(لانجو) مع طريق ازفلتي جيد اخترق ضواحيها الجنوبية لأن المدينة التي نقصدها وهي مدينة(خوتشو) واقعة في جهة الجنوب الغربي منها.

وسار الطريق في سفوح تلال طينية صلبة كالتي وصفتها عند الدخول إلى مدينة لانجو حتى تكاد تجزم في بعض الأحيان أنها هضاب جبلية حقيقية إذا نظرت اليها على البعد.

ووقعنا فور مغادرة المدينة في ريف ضيق بين التلال أكثر الأماكن الصالحة للزراعة فيه مكسوة بالقمح الشتوي الذي اخضر بالفعل وليس على ما هي عليه الحال في تركستان الشرقية(سينكيا نغ) التي تركناها قبل أيام ولما يخضر القمح كله فيها بعد، وذلك لشدة البرد فيها وطول مدة الشتاء بالنسبة إلى مقاطعة(كانسو) هذه.

وادوات النقل التي ترى أكثر من غيرها في هذا الريف هي العربات التي تجرها الدواب ولقد رأيتهم في عدة أماكن يساعدون الدابة عندما تبدأ بصعود المرتفع فيدفعون العربة من الخلف كما تكررت رؤية ركاب نظيفي الثياب من رجال ونساء وقد تكدسوا فوق ظهر إحدى الشاحنات.

في القمم السبع.

استمر الطريق مع وادٍ ضيق بين التلال وقد زرعوا سفوح التلال بالقمح في مدرجات ضيقة وكله أخضر مزدهر لأنه قد جاده المطر. وقد حفرت السيول على مدى السنين أخاديد عميقة في سفوح هذه التلال الحمر.

ولايشاهد المرء عدداً من السكان يذكر فيها لصعوبة الأرض.

ثم صعد الطريق تلالاً أخرى في بعضها حجارة غير شاملة واخذ يسير في متونها إلى جانب مهاوٍ عميقة في الوديان من دون أن يضعوا موانع على جانبي الطريق مما يلي الهاوية كمايكون في مثل هذه الأماكن في البلدان المتطورة.

ولايشاهد المرء خضرة كثيرة في أعاليها ربما كان هذا من أجل البرد والثلوج في الشتاء. والسيارات في الطريق قليلة.

وتسمى هذه التلال(تشي تو ليا) قالوا: إن معنى ذلك: القمم السبع.

ثم بدأ الطريق بالانحدار من هذه التلال وهو يتلوى وعلى جانبه المدرجات الضيقة التي سووها وزرعوا فيها القمح.

قرية موي بي كوان:

مررنا بقرية صغيرة ذات بيوت طينية كلها من الطين وعلى واجهات بعضها جص قصد منه أن يكون للزينة وليس قوة الحيطان.

وأكثر بيوتها رث أي غير معتنى به. وتقع قرب واد عميق في أسافله مناقع مياه من مياه المطر، وليس من كونه يجري كما يجري الماء في النهر.

وبدأنا نشاهد بين التلال الطينية تلالاً حجرية لاتكاد تفرق بينهما على البعد ثم أخترق الطريق قرية صغيرة أخرى رأينا فيها من الحيوان غنمًا بيضاترعاها فتاة حمراء اللون حمرة ظاهرة عرفنا بعد ذلك أن كثيرا من الفتيات خدودهن حمر بسبب القشف في فصل الشتاء الجاف الطويل.

ثم اتسع هذا الوادي الضيق وكثرت البيوت الطينية في ريف لايشاهد المرء فيه من المزروعات الا القمح الأخضر النضر وإن كان لايزال قصيراً. أما الأشجار فانها قليلة ولكنها خضر بمعنى أنها ليست كالأشجار التي شاهدناها في تركستان الشرقية قبل أيام كلها جرداء هامدة بسبب البرد.

وكثر السكان في الريف. ومن المناظر فيه امرأة تحمل على كتفها رفشا وهو الشبيه بالمسحاة الا أن نصابه الخشبي أو لنقل بلغة عوام الكتاب. يده الخشبية

طويلة. ورجل يحمل ماء في وعائين شبيهين بالصفيحتين قد علقهما في خشبة وحملها على كتفه.

وقد مررنا بمصنع للآجر أي الفخار ومع ذلك لم نر في هذه المنطقة بيتا من البيوت بغير الطين لامن الآجر ولا من الاسمنت ولا من الحجارة رغم وجود الحجارة في بعض التلال.

ثم اصبحت التلال جبلية عالية في المنطقة الغربية من الوادي الذي يتجه في أكثر اتجاهاته إلى الجنوب وهي الجهة التي يتجه إليها الطريق أيضًا وان كانت غايته الجنوب الغربي.

وقد رأيناهم في أماكن عديدة قد كوموا اللبن- جمع لبنة- من الطين وهو جاف مربع الشكل يشبه لبن الاسمنت فذكرت بذلك ماكنا نفعله في بلادنا في القديم وإن كانت هيئة اللبن الطيني عندنا ليست كهذا لأننا كنا نصنعه مستطيلاً وليس مربعًا.

ورغم المناظر المبهجة للنفس في الاطلاع على هذه المنطقة الغريبة من مناطق الصين النائية فإن هناك مناظر تؤلم النفس منها منظر امرأة تدفع عربة من الخشب تسير على عجلتين، ومنظر عدة رجال يتعاونون على دفع عربة ثقيلة من الخشب وذلك لأنه لاتوجد عندهم الآلات الحديثة التي تخدمهم بدلاً من هذه العربات القديمة.

الا أن الغريب الذي فوجئت به أنه حتى في هذا الريف، وعلى هذه العربات القديمة فان المرء يلاحظ أن الفلاحين الذين يراهم عند بيوتهم الطينية هم نظيفو الثياب بل إن ملابسهم لاتكاد تختلف في نظافتها عن ملابس أهل الحواضر والمدن.

أما الوجوه فان أكثرها شداً للانتباه هي وجوه العجائز ذوات العيون الصغيرة التي يخيل اليك أنها مغمضة دائمًا لصغرها أو كأنماهن ناعسات يحلمن بأحلام لذيذات او يرتحن من هموم مقيمات، وشيوخ كبار السن بلحاهم البيض المستدقة وإن كان بعضهم يحلق اللحية ولكن ذلك لايزيده شبابًا أو لايقربه حتى من منظر الكهول.

وأما الألوان فإنها البياض ولكنه بياض الصينيين المشوب بالصفرة التي تبعده عن منظر البيض في البلدان العربية أو الأوربية شدة ظهور التقاسيم الصينية.

والغريب الذي لمسناه هنا قلة الشكوى من الحال في الصين رغم الفقر والقهر والضيق في الحال وحتى في الآمال فالسكان في البلدان الشيوعية قد نزعت من نفوسهم حتى الآمال في صلاح الحال فلا يؤمل الواحد منهم أن يصبح من الأغنياء الا إذا كان من الأغبياء لأن غنى الأفراد أمر يخالف قوانين البلاد إضافة إلى أنه يكاد يكون مستحيلا في البلدان الشيوعية وهذا- على الأقل- هو ماعرف عن تلك البلدان منذ أن قامت فيها الانظمة الشيوعية.

وقد سألت بعض الإخوة الصينيين من المرافقين عما إذا كان مالاحظته من قلة الشكوى عند الناس صحيحا مع أنني لست على يقين من كونهم سيذكرون لي ما يعتقدونه صريحًا فقالوا: «نعم».إن الشعب الصيني شعب صبور فقلت في نفسي ينبغي أن يضاف إلى ذلك القول بأن حاكمه الشيوعي حاكم قهور.

ثم مررنا بسوقٍ قروية صغيرة كل مافيها شخصي بمعنى أنه يملكه أفراد وليس مملوكا للحكومة وجل مافيه من الخضراوات الا عنزين اثنتين من الماعز الأبيض الموجود عندهم.

ورأيت في جانب هذا السوق صبيتين تتعاونان على دفع عربة فيها خضراوات قد تقدمتها إحداهما لجرها من الأمام وتأخرت البنت الأخرى لتدفع العربة من الخلف.

مسجد سيجا:

تبين لنا أننا نمر غير بعيد من مجرى نهر يسمي(هَو) بفتح الهاء واسكان الواو وهو فرع من النهر الأصفر ولذلك ازدهرت المزروعات ورأينا طوائف من الفلاحين المحظوظين يحملون العلف على الدراجات المعتادة.

ثم وصل الطريق إلى قرية(سيجا) واخبرنا الأخوة المرافقون أن أهل القرية كلهم من المسلمين. فوقفنا عند مسجد القرية فوجدنا إمام المسجد واسمه(كمال الدين).

والمسجد جديد يقع على ربوة مرتفعة واقعة على الطريق الازفلتية العامة بحيث يراه كل من يسلك هذا الطريق المهم.

واخبرونا أن المسلمين هنا هم من قومية مختلفة عن قومية المسلمين الموجودين في مقاطعة(نن تشا) الذين هم من قومية(خوي) التي ترجع أصولها إلى العرب والفرس والاتراك اختلطوا بمن أسلم من الصينيين وتألفت منهم هذه القومية التي قلت إن اسمها (خوي) ربما كان مأخوذاً في الأصل من معنى الأخوة العربية فخوي هي أخويّ.

أما هؤلاء الأخوة المسلمون هنا فإنهم من قومية يسمونها(دونغ تشيانغ) وذكروا أنهم جنس آخر مختلط من الاتراك(التركستانيين) والصينيين وجنس ثالث مستقل.

وعندما وقف الموكب لتصوير المسجد و السلام على من نراه من أهل القرية الذين كلهم من المسلمين كما قدمت تجمهر عدد من أهلها وفيهم نساء كثيرات

من نسائهم فرأينا لباسهن المميز لهن ساترا بل سابغا يتألف من سروال ضافٍ طويل، وقميص يضرب إلى نصف الجسم، وغطاء للرأس على هيئة الخمار أو(الغدفة) بلغتنا العامية وتلفه الواحدة منهن حول وجهها فينزل من فوق الرأس ويدار من تحت الحنك بحيث لايرى الشخص بارزاً من المرأة غير وجهها وكفيها



في الطريق بين لانجو وخوتشو

وتلبس الشابات منهن فوق ذلك الغطاء قبعة عريضة على الرأس، أما منازل القرية فإنها من الطين مثل سائر البيوت في المنطقة ماعدا المسجد فهو من الاسمنت ولاأدري أهو من المسلح أم من لبن الاسمنت.

الشعار الإسلامي وحده:

كان كل شيء حولنا هنا يشعرنا بأننا في بلد خالص للمسلمين فالمسجد بمئذنته القصيرة وشعار المسلمين(الهلال والنجمة) فوقها، والأخوات المسلمات المتسترات والرجال الذين يعتمرون القلانس(الطواقي)وأهم من ذلك في ابراز

شعار المسلمين علمان أخضران يرفرفان على المسجد قدرفعا رفعًا أوهما كبيران بارزان، وعلى كل واحد منهما كتبوا الشهادتين(لا إله الا الله، محمد رسول الله) بالعربية وقد اختفت الأعلام الصينية الشيوعية الحمر.

والظاهر أنهم فعلوا ذلك لمناسبة مرور الموكب من قريتهم هذه وإن لم يقل لنا ذلك احد صراحة .

الحمار سيد المعروضات:

وسيادة الحمار للمعروضات هنا ليست ناشئة من غلاء ثمنه أومن طيب نوعه أومن هوى في نفوس أهل هذه المنطقة فيه ولكنها ناشئة بدون شك من شدة الحاجة إليه.

فقد مررنا بسوق شعبية على يمين الطريق الازفلتية ويسارها، وهي سوق كبيرة ربما كان السبب في ذلك أن اليوم هو يوم الجمعة يوم الراحة للمسلمين وإن يكن يوم الراحة للرسميين الحكوميين غيره.

وفي هذه السوق الشعبية حيوانات متعددة من البقر والغنم ولكن الحمير هي أكثر هذه الحيوانات ظهوراً فيه من حيث العدد والأهمية، أما العدد فظاهر واما الأهمية فلكوني رأيتهم يعتنون بهذه الحمير منهم من يرى أسنانها ومنهم من يستعرض أجسامها، ومنهم من يركبها للتجربة.

وهذا كله خلاف ظهور أهمية الحمير في كونها سيدة النقل والانتقال في هذه السوق فبعضها يجر العربات الخشبية وبعضها عليه أشياء للفلاحين وبعضها قد حملوا عليه ماانتجته مزارعهم وهم مقبلون به على السوق، وبعضها صادر منه بما اشتروه محملاً على الحمير، وربما كانوا قد باعوا ماجلبوه محمولاً على الحمير أيضًا وبعضهم رأيته يساعد حماره على جر العربة المحملة.

وفي هذه السوق الشعبية عدا الحيوان بيض وخضرات متعددة حتى اخشاب الوقود معروضة بكثرة في أشكال متعددة وبعضها معروض للبيع وهو على ظهر

عربة يجرها بغل أو حمار حتى التبن رأيته معروضًا بأشكال متعددة ومنها تبن على عربة يجرها صبي من الفلاحين. وهناك الجلود المعروضة للبيع ولاحظت أن أكثر الأغنام المعروضة هنا ليس عليها صوف والظاهر أنهم جزوا صوفها أي قصوه منها للانتفاع به.

ولم يخل السوق من الجرارات الزراعية ولكن على قلة.

وقد استطال هذا السوق وامتد مع امتداد الطريق وكان أحسن صورة لماضٍ في بلادنا وماشابهها من البلدان الصحراوية كان فبان، وعفا عليه الزمان. لولا شئ واحد وربما كان وحيداً وهو وجود الدراجات المعتادة التي تذكر المرء بأنه في الزمن الحاضر والتي توجد بمقادير لابأس بها في الكثرة.

شرك من التبن:

منذ أن دخلنا في الريف الذي يلي مدينة(لانجو) ونحن نرى الفلاحين قد القوا بأكوام القصب الذي أكثره قصب الأرز وأقله قصب القمح فتركوه فوق الطريق الأسفلتي لتدوسه السيارات العابرة فتحطمه فيصبح كالتبن الذي يسهل على الدواب أكله ولم نكن نبالي بذلك إذْ كانت السيارات تطؤه وتتجاوزه دون أن يلفت النظر في شيء



التبن الذي عطل السيارة

وتركنا السوق الشعبية هذه ونحن نمر بين الفينة والأخرى بأكوام من التبن والقصب الذي يرادله أن يصبح تبنا وهي منثورة على الطريق.

وأكثر مايبهج النظر هنا منظر المسلمين الذين نعرفهم من القلانس- أي الطواقي، جمع طاقية- التي تكون على رءوسهم وبعضهم تراه قد أردف امرأته على دراجته وهي مستترة متحشمة خلفه.

وقد اخبرنا المرافقون وكرروا ذلك بأن هذه المناطق هي مناطق لقوم من المسلمين الذين ينتمون إلى قومية(دونغ تشانغ) وأن أغلب المسلمين في هذه القومية أسلموا خلال القرن الرابع عشر الميلادي وأنهم كانوا قبل إسلامهم من البوذيين ولذلك قال بعضهم: إنه ربما كان بينهم من هم من أصول مغولية.

هذا وقد بقي على الوصول إلى مدينة(خوتشو) التي نقصدها حوالي سبعين كيلو متراً وقد مررنا قبل ذلك بمسجد على الطريق ولم نقف عنده.

وقد رأينا كومة من التبن الملقى على الطريق الأز فلتى فلم ينتبه السائق إلى أنها كبيرة وأنها مرتفعة عن الأرض أكثر من المعتاد فوسط منها سيارته مسرعا لتتجاوزها كالعادة الا أن السيارة لم تستطع ذلك وصدر عنها صوت منكر وكانت هي السيارة الرئيسية التي اركبهاو لم تكن تتقدمها إلا السيارة العسكرية العالية.

توقف الموكب وجزمت بأنه قد حصل كسر للسيارة لأتها أدخلت مقداراً كبيرا من القصب في داخل آلاتها السفلية.

وقد حاول السائق ومعه السائقون الآخرون وقوم من أهل القرية التي وقفنا فيها تخليصها فلم يستطيعوا ذلك لأن القصب قد ملأ مابين جهاز الدوران الأسفل وعجزوا عن إزالته كما عجزت السيارة عن الحركة فاغتنمنا الفرصة

واخـذت آلة التـصـوير وكـان فـرصـة لنا لأن الأهالي الذين كلهم أواغلبـهـم من المسلمين تجـمـهروا علينا فـكنت أستـجلي وجوههم من قـرب وأصـور مــن أريـد تصويـره منهـم.

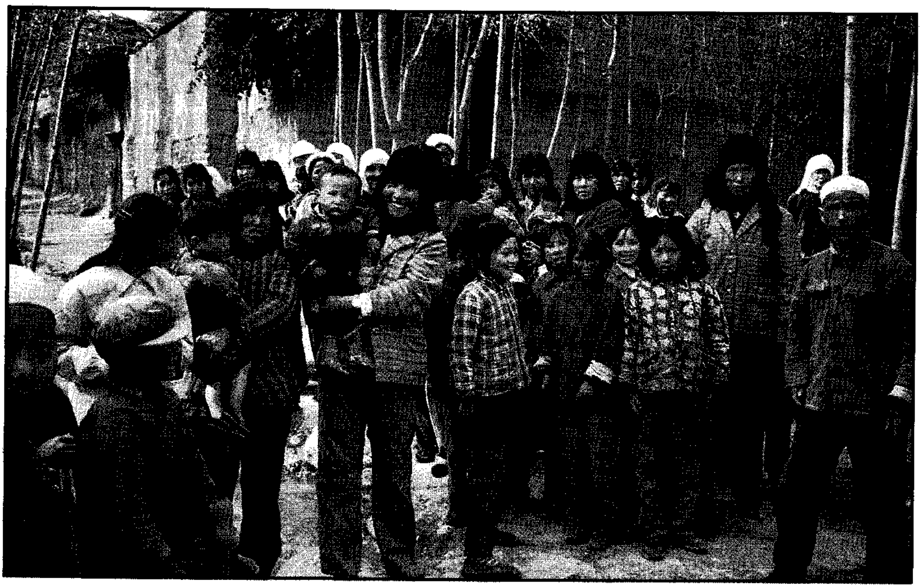
دلالة غطاء الرأس:

قلت مـاقـاله المثل القـديم، ولـيس لنامـثل السـوء:«من فـرص اللص زحـمـة السوق»

أو كما قال المثل الآخر؛ وليس لنا مثل السوء مرة أخرى:« زلق الحمار وكان من شهوة المكاري».

وكـان حديث مع جـمـهـرة من الأطفـال الذين تجـمـهـروا حولنا فـكان بعضـهم يحفظ شيئًا من السور القصار.

وأما النساء فان الفرصة كانت بمعرفة دلالة أزيائهن على وضعهن الاجتماعي فـقـد لاحظنا أنه رغم تشابه أو تماثل الثـيـاب التي يرتدينهـا فـان غـطاء الرأس مـختـلف جداً، إذ رأينا بعضـهـن يكون لونه أبيض ومـجـموعـة منهـن لونه اسود واخريات يرتدين غطاء للرأس اخضر اللون، وفسر ذلك لنا اخواننا المرافقون بناء على افـادة أهل القـرية قـالوا: إذا كـانت المرأة تضع على رأسـهـا غطاء للرأس أخضر اللون فـان ذلك يدل على أنها غـير متـزوجة بمعنى أنـهـا ليست بذات زوج الآن. وإذا كان لون الغطاء على رأسها أسود فان معنى ذلك أنها متزوجة وأنها في عصمة الزوج الآن اما إذا كان لون الغطاء أبيض فإن ذلك يدل على أن المرأة ذات أحفاد أي ولد لابنها اولابنتها مولود.



متفرجون على الموكب

وكان هذا أمراً سهلاً في التعرف عندهم على الوضع الاجتماعي للمرأة ولكن الذي لاحظناه أنه لا توجد منهم امرأة واحدة قد تركت رأسها بدون غطاء.

وقد حصلنا على صور نادرة لأهالي هذه القرية إن لم نقل المنطقة، لأن السيارة وقفت عند قرية أوتجمع سكاني كبير إذْ لولا أنها قريبة من ذلك لما وضع التبن في طريقها إذْ ليس من المعقول أن ينقل أهل التبن أوالقصب تبنهم إلى مكان بعيد منهم لكي يعرضوه للسيارات حتى تطاه وتجعله سائغًا للدواب.

وصورنا أيضًا صوراً نادرة للمرافق أوالاماكن في القرية وعندما فرغنا من ذلك وكنت شغلت نفسي عن متابعة مايجري للسيارة التي اذا تعطلت كثيرا فان معنى ذلك أن تفوتنا صلاة الجمعة في مدينة(خوتشو) التي يسميها جهالهم بمكة الصغيرة.



الريف عندما تعطلت السيارة في الطريق إلى خوتشو

فرجعت إلى مكان السيارة وإذا بهم قد استعانوا بعدة رافعات ثم اخذوا يتناولون القصب من بين أحناء السيارة السفلى شيئًا فشيئًا حتى استطاعوا خلخلته بعد جهد، ويسمى هذا المكان(قوانغ خه).

الإفلات:

افلتنا من هذه المصيدة التي هي من تبن، تعجب كيف استطاعت صيد السيارة القوية فتركنا (قوانغ خه) وواصلنا السير في الطريق الازفلتي الذي لابأس به لولا ضيق فيه. ولاتزال اكوام التبن الملقى في الطريق تظهر واضحة الا أن السائقين كانوا قد تلقوا درسًا قاسيًا فكانوا يتجنبونه أو يجعلونه تحت عجلات السيارة دون وسطها وهذا هو ما يريده أصحابه عندما ألقوه في الطريق فمررنا بقرية قالوا إن اسمها (خوانق وانغ) وأن أهلها من المسلمين.

ولقد رأينا من المظاهر المفرحة فيها مايدل على ذلك ومنها مسجد ذو منارة ظاهرة وهو يطل بمظهره السامي الشامخ على سوق البيع والشراء في القرية من

فوق مكان مرتفع على الطريق ويرفرف فوقه العلم الإسلامي الأخضر- كما يسمونه- وهو يحمل الشهادتين مكتوبتين بالعربية عليه.

ولم نقف لتصوير هذا المسجد الذي هو واقع على أيسر الطريق بسبب ضيق الوقت.

ثم مررنا بمسجد آخر جديد في الجهة اليمنى من الطريق وهو كبير مبني على الطراز الصيني التقليدي وطريقة بنائه تقتضي أن يكونوا انفقوا عليه نفقات طائلة وهذا أمر عجب من أمر تمسكهم بدينهم وحرصهم على إظهار شعائره مع ضيق ذات أيديهم، وقلة دخولهم.

وبعد ذلك رأينا على الطريق العام من جهة اليسار مسجداً مبنيا بالآجر له منارة صينية غير عالية ولم نقف عنده كما لم نقف عند الذي قبله.

ثم تعددت رؤية المساجد من الطريق وأحدها ذومنارة لها قبة خضراء صغيرة وآخر ذو منارة صينية تشبه المظلة الصغيرة أو الطربوش الهرمي الشكل.

أما البيوت فإنها كلها من الطين الاأن بعضها ذات سقوف مسنمة مسترخية كما هو الطراز التقليدي في الأبنية الصينية.

ثم تجاوزنا فرع النهر الأصفر الذي رأيناه من قبل وكان يصاحب الطريق في أكثر الوديان التي نسلكها وقد رأيناه الآن وقد استهلك المزارعون مياهه حتى كادت تنتهي ثم ترك الطريق الوادي المنخفض جهة اليمين وصعد تلالا متطامنة معمورة بالزراعة لأنها ليست عالية. والزراعة فيها نضرة والأشجار كلها نضرة وذلك لكونها أدفأ مما كان عنها شمالاً بكثير وبخاصة في اقليم سينكيا نغ الذي هو تركستان الشرقية وقد تركناه قبل أيام قليلة وقد اخذنا نشاهد حافلات للركاب وسيارات شحن حكومية تستعمل هذا الطريق ممايدل على أهميته الا أن السيارات هذه ليست بكثيرة.

بلدة خو تنغ:

قبل الوصول إلى بلدة(خو تنغ) صار الطريق جيداً وأصجنا نرى الأشجار التي تحيط بجانبه مورقة بل خضراً نضرة وهي موجودة في الأماكن التي تمر بالقرب من البلدان ومن الطريق لأنهم يتعهدونها بالسقي والرعاية.

ومن الأشياء التي لا تستحق التنويه هنا أنني لم أر طيوراً منذ أن فارقنا لانجو وقد عجبت لرؤيتى الآن غرابا واحداً وفسرت قلة الطيور هنا حتى الغربان لكون الكفار من الصينيين يأكلون أكثر الأشياء الحية، وربما يكون الغراب من بينها وهذا عكس ماعليه الحال في بلادالهند حيث يشاهد المرء هناك اسرابا كثيرة من الغربان حتى في المدن المزدحمة مثل مدينة(بومبي) فيجدها تقع على الابنية المدنية المتعددة الطوابق(العمارات) فضلاً عن كثرتها اللافتة للنظر في الريف وقد اخبرونا أن مرجع ذلك إلى فلسفة الديانة الهندوكية التي تحرم إزهاق الأرواح حتى أرواح الحيوانات والحشرات الضارة.

واخبرنا الإخوة المرافقون أن سكان بلدة(خو تنغ) هذه كلهم من المسلمين وتقع هذه البلدة(خو تنغ) قبل مدينة(خوتشو) بعشرة كيلو مترات.

مررنا بسوقها دون أنه نقف فيه وانما تمهل الموكب تمهلا فرأيت زحاما من الناس الذين كلهم مظاهرهم مظاهر المسلمين وأرجعت كثرة الناس في السوق في هذا اليوم لكونه يوم الجمعة.



بالقرب من خوتنغ مسلمون على الطريق

ويضع الرجال على رؤوسهم القلانس(الطواقي) والنساء يضعن الخمر- جمع خمار- على الطريقة التي وصفتها من قبل.

ويظهر أن هذه البلدة زراعية جيدة إذْ رأيت العناية بالحقول وأشجار الفاكهة فيها واضحة.

قبل الوصول إلى خوتشو:

هذه كلمات مستقاة من مصادر صينية رسمية عن هذه المدينة المسلمة المهمة(خوتشو).

سميت خوتشو« مكة في الصين» منذ نحو ١٠٠ سنة حين انتقل اليها مركز النشاطات الاكاديمية للإسلام في الصين من تشانغآن بسبب قمع حكام اسرة تشينغ الملكية لمسلمي مقاطعة شنشي. فاصبحت خوتشو من أكثر التجمعات الصينية مسلمين.

تاريخ خوتشو

تقع خوتشو في مقاطعة كانسو شمال غربي الصين وهي قاعدة محافظة لن تشا. ومساحتها ٨١٠٠ كيلومتر مربع، معظمها حقول مزروعة. وقد قال المسلمون المحليون إن أسلافهم جاءوا إلى خوتشو في أسرة تانغ الملكية (٦١٨-٩٠٧).ولأن خوتشو كانت في طريق الحرير القديم والتجار الفرس والعرب من المترددين عليه، فمن المحتمل أن بعضهم استقروا في خوتشو. أما التسجيلات الواضحة فاولها في اسرة يوان المغولية إذ جاء في« تاريخ اسرة يوان» أن جنكيزخان فتح فيما بين ١٢١٨و ١٢٢٥ اواسط آسيا حيث أسر أكثر من ١٠٠ ألف رجل، نظم منهم، رئيسيًا، جيشا أمره بالمرابطة في شينينغ

وخوتشو بعد فتح تلك المناطق. ومن المحتمل أن قومية دونغشيانغ التي تعيش في خوتشو وتعتنق الإسلام من ذراريهم.

وفي اسرة مينغ الملكية نزح عدد من المسلمين من الجنوب إلى خوتشو بسبب الضغط الواقع على المسلمين هناك واخلافهم يذكرون دائمًا موطنهم السابق. وهم من قومية خوي ودونغشيانغ وباوآن الإسلامية وبلغ عددهم ٧٠٠ ألف شخص، وما زال في لغتهم إلى الآن كثير من الكلمات الفارسية والعربية.

ظل مسلمو خوتشو ينشطون في التجارة والاشغال اليدوية فلهم حوانيت ومطاعم صغيرة يغلقونها عند وقت الصلاة ويعودن بسلعهم إلى البيت في المساء.

فتلك المنطقة كانت مركزا عسكريا، صار أكثرية جنوده من المسلمين منذ اسرة يوان واسرة تشينغ ثم استوطنوا في المنطقة لأن المنطقة كانت سهلة في المعيشة فيها الحقول الخصبة والمراتع الواسعة كما كانت سوقا مهما لتبادلات القوميات. فانجذب عدد كبير من المسلمين إليها للتجارة والاستقرار. وبسبب تجمع المسلمين في المنطقة بادر إليها رجال الدين من بلاد العرب واواسط آسيا فور وصولهم إلى الصين للدعوة إلى الإسلام وقد لقوا ترحابا حارا.

وتناقلت الالسنة المحلية أن ٤٠ مبشرا بالإسلام جاءوا إلى خوتشو من اواسط آسيا في اواخر اسرة يوان واوائل اسرة مينغ. وما زالت قبورهم باقية ولهم عدد كبير من الذرية.

وفي أواخر اسرة مينغ جاء داعية من بلاد العرب واستقر في خوتشو وذريته يعيشون الآن في احدى القرى هناك. وبعده جاء داعيان عربيان ما زال لهما حتى اليوم اتباع في خوتشو وتشينغهاي ونن تشا. ومن خوتشو ذهب كثير

منهم إلى مكة وخاصة منذ اواسط اسرة تشينغ الملكية- كان يسافر سنويا ٢٠ أو ٣٠ مسلماللحج.

وبلغ عدد الحجاج في احدى القرى ٦٧ شخصًا فيما بين عامى ١٩٣٣و ١٩٤٩، ٨ منهم استقروا في مكة وامكنة اخرى.

ومن هنا يمكن القول إن التبادلات الودية بين خوتشو الصينية وبلاد العرب عريقة التاريخ طويلة الامد وإن الصداقة الاخوية بين المسلمين العرب والمسلمين الصينيين دائمة صادقة.

التقاليد الحميدة في مقاومة الاضطهاد:

كانت خوتشو مهدا لمقاومى الحكام الطغاة منذ مائة سنة حيث تتابعت انتفاضات عادلة جياشة بقيادة الأئمة أو الاعيان المحليين منها انتفاضة اشترك فيها ٣٠٠٠ مسلم ضد الاضطهاد القومى وقد فتحوا مدينة خوتشو وحاصروا مدينة لانجو حيث ثابروا على محاربة عشرة آلاف من جنود الحكومة نصف سنة حتى ضحوا بحياتهم في جبال هوالينغ القريبة من المدينة. وفي انتفاضة قومية خوي قاد الإمام ماتشان آو أكثر من مائة ألف مسلم في النضال الدموى الذي استمر ١٠ سنوات.

وفي عام ١٩٢٨ استنهض ما تشونغ ينغ، وهو في الـ ١٨ من عمره، عشرات الوف المسلمين في مقاومة قمع واضطهاد الحكومة الظالمة. وفي ١٩٤٣ انفجرت انتفاضة فلاحية من مختلف القوميات اشترك فيها الوجيه المسلم ما فو شان وما جى تسو بعشرة آلاف مسلم.. في كل هذه الانتفاضات شكل المسلمون المجاهدون قوة رئيسية ضد البغى والظلم ببسالة وعناد من أجل السعادة والمساواة. مع أنهم انتهوا بالفشل لكن مآثرهم المشجعة ظلت خالدة لاتمحى.

حاضر خوتشـو:

في عــام ١٩٥٦ انشئ فـيـهـا الحكم الذاتي الذي حـقق السـيـادة للاقليـات القومية الإسلامية وانقذها من المعاناة والاهانة.

فـتـولى أهلها المناصب الرئيـسـيـة على مخـتلف المسـتـويات واشـتـرك بعض الابناء منها في قيادة القطاعات والمهن. وفي هذه السنوات الأخيرة تمت تصفية آثار عصابة الاربعة ونفذت السياسات تنفيذا كاملا وخاصة سياسة الوحدة القومية والحرية في اعتقاد الدين فشهدت لين تشا فتح ١٧٠٠ مسجد، في كثير منها تلاميذ يتلقون اللغة العربية والقرآن الكريم واحتفل المسلمون باعيادهم الإسلامية في فائض البهجة والفرح.

هذه خوتشو:

أول مارأينا في ضوا حي مدينة(خوتشو) المسلمة التي اسماها بعض الجهلة من الصينيين « مكة الصغيرة» عربات تجرها البغال وهي تنقل الحصى والآجر للبناء وعربات يدفعها العمال والفلاحون يأيديهم.

مداخلها في ريف زراعي زاهر ربما كان ذلك لكونها ذات طقس دفيء أما البيوت التي في ضواحيها فهي طينية ذات سقوف مسنمة مسترخية أي ليست كاملة التسنيم التي معناها أنها تكون كسنام البعير وإنما هي غير مشدودة.

كما شاهدنا عدة فتيات يعملن في جر العربات التي تحمل بعض المنتوجات الزراعية والظاهرانهن ذاهبات إلى (سوق الجمعة) اذْ رأينا جماهيرغفيرة في سوق مررنا به فأخبرنا المرافقون أنه(سوق الجمعة) لكون هؤلاء الأخوة من المسلمين الذين يرتادونه في يوم الجمعة.

أما السوق فإنه حافل بالبضائع المعروضة وبخاصة المواشي من البقر والغنم وكذلك بالمنتجات الزراعية وربما كان هذا الخصب بسبب قربها من فرع للنهر

الأصفر رأيناه في ضاحية من ضواحيها بل قال لنا أحدهم إنه هو النهر الأصفر ولعله لايقصد المجرى الرئيسي للنهر ولكننا رأيناه شحيح المياه إضافة إلى الاستقلال الذاتي المحدود الذي يتمتعون به في الأمور الاقتصادية الصغيرة.

أما الناس فإن أكثر الأشياء إلفاتا للنظر هو نساؤها اللائى يضعن فوق رءوسهن قلانس(طواقي) بيضا لانهن من قومية(خوي) بخلاف المسلمات اللائى مررنا بهن قبل قليل وكن يضعن على رءوسهن الخمر- جمع خمار- فهم من قومية(تونغ تشيانغ) واصلهم فيما يقال مختلط مابين الصينيين والترك، و قال لي أحد الأخوة بعد ذلك: إن بعضهم من المغول الذين أسلموا وتزاوجو مع المسلمين من قومية(خوي).

ثم رأينا حوانيت صغيرة من الطين قالوا: إنها شخصية أي ليست مملوكة للدولة وإنما هي ملك لأفراد يديرونها لأنفسهم بأنفسهم. ثم رأينا حوانيت قد أقيمت من الأخشاب.وقد ضايقنا غبار الشارع لأنهم كانوا يسعون في اصلاح جانب منه.

وعندما دخلنا المدينة كان أول الأشياء المهمة فيها ميدانا واسعا مزفلتا يعج بالدراجات الا أنه رغم وجود الازفلت فيه يعج بالغبار وقريب من الميدان مسجد تحت التعمير. وحوانيت كبيرة قالوا: إنها ملك للدولة.

في دار الضيافة:

توقف الموكب عند باب عليه سور طويل دخلناه فرأينا داخله أبنية متعددة على صفة مجموعات من الغرف التي تتقدمها الأروقة كل مجموعة من اربع غرف أوست وتفصل بين هذه المجموعات شوارع مزفلتة وأرصفة جيدة.



في دار الضيافة في خوتشو عند الوصول

وكان الوصول إلى(دار الضيافة) في الساعة الحادية عشرة والربع ضحى فكان في الاستقبال عند وصول الموكب طائفة من الإخوة المسلمين من كبار موظفي الحكومة وائمة المساجد ورجال العلم والدين وفيهم أيضًا بعض الرسميين الحكوميين.

وعلى رأس المستقبلين الأخ(شعبان ما لنغ خي) رئيس حكومة محافظة أو لنقل اقليم(لن تشا) الذي هو اقليم تابع لمقاطعة كانسو التي قدمنا منها والتي عاصمتها (لانجو)كما سبق.

احتفال المحافظة:

استقبل الوفد عدد من الشخصيات وعلى رأسهم السيد شعبان مايونغ خي وبعض رجال الدولة والأئمة، منهم:

١- السيد الحاج/ ادريس مايوخي نائب رئيس مجلس النواب لاقليم لين تشا.

٢- السيد/ أحمد خان جونغ نيغ نائب رئيس مجلس النواب لاقليم لين تشا.

٣- السيد/ إبراهيم لي شورو نائب رئيس المجلس الاستشاري لإقليم لين تشا.

٤- السيد/ عبد الله مازي يانغ نائب رئيس المجلس الاستشاري لإقليم لين تشا.

٥- السيد/ محمد مافووي الأمين العام لحكومة اقليم لين تشا.

٦- السيد/ حسين مازي لي رئيس لجنة شئون القوميات.

٧- الشيخ محمد شمس الدين ماجنغ شن رئيس الجمعية الإسلامية لاقليم لين تشا.

٨- الحاج يوسف خايانغ تين نائب رئيس الجمعية الإسلامية لاقليم لين تشا.

٩- الشيخ هارون ماجي شو نائب رئيس الجمعية الإسلامية لاقليم لين تشا.

١٠- الشيخ حسين ماجنغ ليانغ نائب رئيس الجمعية الإسلامية لاقليم لين تشا.

١١- الشيخ اليسع ماونغ جنغ أمام مسجد نانكَوان.

١٢- الشيخ عثمان ماجنغ جي أمام مسجد لويانغ.

١٣- الشيخ ذا النون وانغ جيانغ جونغ أمام مسجد جن خي ين.

وخلال استراحة الوفد في قاعة الفندق ألقى السيد شعبان مايونغ خي كلمة ترحيبية بقدوم وفد الرابطة أشار فيها بأن المسلمين يتمتعون بالحرية الدينية بحكم القانون بعد زوال العصابة الرباعية من سلطة الحكم في الصين الشعبية وأن سكان اقليم لين تشا المتمتع بالحكم الذاتي لقومية خوي يبلغون مليونا واربعمائة الف نسمة والمسلمون منهم ٧٢٠ ألف نسمة بنسبة ٥٢٪ من قوميات خوى وسالا ودونغ شيانغ وبوآن الإسلامية وفي الاقليم ١٧٤٠ مسجداً و ٢٣٠٠ من رجال الدين.

وكان مع المستقبلين فتيات أظنهن من الصينيات من قومية(خان) غير المسلمة معهن المناشف الحارة وهي جيدة لمثل حالتنا لأن القادم من السفر يمسح بها الغبار وأثر الطريق عن وجهه وكفيه.

وفي غرفة استقبال في دار الضيافة ألقى الأخ(شعبان) كلمة بالصينية قدم فيها المستقبلين باسمائهم ورحب بوفد رابطة العالم الإسلامي وقال مماقاله: إنه يرحب باسم سكان هذا الإقليم الذين يبلغ عددهم مليونا واربعمائمة الف من النفوس بوفد رابطة العالم الإسلامي وإنني أيضًا أرحب بكم باسم الحكومة التي أمثلها كما أرحب باسم عامة الشعب في الاقليم.



مع الإخوة في لن تشا وذلك في أول اجتماع

وقال: إن في إقليمنا هذا (لن تشا) ألفا وسبعمائة وخمسة عشر مسجداً والفين واربعمائة من رجال الدين الذين يعتبرون تابعين لنا في الحكومة وذلك بخلاف غيرهم ؛ هكذا قال.

ثم قرأ برنامج الزيارة الذي أعدوه لإقامة الوفد وتنقلاته في الإقليم.

فرددت عليه بكلمة مرتجلة ترجمها الأخ(لقمان ما شان لي)تضمنت شكره على هذا الترحيب والاستقبال الحار.

ثم نوهت بكون اقليم(لن تشا) تبلغ نسبة المسلمين بين سكانه حوالي ٦٠٪ وهذا له معنى خاص عندنا لالكوننا لانقيم اعتباراً للأصدقاء من سائر أبناء الشعب الصيني ولكن لأن المسلمين هؤلاء نشترك نحن واياهم في ثقافة تاريخية واحدة هي الثقافة الإسلامية العريقة وعن طريق تنمية هذه الثقافة يمكن أن تتقوى أواصر الصداقة بين الشعب الصيني والشعوب الإسلامية التي تمثلها رابطة العالم الإسلامي ثم ألمحت إلى السبب الذي من أجله قدم وفد رابطة العالم الإسلامي إلى هذا الإقليم خاصة وإلى الصين عامة وقلت لهم: إننا لانسعى إلى هدف سياسي أو اقتصادي وإنما نسعى إلى توطيد العلاقة الثقافية الخالصة مابين مسلمي الصين واخوتهم المسلمين في العالم وهذا ما قد يفتح الباب إلى تعاون في عدة مجالات منها المجال الاقتصادي وإن لم يكن ذلك مقصوداً بالذات.

وبعد ذلك صحبنا مضيفونا إلى الغرف المعدة لنزول الوفد فصحبني رئيس حكومة الإقليم الأخ(شعبان ما لي خي) إلى الغرفة المعدة لنزولي وهي غرفة تتقدمها قاعة للجلوس صغيرة كما يكون في فنادق الدرجة الثانية وقد أخذ رئيس الحكومة يريني كيفية استعمال الأشياء الموجودة في الغرفة حتى في كيفية فتح صنبور الماء وإغلاقه.

أما الغرفة فإنها ليست فيها اشياء معقدة بل هي معتادة ففيها جهاز لاستقبال الاذاعة وجهاز تسجيل.

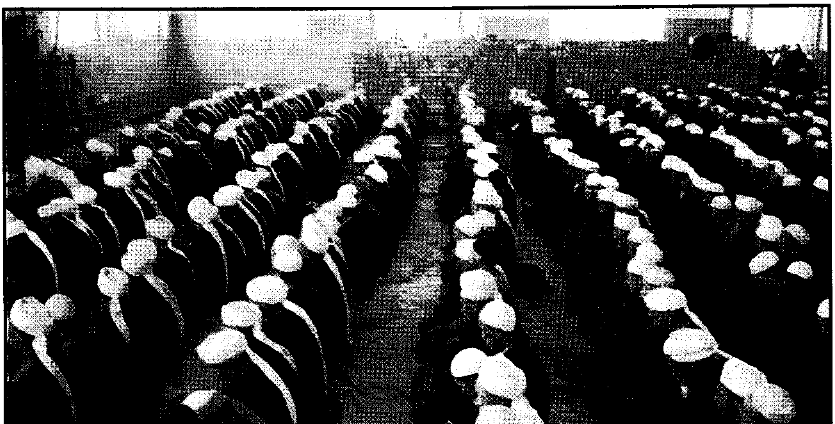
ثم ودعنا هو وسائر الإخوة المستقبلين إلى حين قصير وذلك من أجل الوضوء والاستعداد لتناول الغداء قبل الذهاب لصلاة الجمعة.

ثم كان الغداء في قاعة الطعام في دار الضيافة وهو في ركن منفصل عنها كما يفعل أهل الصين في العادة بأن لاتكون قاعة الطعام ملاصقة للسكن.

فكان غداؤهم لذيذاً حافلاً ذا اطباق متعددة وأنواع من الطعام كثيرة بعضها لم نذقه من قبل بل لم نسمع به فضلاً أن نعرفه ومن ذلك نوع من الخضار اسموه(أذن الخشب)أو(الأذن الخشبية)و ذكروا أن السبب في تسميته هذه أن اوراقه تكون من اغصان الأشجار التي تؤخذ منها على هيئة الأذن.

ولم أكن أظن أنه يوجد في الصين من هم أكثر عناية بالأكل وتعدداً في الأطباق من أهل لانجو غير انني وجدت هذه المائدة أكثر انواعا من مائدة لانجو وألذ منها مذاقًا وربما كان السبب في ذلك وجود المسلمين في هذه الإقليم وغلبة الكفار في لانجو مما جعل مضيفينا يستبعدون بعض أنواع الأكل المحرمة على المسلمين.

إلى جامع نانغ كوان:



صفوف المصلين في جامع نانغ كوان

عدنا إلى غرف الضيافة حيث توضأنا للصلاة فاسترعى انتباهي في الحمام أن الحوض الذي تغسل منه الأيدي نازل جدا إلى الأرض وقد وضعوا امامه كرسيا من أجل أن يجلس عليه الشخص ويتوضأ بسهولة وبخاصة إذا أراد أن يغسل وجهه وهو مطمئن ثم أن يغسل رجليه وهو مستريح.

وفي الساعة الواحدة تحرك الموكب قاصداً جامع(نانغ كوان) ومعنى ذلك: البوابة الجنوبية لأن(نانغ) أو (نان) تعنى كلمة جنوب. مثل كلمة(نان) في أول(نانكين) المدينة الصينية المشهورة التي يعني اسمها العاصمة الجنوبية لأن(نان) جنوب وكين عاصمة أما(كوان) هنا فمعناها(بوابة).

وإذا معنى اسم الجامع(جامع البوابة الجنوبية).

وعند الخروج من دار الضيافة لاحظت أنه توجد في فنائها كومتان للوقود احداهما من الخشب والثانية من الفحم الحجري.

أيوم كيوم كاشغر؟

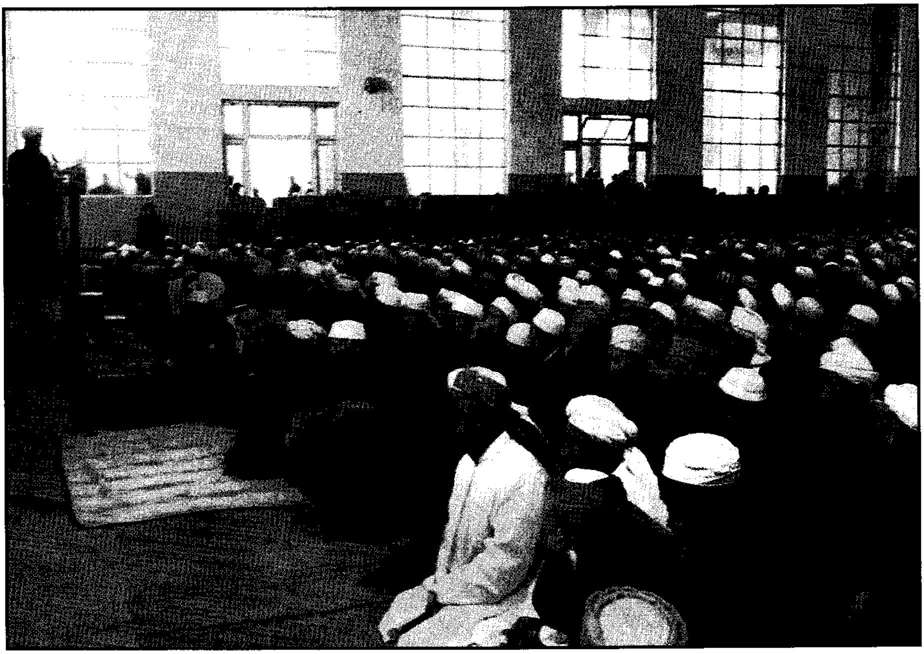
وصل الموكب إلى الجامع فوجدنا الجموع المجمعة من الأخوة المسلمين قد وقفوا في صفوف طويلة ابتدأت من الجامع واستمرت ممتدة منه على طريق الموكب لمسافات طويلة في الشوارع. فكنا نمر بهؤلاء الأخوة الكرام ونحن في السيارات فيحيون ويلقون بالسلام الينا قائلين السلام عليكم مع أنهم هم الواقفون ونحن القادمون.

وقد اخذ كل واحد منهم زينته الكاملة التي تكون في الغالب جبة نظيفة ملونة غالبا ماتكون سوداء وقلنسوة(طاقية) فوقها عمامة خفيفة غالبا ماتكون لها ذؤابة إلى الخلف الا أننا قبل الوصول إلى الجامع لم نستطع التقدم بسبب ازدحام الناس حولنا واعتراضهم طريق الوفد للنظر إليه والسلام عليه إن

أمكن فأسرع رجال الشرطة يبعدون الناس عن الطريق بالقوة ولولا ذلك ما استطعنا الوصول إلى الجامع فضلاً عن الدخول فيه.

وعندما وصلنا المسجد وجدناه مليئًا بالحضور الذين ينتظرون الصلاة فارتفعت قاماتهم، واشرأبت أعناقهم، وعلت أصواتهم بالتكبير والتحميد وبهمهات لانعرفها مما جعلني أتساءل أهو يوم كيوم كاشغر؟

ويوم(كاشغر) هو اليوم الذي أدينافيه صلاة الجمعة في جامع (عيدكاه) في كاشغر وذكرت قصته في كتاب « في مهد الترك».



إمام جامع خوتشو يلقي خطبة الجمعة

لاسيما حينما قام الخطيب في هذا الجامع فذكر في الخطبة اسماءنا يقدمنا للجمهور يعرفهم بنا وقال وهو يبكى من فرط التأثر مخاطبا الجموع في هذا الجامع الكبير ما هو جزاء إخوانكم الذين جاءوا إلى هنا من أجلكم من أجل أن يروكم أنتم اخوانهم المسلمين.؟

وكنا بعد أن دخلنا المسجد وأدينا تحيته ركعتين استمر الإخوة في التنفل فأخبرنا المرافقون أن من عادتهم أن يتنفلوا قبل الصلاة بست ركعات أي ثلاث تسليمات وعشر ركعات بعد صلاة الجمعة.

وقد عرضوا علي أن أخطب بالناس خطبة الجمعة فامتنعت عن ذلك جريا على عادة أخذت بها نفسي وقلت لهم: إنه يمكنني أن القي فيهم كلمة بعد الصلاة إذا شاءوا.

وعندما قام خطيب الجامع يخطب تخيلته من أهل الجزيرة العربية فصوته قريب من أصواتهم ولونه غير بعيد من ألوانهم.

والخطيب غير الإمام فالإمام صلى بنا بعد ذلك وذكروا إن اسمه(اليسع...) وكانت خطبتاه قصيرتين وكان يمد كثيرا من الكلمات في غير مواضع المد من أجل التاثر كما كان يمسك أثناء الخطبة بعصا طويلة غير صقيلة ذات عقد تشبه عصي أهل البدو عندنا.

أما المنبر فإنه خشبي رث وهو مؤقت لأن المسجد كله لم يكمل بعد فهو رغم كونه قد بني بالاسمنت المسلح وقد رفعوا سطحه رفعًا زائداً عن الحاجة فانهم له يستكملوا تبليطه بعد وقد فرشوه بفرش موضوعة على التراب ونوافذه لم تركب بعد.

والسبب في ذلك قصور النفقة عن إتمامه فقد اخبرونا بعد ذلك أنه مسجد قديم يرجع تاريخ إنشائه إلى حوالي سبعمائة سنة وقد خرب أثناء الثورة الثقافية فتنادى المسلمون لاصلاحه وبدأوا في الجمع لعمارته حتى انتهوا به في العام الماضي إلى ما هو عليه الآن وقد بقي عليهم مايقدر بمائة وخمسين الف ين.

وذكروا أنه بلغ ما انفقوا عليه حتى الآن مايزيد قليلا على مائتي الف ين لم يصلهم منها فلس من خارج بلادهم، إذ لم تصلهم أيه مساعدات من الخارج.

وهذا أمر مفهوم السبب لأن المعلومات عنهم ضحلة أونادرة بل تكاد تكون معدومة وقد أخبرونا أننا أول وفد من المسلمين يصل إليهم.

وقد حضر الصلاة معنا في الجامع جمهور كبير من المسلمين قد غص بهم المسجد ولاندري عن الجموع المجمعة التي كانت خارج المسجد لأنه لم يتسع لهم. وقدرت عدد المصلين الذين شاهدتهم في داخل المسجد وعندأبوابه بعشرة الآف مصل أما الذين هم في الشوارع فانني لم استطع رؤيتهم ولايمكنني ذلك لشدة الزحام حول المسجد.

وبعد الصلاة صعدت المنبر فالقيت فيهم كلمة ترجمها إلى الصينية الأخ(لقمان ما شان لي).



المؤلف يتكلم على منبر الجامع الكبير في خوتشو(نانغ كوان)

ولما لم يكن من عادتي أن اكتب أية كلمة أريد إلقاءها خارج المملكة أو داخلها فانني كنت قد اعتدت أن أقتصر في ذكر مضمون الكلمة على ماعلق في ذهني منها من كلمات محدودة.

وكانت معظم الكلمات التي ألقيتها إن لم تكن كلها يسجلها الإخوة الصينيون وممثلو الحكومة الصينية، ولم أكن أطلب نسخة من ذلك التسجيل لعدم اهميته عندي غير أن احدهم تبرع- في هذه المرة- فأرسل إليّ بترجمة انكليزية لهذه الكلمة وقد شعرت أن معظمها صحيح وإن كانت فيها كلمات محرفة إما بسبب الترجمة اوعدم فهم المقصود عند الترجمة من العربية إلى الانكليزية.

وهذا هو نص الترجمة بالانكليزية التي كانوا ترجموها من العربية إلى الصينية في شريط من كلامي في هذا المسجد.

وقد أعد الترجمة يجاوانج ميا:

بسم الله الرحمن الرحيم

أقدم في البداية باعتباري ممثل رابطة العالم الإسلامي أسمى التحية وخالص الاحترام إلى الحاضرين من الأخوة المسلمين وإلى جميع مسلمى خوتشو التي تعتبر هنا «مكة مصغرة» بالنسبة للصين وذلك نيابة عن جميع مسلمى العالم عامة والمسلمين في الأراضي المقدسة مكة المكرمة والمدينة المنورة بصفة خاصة.

لقد جاء وفد رابطة العالم الإسلامي من الديار المقدسة.ومع أن الصين تقع في عوالم بعيدة فان قلوبنا على اتصال وثيق دائمًا بقلوبهم وإن جميع مسلمى العالم وفي مقدمتهم مسلمو الجزيرة العربية يعتزون بكم وبذكراكم إلى الأبد بنفس الدرجة التي تعتزون بهم. ونحن نقوم بزيارة خاصة لكم باعتبارنا مفوضين من منظمتنا رابطة العالم الإسلامي والهدف الوحيد الذي ننشده من وراء هذه الزيارة هو توطيد الصداقة والتفاهم والثقة فيما بيننا لكي نبدأ عهدا تتوثق فيه عرى الوحدة والتعاون معا كما أننا نريد في الوقت نفسه القيام باجراء مسح عام للوضع الإسلامي أيضًا، وسوف نبلغ جميع الأخوة المسلمين في العالم

عندما نتوجه إليهم، عما شاهدناه فعلا من أنشطة الجماعة المسلمة الدينية في الصين وعن ظروف حياتهم.

أيها الإخوة الأعزاء:

إن المسلمين أيا كانوا يحمل كل منهم للآخر إعزاز الشقيق، وينبع هذا الإعزاز من القرآن الكريم حيث يقول:« إنما المؤمنون اخوة » أى أعضاء في أسرة واحدة لذلك عندما قدمنا إلى هنا شعرنا كما لو كنا في ديارنا وبين أهلنا وأكد ذلك في نفوسنا ما أحطتمونا به من عواطف جياشة وود خالص. وقد غمرنا اليوم سرور بالغ حين شاهدنا العديد من المسلمين يتجمعون في هذا المسجد الرائع حيث ادينا صلاة الجمعة وكنا موضع ترحيب وحفاوة بالغين لقد هز ذلك مشاعرنا من الأعماق وتمنينا أن يدوم هذا اللقاء الخالد، وتفجرت أحاسيسنا في دموع منهمرة لم نتمكن من السيطرة عليها وكان هذا هو التجسيد الحي لتعاليم الإسلام الروحية الأصيلة وهي:« أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمد رسول الله» لقد ربطتنا هذه العبارة المقدسة كمسلمين برباط وثيق كما لو كانت حبلاً متينا .

أيها الإخوة الاجلاء:

لقد قدمنا إلى هنا من مكة المكرمة والمدينة المنورة أي من الديار المقدسة، أقدس بقعة ورمز الوحدة بين جميع مسلمى العالم. وانطلاقا من هذه البداية التي نسعى فيها إلى إقامة صداقة تعم البشرية كلها ونتقصى بعض الظروف التي تسود العالم الإسلامي خلال هذه الزيارة الخاصة لكي نتمكن فيما بعد من تعزيز ودعم الوحدة بين المسلمين عامة. ذلك لأننا نعتبر أن انتشار عقيدتنا الإسلامية كمسلمين في صفوف المجتمع الإنساني كفيل بتحقيق الوحدة الحقيقية والمساواة الفعْلية وغايتنا هي الاتجاه نحو تحقيق هذا الهدف الأمثل. لكي

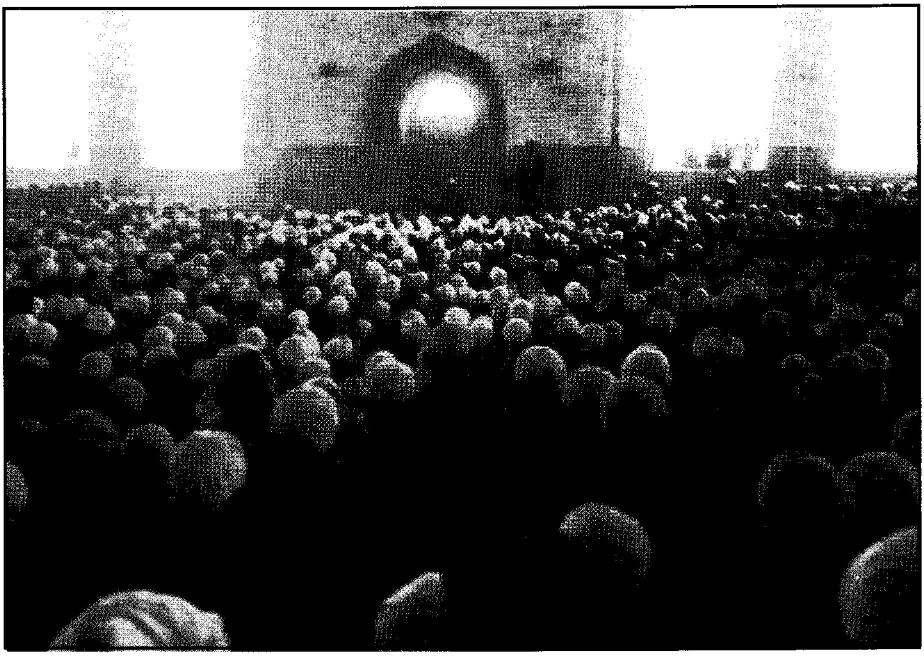
تتحقق المساواة بين الأخوة المسلمين. وها نحن اليوم نشهد بأعيننا كم أنتم أتقياء جادون في عقيدتكم الإسلامية وهذا أمر يثلج صدورنا. ولايوجد في الحقيقة اختلاف بين المسلمين إلا في الدرجة التي يحاول كل منهم الإسهام بها من عقيدتهم الإسلامية.

فالله الذي يعبده المسلمون واحد لاشريك له يتصف بصفاته العليا وهو سبحانه وتعالى يعلم متى وأين يعبده العابدون ويثني عليه الشاكرون.

ويبدو لنا أن مسلمى الصين من أعظم وأخلص من آمن بالإسلام بين مسلمى العالم. وليس ثمة عوائق يمكن أن تحول دون سيطرة الإسلام وانتشاره ليصبح دين البشرية كلها. وهذا يتفق مع ماجاء في القرآن الكريم من أن الله قد قسّم الجنس البشري قسمين: قسم آمن أفراده بالدين الصحيح أما القسم الآخر فلم يؤمنوا به أو آمنوا ببعض الديانات الشريرة الفاسدة الأخرى. ولقد ذكر القرآن الكريم أن أحد النوعين سيكون في الدار الآخرة في جنات عدن بينما سيكون النوع الآخر في جهنم ولكن لم يذكر القرآن الكريم شيئًا عن تقسيم الناس حسب العنصراوالقومية. وإنما حسب أعمالهم. فلم يذكر مثلا العرب أو العجم(الفرس) بل إن بعض أتباع النبى قبل وفاته لم يكونوا عربًا مع أنهم جميعًا كانوا من خيرة صحابته من أمثال ابن إثيوبيا المؤذن الشهير بلال بن رباح وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وكانوا جميعًا مجاهدين في سبيل اللّه شجعانا وقفوا خلف النبى صلى الله عليه وسلم وتبعوه للقتال في كل ساحات المعارك.

ومن الطبيعي ألا يكون أى فرد أو جماعة بعينها الممثل الوحيد المطلق للإسلام بل إن هذا الرجل هو المسلم التقي بغض النظر عن جنسيته أو السلالة التي انحدر منها. فالمسلم هو المسلم سواء أكان عربيًا أوآسيويا أو أوروبيا أو أمريكيا أو افريقيا. وجميع الأجانب الذين يقيمون على البعد من مكة المكرمة

والأرض المقدسة الآن سوف يكونون مهما كانوا بواسطة إيمانهم الراسخ وممارستهم العبادات الدينية بالتزام شديد، يفضل كل منهم خمسين من أصحاب رسول الله، وقد جاء في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله مامعناه يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر له أجر خمسين قالوا: منا أم منهم يارسول الله؟ قال: بل منكم أي له أجر خمسين من صحابة النبى في عصره- وإذا لم تمكنه الظروف من تحقيق رغبته بسبب ظروف قاهرة رغم رغبته الشديدة في ذلك فان الله سوف يعتقه بسبب هذا القدر من الاخلاص.



المؤلف يخطب في الجامع الكبير في خوتشو وألوف المصلين ينصتون بإهتمام

وقد جاء في حديث آخر للنبى معناه قوله:

لقد خلفنا في بلدتكم يعني المدينة بعضامنكم ممن يستحيل عليهم القيام بالرحلة الطويلة الشاقة وليحاربوا من أجل دين الله، ولكن الرجال الذين أرادوا

أن يقفوا إلى جانبكم بقلوب مخلصة وروح مضحية هؤلاء وأمثالهم لهم عند الله أجر الشهداء الذين ماتوا في سبيل دينهم.

أيها الإخوة في الدين القويم:

إنكم إذا تطلعتم إلى الله القوى بقلوب مخلصة واتحدتم وتعاونتم فيما بينكم - فإننا نرجو أن يكتب لكم أجر الحجاج- حتى وإن لم تسنح لكم أية فرصة لأداء فريضة الحج بسبب القيود التي نجمت عن اتجاهات معارضة.

إخوة العقيدة:

لقد جاءت رابطة العالم الإسلامي إلى الصين بناء على دعوة تلقتها من الجمعية الإسلامية الصينية حيث زرنا عدداً كبيرًا من الأماكن وتحقق القدوم اليوم بفضل الله إلى لن تشا (خوتشو) ونلتقى بعدد كبير من الأخوة المسلمين لنؤدي الصلاة معا ، وأقول صراحة ودون تلاعب بالألفاظ لقد شعرنا بالارتياح التام. فلنشكر الله من قلوبنا على حسن توفيقه ومن المؤكد أن حماية السلطات الصينية للمسلمين واحترامها لهم أمرله مابعده إذ أنه يبعث على التفاؤل والأمل الكبير.

أيها الأخوة المسلمون:

ينبغي أن تغتنموا جميع مايسنح لكم من فرص ليس من السهل إدراكها وتدركوا مدى أهمية الحقائق المحيطة بكم وتعملوا على تعميق جذور الوحدة فيما بينكم حتى تتغلبوا على كل مايعترضكم من عقبات كما ينبغي عليكم في الوقت نفسه أن تدرسوا التعليم الإسلامي بكل جد وحماس لكي تقوموا بتدريب الجيل القادم تدريبا جيداً على مافيه الخير لهم حتى يلموا تمامًا بتعاليم الإسلام الروحية التي هي خير عون لهم على المضى قدما دون توقف أو تردد.

هذه هي المهمة التاريخية التي يتعين انجازها للبشرية دون تنصّل من المسئولية. لذلك يتعين على كل مسلم مخلص أن يتحمل على عاتقه عبء الواجب الثقيل نحو تعليم الجيل القادم قبل أن توافية المنية، وإلا فان التاريخ الإنساني سوف يديننا على ذلك إذ أن التاريخ من أعدل النقاد المنصفين الذين يصدرون أحكامهم على أي إنسان دون رحمة أو هوادة.

وإذا نظرنا إلى ماضي أسلافنا ومستقبل أحفادنا نجد أننا نمر بمرحلة هامة وحرجة في التاريخ إذ أننا نمضي قدما حاملين على عاتقنا القضية المقدسة التي سبقنا إليها أسلافنا لندفع بها نحو المستقبل، لذلك يتعين علينا أن نحمل تلك المسئوليات الجسام.

ولقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم:« كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته». وجوهر تعاليم النبى هذه أنه طلب إلى كل منا أن يكفل تعليم أسرته وأطفاله أي أنه لاينبغي عليه فقط أن يغمرهم بحنانه بل يعلمهم أيضًا القيام بأي عمل ينفع البشرية ويحول بينهم وبين إتيان أي عمل يلحق الأذى بالآخرين أويمنعهم من تحقيق الحق لأنفسهم. هذه مهمة حتمية يتعين على كل مسلم؛ على الأقل ؛ أن ينجزها.

إيها الإخوة الأعزاء:

نحمد الله كثيراً لأننا لو نظرنا إلى العالم لوجدنا أن هناك أوضاعًا طيبة للإسلام في كل مكان. ويجب على كل مسلم أن يؤدي عمله على خير وجه وأن ندرب - بكل عزم- أبناء الإسلام على ماينفعهم. إن العالم الإسلامي يتطلع باهتمام إلى مسلمي الصين فإخوانكم خارج هذه الديار مهتمون بأنشطتكم الدينية وبأحوالكم المعيشية وعليكم أن تسعوا إلى جعل انفسكم مثالاً طيبًا أمام العالم الإسلامي؛ فإن أصبحتم كذلك مكنتموهم من تقييم منجزاتكم والاعتزاز بها.

نحمد الله أيها الإخوة الاعزاء لاننا لو نظرنا إلى عالمنا لوجدنا أن هناك صورة طيبة لازدهار الإسلام؛ فالكثيرون من مختلف الجماعات العرقية والالوان في مختلف القارات يقبلون الإسلام دينا لهم... سوداً من إفريقيا.. وبيضًا من أوروبا وصُفراً من آسيا وحُمراً من أمريكا. إن لمسلمي الصين مكانة خاصة في العالم الإسلامي لأنكم ترفعون راية الإسلام خفاقة.

أيها الإخوة:

إن الغرض النهائى لوفد الرابطة الزائر لكم هو توثيق عرى المودة والتعاون بينكم وبين إخوة لكم وليس للزيارة أغراض سياسية أو اقتصادية. إن مسلمي العالم الإسلامي وخاصة اخوانكم في الأراضي المقدسة يذكرونكم دائمًا. إن وفد الرابطة يقوم بزيارة ودية لكم بناء على دعوة كريمة من الجمعية الإسلامية بالصين وفي نفس الوقت لقد اجرينا سلسلة من المباحثات مع الجمعية الإسلامية المركزية والجمعيات الإسلامية بالمقاطعات والبلديات والمناطق المستقلة. وأثناء مشاوراتنا ومناقشاتنا تبادلنا وجهات النظر بشأن المشكلات التي تهم الجانبين من أجل زيارات ودية فيما بيننا ومن أجل التنسيق.

ومن الأمور التي ناقشناها:

١- تمويل بناء المساجد وخاصة تلك التي دُمِّرت أثناء الثورة الثقافية.

٢- مساعدة الراغبين في اداء الحج.

٣- المساعدة على طبع الكتب الإسلامية.

٤- تشجيع التبادل الثقافي ومساعدة الطلاب المسلمين الراغبين في الدراسة في الخارج.

وساد شعور بالرضا عند الجانبين وليس هذا بغريب لأنَّه على المسلم أن يشد عضد أخيه.

واليوم تأثرنا كثيراً بمالقيناه من ترحيب من قادة لين تشا ومن الجماهير العريضة من المسلمين وليس بوسعنا أن نعبر عن اغتباطنا الذي يعلم الله مداه.

ولسوف نخبر المسلمين في العالم أجمع وفي الإراضي المقدسة عما شاهدناه في بلادكم بكل صدق حينما نعود بإذن الله. ولسوف يشاركوننا نفس السرور.

إخواني الأعزاء:

قبل أن أختتم كلمتي اسمحوا لي بالنيابة عن رابطة العالم الإسلامي وعن وفدها الزائر لكم أن أعبر عن خالص الاحترام لكم مرة أخرى وأوصيكم بتقوى الله وطاعة أولي الامر منكم واعلموا أن الله مطلع على أعمالكم. وحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا.

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين(*).

وقد كان التأثر بالغا على هؤلاء الإخوة وهم يستمعون إلى كلمتي من مكبرات الصوت وكنت صعدت إلى المنبر وهو عالٍ من أجل المحافظة على النظام إلا أنهم صاروا بعد الصلاة يتدافعون إلى جهة المحراب التي نحن فيها كل يريد أن يرى أعضاء الوفد.

فكان صعودي على المنبر والقاء الكلمة من مكبرات صوت قوية عاملاً على بقاء كل منهم في مكانه لأنه يستطيع أن يراني ويسمع كلامي ولو كان بعيداً.

الا أن الزحام كان شديداً على نوافذ المسجد التي كان المصلون في خارج

(*) ترجمة بتصرف لعدم سلامة الأسلوب الذي كتب به الأصل باللغة الإنجليزية.

المسجد يتزاحمون على الإطلال منها إلى داخل المسجد ليرو أول وفد إسلامي جاء إليهم من الأراضي المقدسة بل هو أول وفد رسمي مسلم جاء اليهم على الإطلاق. فكان رجال الأمن الحكوميون يحاولون تنظيمهم وكان رجال الأمن قد حضروا إلى هذا الجامع وغيره من الجوامع التي سنزورها بكثافة كبيرة.

وجامع(نانغ كوان) كبير وحديث بل لم تكتمل المرافق لبنائه بعد- كما تقدم- وكان خروج الوفد من الجامع أصعب من دخوله إذ أقبل الأخوة المصلون داخل الجامع وهم ألوف كلهم يريد السلام على أعضاء الوفد رمصافحته ولكن رجال الأمن والأخوة المرافقين وقفوا سداً بينهم وبين الوفد وذلك- فيما قالوه لنا- من أجل الحرص على سلامة أعضاء الوفد لأنه من الجائز أن يتزاحم الناس حول أعضاء الوفد فيضرونهم من حيث لايريدون ذلك، كما أن الوقت لايكفي لمصافحة الجميع، ويصعب مصافحة بعضهم وترك الآخرين و(منع الجميع أرضى للجميع).

ومع ذلك كنا نلوح بأيدينا نلقي التحية والسلام لجموع الإخوة المسلمين الذين اصطفوا صفوفًا حول المسجد وفي الشارع وللذين صعدو إلى سطوح المنازل والأماكن المرتفعة.

مسجد شاطئ النهر الأمامي، أو مسجد السلفيين:

خرجنا من المسجد ولم نكد نستطيع الخروج لشدة الزحام وكثرة المتدافعين الذين يريدون أن يروا أعضاء الوفد غير أن رجال الأمن المرافقين أخذوا يبعدون الناس عن طريقنا بقوة اعتبرناها قسوة ولكننا لم نستطع منعهم منها.

وانطلق الموكب إلى مسجد آخر اسمه(مسجد تشان خويانغ)ومعنى ذلك(مسجد الشاطئ الأمامي للنهر).



الاستقبال عند مسجد السلفيين في خوتشو

فوصلنا إلى جماهير متجمهرة قد ضاقت بها الشوارع والأزقة بل حتى سطوح المنازل فدخلنا غمارها ولم نكد نستطيع الخروج منه إلابحماية رجال الشرطة والمرافقين الصينيين وذلك كله قبل أن نصل إلى المسجد إذْ لم تستطع السيارات الحركة وسط الجماهير التي نسيت نفسها وربماكانت قدنسيت وجوب الابتعاد عن طريق السيارات.



إمام جامع السلفيين على يمينه المؤلف
وعلى يساره الشيخ صالح نائب رئيس الجمعية الإسلامية المركزية

واخذنا نخوض غمار هذه الجموع الكاثرة فرأينا المسجد يرفرف عليه علم المسلمين الأخضر كما كنا قد رأيناه على المسجد الجامع الذي قبله وهو جامع(نانع كوان).

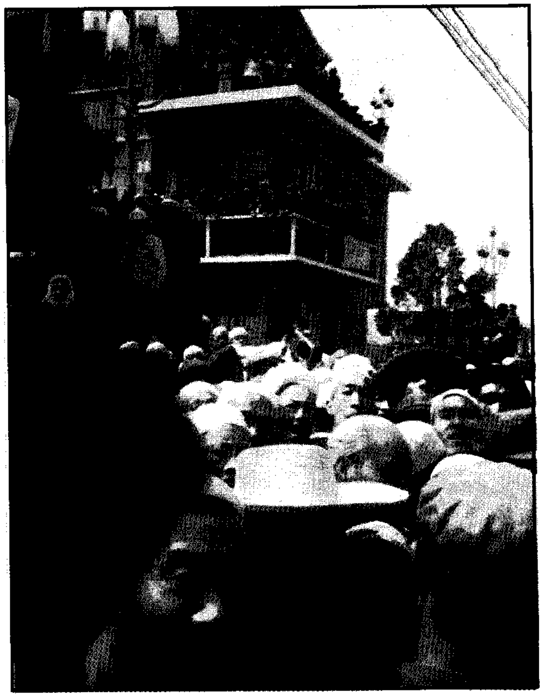
واستقبلنا شيخ نحيل الجسم يلبس لباسنا نحن السعوديين ماعدا العباءة ومعه طائفة من الطلبة كلهم عليه غطاء الرأس كالذي علينا وهو(الغترة) إلا أن لونها على رءوس بعضهم أصفر وقدموه لنا بأنه الشيخ(ذو النون وانغ جانغ جو) إمام المسجد وقدم لنا نفسه بأنه إمام مسجد السلفيين وقال إن هؤلاء وأشار إلى عدد من الطلبة والتلاميذ واناس غيرهم بأنهم كلهم من السلفيين ثم تقدمنا يصعد درجًا إلى طابق في المسجد فأجلسنا في فصل دراسي من مدرسة تابعة للمسجد فجلسنا على مقاعد الدراسة فيه والألوف المؤلفة من الناس واقفون أو منتظرون وصعدت جموع منهم إلى منارة المسجد التي هي مرفوعة على عمد من الاسمنت المسلح قد تركوامابينها فراغا لايشغله الا الدرجة التي تشغل جزءاً منه.



مع طلبة المدرسة السلفية في خوتشو

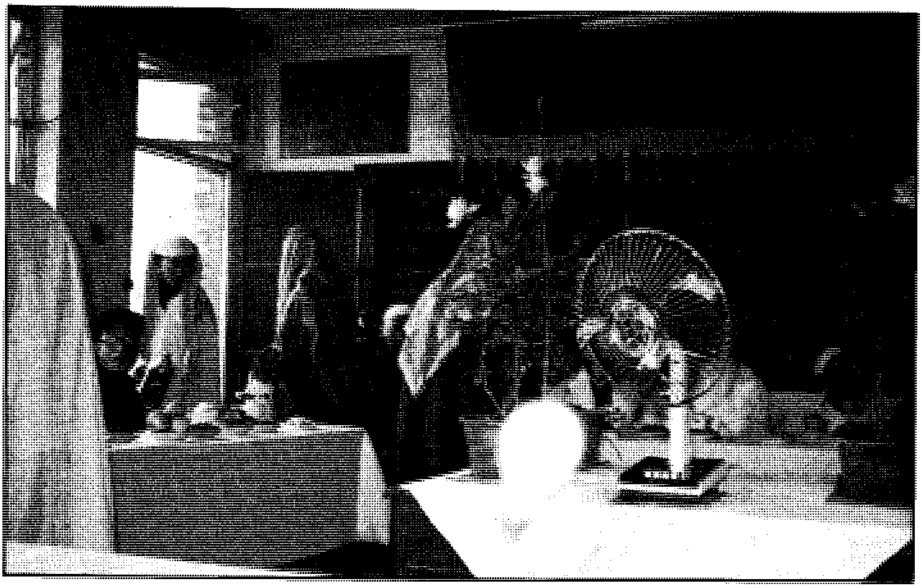
كما كثر الصاعدون على سطوح البيوت المجاورة إلى ماوراء عدة أزقة وشوارع وأخذ الشيخ يتكلم بعربية فصيحة ولكن دون انطلاق لأنه يحتاج إلى مران لكي ينطلق لسانه بالعربية ومع ذلك لم نحتج إلى مترجم بيننا وبينه.

وقال: أنا سلفي وأنا الوحيد الذي اتمسك بالسلفية هنا وأعلم السلفية لتلاميذي الذين يبلغ عددهم الآن كما ترونهم أربعين تلميذاً، وقال: لقد تعلمت العربية في الصين وواظبت على تعلمها وتعليمها هنا حتى وصلت إلى ما أنا عليه الآن- ولم أخرج إلى أي بلد عربي كما لم يحضر إلى بلادنا أي شيخ عربي نأخذ عليه العربية.



مسجد السلفيين في خوتشو

وتحدث عن مسجدهم فقال: إنه مسجد جديد وكان موضعه قبل ثلاث سنوات بستانًا فأعطتنا الحكومة عشرين الف ين لعمارته والباقي جمعناه من إخوتنا المسلمين وبخاصة من الذين يحبون السلفية والسلفيين، وقال : إن المسجد يتألف من ثلاثة طوابق الأول: فيه حجرات الدراسة والثاني مكاتب والثالث المصلى. وقال: إننا نحتاج إلى إكمال المسجد ببعض النقود وقد بنيناه كله من الاسمنت المسلح. وانفقنا عليه الآن مائة وخمسين الف ين.



داخل المسجد السلفي في خوتشو

ولم ينس أخونا الشيخ ذوالنون وهو يواصل الترحيب بأخوته السلفيين القادمين من جوار الحرمين الشريفين أن يتطرق أيضًا إلى السياسة فهو سريع الكلام جم التفكير وإن كان بعض تفكيره يحتاج إلى المزيد من العمق والتركيز قال:

بعد سقوط عصابة الأربعة عادت السياسة في الصين إلى سياسة معتادة، ونحن نعيش بسهولة ونقوم بنشاطنا الديني المعتاد.

والظاهر أنه قال ذلك من باب الكياسة وليس حبا للكلام في السياسة لأن الجمع كان مشهوداً من أناس من الحكومة أو ممن ينقلون الحديث إلى الحكومة لأنه أضاف قوله: نحن من المذهب السلفي لم يكن لنا مسجد من قبل ولكن بمساعدة الحكومة بنينا هذا المسجد قبل ثلاث سنوات.

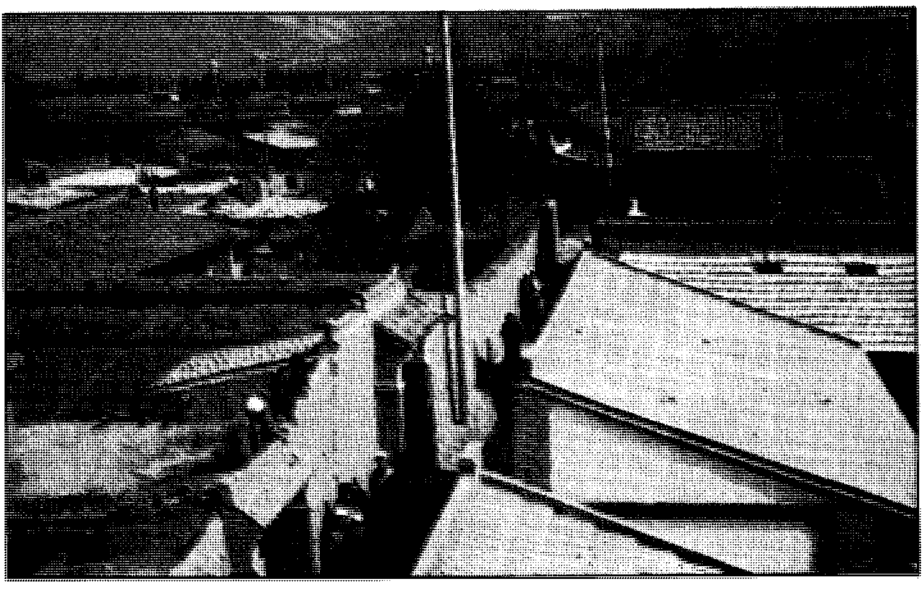
والواقع أن مظهر الشيخ نفسه ومظاهر تلامذتة حوله مما يشهد بأنهم بالفعل من الحريصين على التمسك بالمذهب السلفي وحتى بالمظاهر التي يظهر بها

السلفيون لأنه لايوجد بينهم من على رأسه عمامة كالتي تكون على مشايخ المتصوفين.

وحتى العبارات المكتوبة على السبورات في المدرسة جعلوها تدل على ذلك ومنها عبارة: الخير كل الخير إنما هو في اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والشر كل الشر إنما هو في الابتداع في دين الإسلام.

هكذ كتبوها- والمشهور في العبارة كما نحفظها هو: الخير كل الخير في اتباع من سلف والشر كل الشر في ابتداع من خلف.

وإلى جانب هذه العبارة بالعربية توجد في السبورات كتابات بالصينية قالوا: إنها تفسير لبعض النصوص الدينية.



من الطابق العلوي في مسجد السلفيين في خوتشو

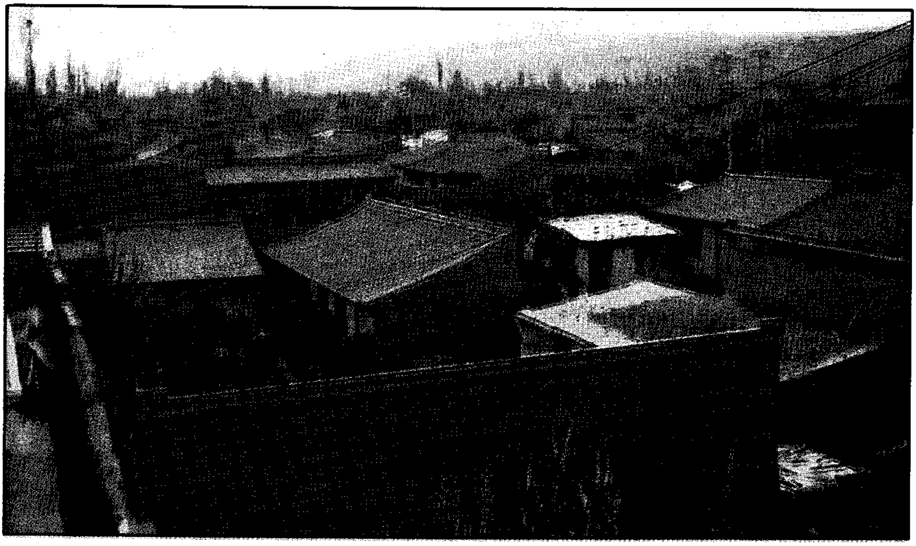
والواقع أن هذه هي المرة الأولى التي نسمع فيها صراحة من أحد في الصين انتسابه للسلفية وتظاهره بل اعتزازه بالانتماء إليها.

وقد لاحظت أن بعض كبار السن من الأخوة المسلمين الذين أقدر أعمارهم فيما بين الستين والسبعين تظهرعليهم علامات الصحة والقوة حتى كانوا عند المصافحة يشدون على أيدينا بقوة حتى تكاد تؤلمنا وهم انفسم ذوو اجسام خفيفة ليست مترهلة.

وقد أخبرني بعض الإخوة المرافقين أن ذلك لكون بعضهم من ذوي الأصول المغولية .

هذا وقد قال الشيخ(ذوالنون وانغ جانغ جو) للمترجم الأخ لقمان أرجو إبلاغهم بأننا مشتاقون لحج بيت الله الحرام. ولكننا لانستطيع ذلك الابمساعدة من المملكة العربية السعودية وربما قال ذلك بالصينية مع استطاعته أن يقوله لنا بالعربية من أجل أن يعرف الحاضرون من قومه الذين لايحسنون العربية أنه قد أبلغنا إياه.

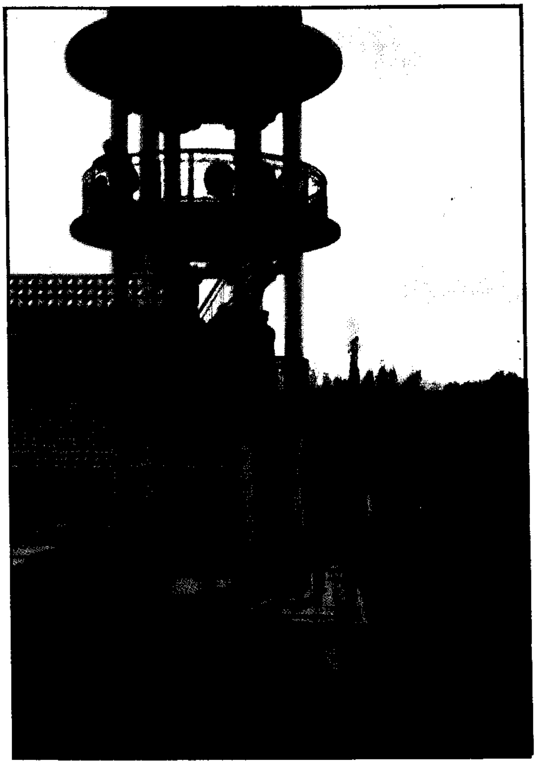
وذلك لأن موضوع تيسير الحج موضوع مهم عند الإخوة الصينيين لأنهم كانوا قد حرموا من الحج سنين عديدة إبان تعصب الشيوعية في زمن حكم العصابة الرباعية من أنصار الزعيم الهالك(ماو تسي تونغ).



نظرة من سطح مسجد السلفيين في خوتشو

وعندما خففت الحكومة الحاضرة من القيود التي كانت تمنعهم من الحج كان هناك صعوبة الحصول على العملة الصعبة، وبعد الأماكن التي يستطيعون الحصول منها على سمة الدخول إلى المملكة.

وقد القيت كلمة مبسوطة من مكبر الصوت رددت فيها على كلمة الشيخ (ذي النون) إمام المسجد. ووجهت الحديث فيها إلى هذه الجموع المحتشدة من المسلمين داخل المسجد وخارجه في الشوارع وأسطح المنازل لأن هذه فرصة نادرة ينبغي أن تغتنم .



منارة جامع السلفيين
في خوتشو

ثم تفقدنا المسجد الذي هو مبني بالاسمنت المسلح كما تقدم غير أن سقفه من الخشب لأنه في أعلى المسجد وأما فراشه فانه من الجلود وللجلود ذات الشعر الكثيف في هذه البلاد الباردة مزية الوقاية من برودة الأرض في الشتاء وهو مسجد حديث البناء بنى عام ١٩٨١م، وبجواره بناء تابع له مؤلف من ثلاث طبقات في الطبقة الأولى منه غرف دراسية وفي الدور الثاني مساكن للطلبة.

ثم انحدرنا مع الدرج ونحن نحيي الإخوة المجتمعين الذين كانوا في كل مكان حول المسجد فضلاً عن المسجد ذاته وقد امتلأت الشوارع القريبة منه فضلاً عن ساحاته بالواقفين.



جموع في مسجد السلفيين في خوتشو

في بيت أحد المسلمين:

ألح علينا الإخوة بزيارة بيت أحد الإخوة المسلمين ولما كانت الجموع المجتمعة قد ضاق بها المسجد وماحوله سألناهم: كيف يمكن تحركنا فضلاً عن تحركها إلى هذا البيت؟، غير أنهم أخبرونا أن رجال الشرطة والمرافقين سيتولون هذا الأمر.

دخلنا بيتا في فناء مكشوف تطل عليه الغرف فا ستقبلنا الأخ الداعي (الياس لا يبي لي) وقد فهمنا سبب الحاحهم على زيارة البيت وهوأن هذا الأخ الكريم له قصة مؤسفة ذلك بأنه قد سافر إلى باكستان عام ١٩٨١م، وأقام فيها عدة أشهر يحاول الوصول إلى بيت الله الحرام وأداء فريضة الحج ولكنه لم يوفق بسبب عدم أخذه ببعض الأمور الشكلية ثم حاول بعد ذلك أيضًا وأقام في باكستان لمدة شهرين ولم ينجح.

فوعدناهم بأننا سوف نعمل على تيسير حجه في المستقبل و أهم ذلك أن نطلب له سمة دخول للحج ضيفا على رابطة العالم الإسلامي وقد أخبرنا أن والده يقيم في الطائف وإنه لم يره منذ سنوات ويريد أن يراه قبل موته لأنه كبير السن واسم والده يوسف سراج الدين[١].

إلى مسجد آخر:

لا اظنني بحاجة إلى التأكيد على أهمية المسجد في هذه البلاد الشيوعية بعد أن ذكرت ذلك فيما سبق وأزيد هنا أن زيارة المساجد في هذه البلدة اكتسبت أهمية إضافية من كونها مكانا لتجمع المسلمين والالتقاء بهم مما لم يتوافر في مكان آخر لكثرتهم.

انطلق الموكب قاصداً مسجد(لو خوا سو) فكان أول ماظهر لنا منه أعلام المسلمين الخضر تخفق فوقه وان كان من طابق واحد. واستقبلتنا جموع المسلمين على رأسهم الأخ(ابرهيم ما جنغ سو) وقد أخبرونا أن المسجد قديم ولكنهم جددوا بناءه من تبرعات المسلمين في هذه البلاد ولايزال يحتاج إلى منارة و إلى فراش.

---

(١) ملحوظة: حج المذكور في موسم الحج التالي ورأى والده في الطائف غير أنه وجده مريضًا ومات والده بعد وصوله إلى الطائف بيوم واحد فشيعه إلى مثواه الأخير ودفنه هناك ثم عاد لإكمال حجه في مكة المكرمة.



المؤلف يتكلم في لوخراسي على يمينه الاستاذ لقمان ماشان لي يترجم كلامه

ثم ألقيت كلمة من مكبرات الصوت التي وجدتهم أعدوها لهذا الغرض، وقد بلغ التأثر بناوبهم مبلغا عظيماً.

ثم مررنا بمساجد متعددة ولم نقف عندها لكثرة المساجد وصعوبة السيطرة على موقف الجماهير، وكان الناس من كافة الأعمار والأجناس يتظرون إلى الوفد و يتعجبون، فعدا الميزة العظيمة التي تميز الزيارة بأنها من قوم جاءوا من جوار الحرمين الشريفين فان الموكب المؤلف من عدة سيارات صغيرة والزي العربي الكامل الذي يرتديه أعضاء الوفد قد أضفى على الموكب غرابة على غرابة. وزاد المتطلعين لرؤيته تشويقًا إلى تشويق.

لاسيما مع كون الموكب اخترق عدداً كبيراً من شوارع مدينة(خوتشو) وأحيائها بقصد إظهار ذلك للمواطنين وتتقرب الحكومة بذلك اليهم مما جعلنا

نعتقد أن هذه الزيارة ستكون من الأحداث الباقية في ذاكرة ابنائها إلى أمد بعيد بل إنها ربما اصبحت مما يذكره الأول للآخر.



المؤلف على يساره الاستاذ محمد شاه حبيب الله عضو الوفد

ثم عدنا إلى دار الضياقة واستقبلنا عدداً كبيراً من الزوار المسموح لهم بزيارة الوفد والالتقاء بأفراده والا فان الباب الخارجي لدار الضيافة محروس بحيث لايلجه الأمن كان معروفًا مأذونا له بالدخول.

مائدة العشاء الرسمية:

أقام رئيس حكومة الاقليم الأخ(شعبان مايونغ خي) حفلة عشاء رسمية للوفد دعا إليها كبار موظفي الحكومة وأعيان البلاد من مسلمين وغير مسلمين فضلاً عن عدد من أئمة المساجد وأهل المدينة.

وكانت مائدة حافلة بأنواع الطعام كما كانت حافلة بوجوه القوم.

ومن ذلك أن الأخ(شعبان) قال لي وكان يجلس بجانبي: إن هناك عشرة أنواع من الطعام غير المقدمات والمقبلات، وهذه كثيرة متنوعة.

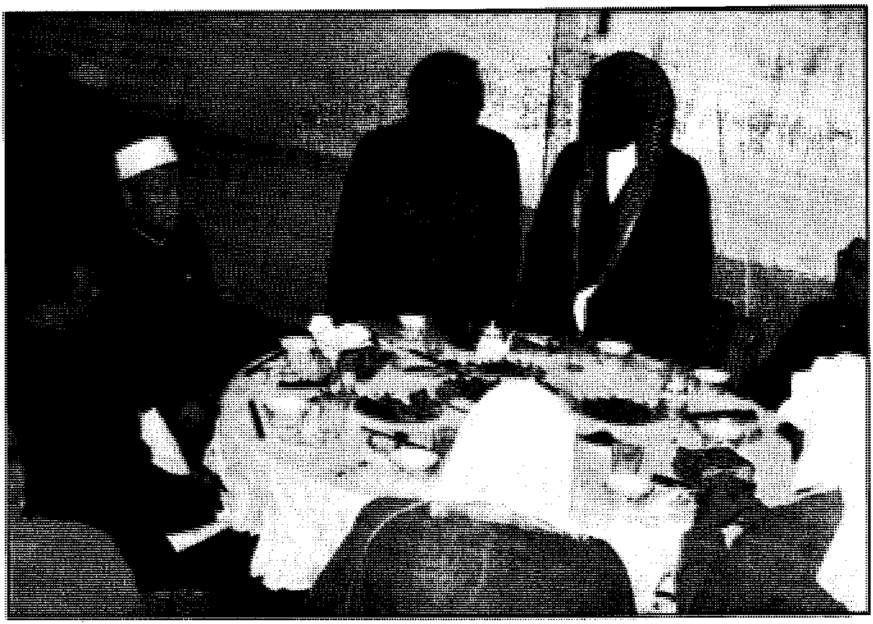
ثم أخذ(لقمان) المترجم يقرأ علينا الأنواع العشرة الرئيسية فمنها بيض الحمام،و(أذن الشجرة) ومصران الغنم المطبوخ بطريقة خاصة ونوع آخر من لحم الغنم الجيد، والأرز بالعسل. وهذا بالاضافة إلى عدد من أنواع الحلوى التي جاءوا بها في وسط الطعام كما هي العادة عندهم وخبز الصين الذي هو كالعجين الذي وضع في ماء مغلي ثم رفع عنه بسرعة وقبل أن ينضج، ونوع من الدقيق عليه العسل. ثم حلوى حارة وهي غير الحلوى الباردة التي قدموها في وسط المائدة ثم أرز حلو بالفاكهة المجففة مع السمن كما قدموا الفول نوعين أحدهما نيء والآخر مقْليّ بالصلصة، أما أنواع الخضرات فهي متعددة مثل الكرفس، كما قدموا نوعا من المكرونة الصينية وهي طويلة جداً ودقيقة جداً وكان رئيس الحكومة الأخ شعبان يخدمنا بنفسه ويوزع علينا الطعام من باب الاحتفاء والاحترام.



الأج شعبان يلقي كلمتة في مائدة العشاء

وفي أثناء هذه المائدة الرسمية القى الأخ(شعبان) كلمته الرسمية وهي مكتوبة تحدث فيها عن شكر المسلمين هنا لاهتمام رابطة العالم الإسلامي بهم وقدوم الوفد اليهم وهو أول وفد إسلامي يصل إلى المنطقة كما شكر رئيس الوفد- يقصدني- على احاديثه التي وصفها بأنها قيمة وهي التي القاها في مساجد مدينة(خوتشو) التي زارها، وحث فيها المسلمين على الوحدة والتعاون ذلك بأن المسلمين في هذا الاقليم يشكون من الخلافات والصراع- كما قال-.

وقال: إن أحاديث رئيس وفد الرابطة ستكون حافزاً للجماعات الإسلامية والحكومة على نبذ خلافاتها من أجل العمل البناء.



المؤلف يتكلم في المائدة الرسمية في خوتشو
على يمينه المترجم فالاستاذ شعبان رئيس حكومة المحافظة

وقد عقبت على كلمته بكلمة شكرته فيها على الترحيب والحفاوة التي قوبل بها الوفد في هذا الاقليم سواء من المسئولين الحكوميين أومن أفراد الشعب

وأكدت عليهم وكان الحاضرون كثرا بالتعاون على البر والتقوى ونبذ الشقاق والخلاف لأن الدين الإسلامي يدعو إلى التعاون والتآخي كما قال الله تعالى:(واعتصموا بحبل الله جميعًا ولاتفرقوا) كما انه ينبغي على المسلمين أن يتعاونوا مع السلطات الرسمية على مافيه المصلحة الوطنية العامة.

يوم السبت ٤ شعبان ١٤٠٤هـ ٥ مايو ١٩٨٤م.

الإفطار الرسمي:

ليس من العادة أن يكون طعام الافطار رسميًا بمعنى أن يحضره المضيفون مع الضيوف لأنه يكون عادة بعد النهوض من الفراش ويكون الجميع مشغولين بالاستعداد للعمل غير أن القوم هنا خالفوا العادة لكون الإفطار يتبعه مباشرة برنامج عمل حافل.

فكان أن حضر طعام الإفطار معنا الأخ(شعبان ما يونغ خي) رئيس حكومة الاقليم وعدد من وجهاء الإقليم وأعيانه حتى صارت مائدة الإفطار في سعتها كمائدة الغداء.



في حديقة لن تشا وعلى يساري رئيس المحافظة الأخ شعبان

ثم انطلقنا مع الجميع إلى حديقة(لن تشا) فجلسنا في قاعة للجلوس في بناء فيها جيد علمنا أنهم يعقدون فيها اجتماعات لبعض الزوار وكبار الموظفين في العادة فألقى الأخ(شعبان) كلمة أثنى فيها على وفد رابطة العالم الإسلامي وقال فيما قال: أنتم أول وفد إسلامي يصل الينا حاملاً عواطف إخوتنا المسلمين إلى أهل هذه البلاد ولايؤسفنا في زيارتكم إلاكونها قصيرة بسبب ضيق وقتكم ولكننا رغم ذلك استفدنا كثيراً من زيارتكم.

ثم قال: وكانت كلمة رئيس الوفد -يقصدني- في الجامع الكبير أمس درسًا عميقًا وخصوصًا تأكيده على الأخوة بين المسلمين وكنا مع سائر المواطنين نتابع ماقاله في خطبه في المساجد الاربعة التي تكلم فيها أمس فكلماته تشجع المسلمين بل إنها تشجع رجال الإدارة وبخاصة رجال الحكومة الشعبية في إقليم لن تشا ، على التعاون مع المسلمين لأنها تحث على التعاون في الأمور المفيدة للجميع.

أما وحدة المسلمين فإنها قوة كبيرة لهم ولابد من أن نتحد. وإنني أكرر أنه لشرف عظيم لنا أن نستقبل وفد رابطة العالم الإسلامي برئاسة فلان- يقصدني ونرجو العفو عما قد نكون قصرنا فيه نحو ضيافتكم.

ثم قدم بعض الهدايا التذكارية باسم حكومة الاقليم وسكانه ومنها خنجر صغير من صنع أفراد قومية تعيش في هذا الاقليم اسمها(بو آن) وقال: إن عددهم في هذا الاقليم ثمانية آلاف شخص. هذا إلى جانب هدايا أخرى صغيرة معتادة.

محافظة دونغ شيانغ

تقع محافظة قومية دونغ شيانغ الذاتية الحكم في الجهة الشرقية من لن تشا وتكثر فيها الجبال وتحيط بها أنهار من ثلاث جهات.

وتقع عاصتمها التي تسمى سونانيا على جبل ارتفاعه ٢٦٠٠ متر فوق سطح البحر، وهي مدينة صغيرة.

قال اديب من قومية دونغ شيانغ هو السيد وانغ يوى ليانغ: « يعرف معظمنا نحن ابناء قومية دونغ شيانغ اللغة الخانية وعلى الخصوص الشباب والكهول، أما إذا تكلم أهل دونغ شيانغ بينهم فلا يعرف غيرهم حديثهم».

لغتها وأصولها:

لقومية دونغ شيانغ لغتها غير المكتوبة، وتنتمي لغتها ولغة المغول إلى أرومة واحدة، ذلك لأن كثيرا من المفردات الأساسية مثل« الاكل» و« النوم» و« الحصان» و«البقر» و«الغنم» وغيرها من اسماء أعضاء جسم الانسان والاعداد متشابهة تماما. وتشمل من المفردات المغولية خمسين بالمائة أوأكثر، إذن أيكون أهل دونغ شيانغ مغولا ؟

هذه المسألة لا تزال رهينة البحث لدى العلماء في علوم القوميات ولكن هناك آراء مختلفة.

أحد الآراء: كان اجدادهم جماعة من المغول في دولة اوغوتاي التي حكمها اوغوتاي الابن الثالث لجنكيزخان، تزاوجوا مع المسلمين في دولتهم واعتنقوا الإسلام.فاضطروا أن يغادروا دولة أوغوتاي، وبعدما وصلوا إلى محافظة مينتشين اليوم في مقاطعة كانسو انقسموا إلى قسمين، احدهما دخل في منطقة منغوليا الداخلية، والآخر دخل في دونغ شيانغ(البلد الشرقي) من لن تشا اليوم.

من هؤلاء المغوليين الذين دخلوا دونغ شيانغ، واتخذت قوميتهم اسم المكان الذي يستقر فيه أكثريتهم ؟.

الرأى الثاني: هم من الجنود المغوليين الذين بقوا في دونغ شيانغ عندما قام جنكيزخان بالحملة الغربية، حيث استصلحوا الاراضي زمنا طويلاً، وتعايشوا واختلطوا مع أهل قوميتي خوي وخان، فتشكلت قومية دونغ شيانغ اليوم.

عدد سكانها في المحافظة ١٠٢٥٠٠ نسمة، ولكن عدد سكانها الاجمالى يبلغ ٢٢٠ الفا تقريبا. وينتشر قسم منهم في المحافظات المجاورة لها.

الحياة والعادات:

أهل دونغ شيانغ يجتهدون في الزراعة ويعملون في الرعى والأعمال الجانبية، وظهرت الاسرة ذات المائة رأس من الغنم والاسر ذات العشرات منها، وتحسنت معيشة الفلاحين تحسنا ملحوظا. مزروعاتها الرئيسية هي البطاطس والقمح والذرة وفول الصويا. ويحب أهل دونغ شيانغ لحم البقر والغنم وشرب الشاى. وادوات شرب الشاى هنا اسمها« سانباوتاى» يعنى تنقسم إلى ثلاثة اجزاء: صحن صغير وكوب وغطاء الكوب.

ومحافظة دونغ شيانغ تشتهر بالفواكه الحلوة، ففي وادي تانغوانغ مشمش كبير يشبه الخوخ حجما، وفي وادى لاما البطيخ وفي هونغليوتان الكمثرى يمكن أن تبقى طول الشتاء ولايتغير طعمها.

و(دونغ شيانغ) محافظة بمعنى اقليم تابع لمقاطعة كانسو ولكن يتميز باكثرية من المسلمين من سكانه ولذلك جعلوه محافظة متمتعة بالحكم الذاتي مخصصا للمسلمين من قومية(دونغ شيانغ).

سار الموكب وقد زاد عدد سياراته كثيراً إذْ صحبنا الأخ(شعبان) رئيس حكومة لن تشا وعدد من كبار الرسميين والوجهاء .

وخرجنا بسرعة من مدنية(خوتشو) التي يسميها جهالهم(مكة الصغيرة) رمزاً إلى تمسك أهلها بإسلامهم وحرصًا على ذلك فمررنا بمهبط صغير لطائرات الاسعاف الصغيرة والافانه لايوجد في البلدة مطار لهبوط طائرات الركوب المعتادة حتى ولا الصغيرة منها.

مع أن سكان مدينة(خوتشو) يبلغ عددهم مائة واربعين ألف نسمة جلهم من المسلمين ولذلك تقام الجمعة في ثلاثة وعشرين مسجداً فيها.

ولم نكد نغادر المدينة حتى بدأنا صعود تلال متصلة بجبال نراها عالية ولم أكن أتصور أنها ليست جبالاً من الحجارة الابعد أن وصلنا إليها وتفحصناها لأنها عالية متعددة التلال بل الرؤوس الشامخة تفصل بينها وديان عميقة.

ومررنا بكهوف في عرض هذه التلال العالية المتراكمة التي لا يشك من يراها في أنها جبال من الجبال الصخرية فرايناهم قد نحتوا في عرضها مساكن لم يتكلفوا لذلك غير النحت في التلة، والأرض طينية صلبة وليست صخرية فأخبرنا الذين معنا وجلهم من الرسميين الحكوميين بأن هذه المنازل هي منازل مؤقتة للعمال ويكفي أن تعرف للدلالة على عدم صلاحيتها للسكن المعتاد وبخاصة في غير اوقات البرد الشديد أنها ليست فيها نوافذ وربما تصل الرطوبة إليها من أعلى إلاإذا كانوا قد وجدوا حيلة يكافحون بها ذلك.

وعلى أية حال فانها من اعجب المساكن التي رأيتها وماشبهتها إلا بمساكن ثمود في مدائن صالح لولا أن تلك منحوتة في الجبال الصخرية و هذه منحوتة في تلال طينية صلبة.

صعد الطريق الجبل مع طريق ازفلتي لابأس بها وأرجو المعذرة من استعمال كلمة(الجبل) هنا ولوكنت قدمت لك أنه ليس من الحجارة وذلك لسببين أولهما

لغوي وهو أن الجبال قد تكون من غير الحجارة كما في جبال الثلج الواردة في القرآن الكريم ﴿ من جبال فيها من برد ﴾. والثاني من باب الشعور والاحساس فلا يستطيع الناظر إلى هذه التلال المتعاقية المجتمعة وبعضها أعلى من بعض أن يفارقه الشعور بأنها من الحجارة لأنها تشبه جبال الحجارة شبها عظيما، بل ان الطريق عندما أخذ يصعد إلى هذه التلال العالية وبأخذ في أحضانها ثم في متونها جاعلا الوديان العميقة على يمينه أو يساره شبهته بطريق(كرى) الواقع بين مكة المكرمة والطائف لولا أن هذه الجبال الطينية اوسع من جبال كرى والوديان فيها أعمق.

وقد أخذ الطريق يتتبع الأماكن المتدرجة في الارتفاع في متون هذه التلال فصار يتلوى يبعد ويقترب من مهاوي الوديان العميقة.

منظر غريب:

الحقيقة أن ذلك من أغرب مامر علي من مناظر الأراضي و الجبال في حياتي كلها مع أنني زرت أكثر أنحاء العالم بل ربما صح القول- من باب التجوز- أنني زرت العالم كله ولم أر أغرب ولا أعجب من هذه التلال الطينية المتراكمة كالجبال.

واللطيف في الأمر أن أي منطقة تكون مستوية أو قابلة لأن يسوي سطحها ولو كانت صغيرة تكون مزروعة بالقمح لأن الأرض كلها طينية صالحة للزراعة ولايمنع من الزراعة فيها الاعدم استواء سطحها.

وقد اخبرونا أن القمح الشتوي وهو الذي يزروعونه في الشتاء عند نزول الثلوج لايحتاج إلى سقي كثير بعد ذلك.

إن هذه التـلال تشـبه تربتـهـا أو على الأدق طينها طين التـلال التي رأيتـهـا عند الوصول إلى مطار مدينة لانجو غير أن تلك أصغر وهي متفرقة أما هذه فـهي أكبر وهي مجتـمعة وبعضـهـا يركب بعضا حتى غدت كسلاسل الجبال الواسعة.



المدرجات المزروعة على التلال الطينية
ومياه السيول حفرت أخاويد في الأرض

استمر الطريق صعوداً وقد مررنا بعدد من المشايخ والمتدينين تدل على ذلك عـمـائمـهم وهم يسلمـون على من يمربهم قـال لي احد الإخـوة: إن هؤلاء من السلفيين.

وقد مررنا بعمال يصلحون جزءاً من الطريق ويوسعونه فتحققت من تربته من أنها طينية صلبة خالية من الحجارة ولم أر بينهم عاملات لأن المنطقة للمسلمين واكثر العاملات في الطريق من كافرات الصينيات.

أما المناظر التي تحيط بالسائر في هذا الطريق الصاعد فانها بديعة بل رائعة لأنه ينقل البصر مابين وديان عميقة حمراء التربة خضراء الرقعة بسبب الزراعة المزدهرة فيها، وقد حفت بالوديان المزروعة مدرجات مزروعة في التلال تنهض بنهوضها حتى تكاد تصل إلى اكتافها إذا وجدت أماكن مستوية.

ثم تنقل بصرك إلى أعلى فتشاهد قمم هذه التلال الطينية البديعة لاتكاد تتبينها من شدة الارتفاع ولاتعدم أن ترى على الطريق بيتا أو بيتين من الطين نفسه الذي يؤلف هذه التلال فلا يميزه عن التربة على البعد إلاشيء من الجص يبيضون به وجوه هذه المنازل أو يحيطون به نوافذها وأبوابها على هيئة الحلية من أجل الزينة.

والأجمل من ذلك وقعًا في النفس منظر السكان رجالهم بالقلانس (الطواقي) البيض ونساؤهم بأغطية الرأس السابغة مما يجعل المرء يقطع بأنهم من المسلمين وهذه هي الحقيقة التي اخبرنا بها المرافقون.

ووقفنا بالقرب من منازل في متون هذه الجبال الطينية من أجل التصوير فالتف علينا السكان وكلهم مسلمون، وزاد التفافهم بل انعطافهم نحونا عندما أخبرهم المرافقون باننا أخوة لهم قادمون من بلاد الحرمين الشريفين.

ولاحظت أنه حتى الأطفال الصغار عليهم(الطواقي) البيض ووجوههم عليها نضارة ربما كان هذا من أجل موقع بلادهم في هذه التلال المرتفعة، أو من أجل بعدهم وبعد أهاليهم عن الخمور وأكل لحم الخنزير.

ومن المناظر الغريبة منظر شيخ كبير راكب على حمار وهو يسير في طريق ترابية على يمينها ويسارها مهاوٍعميقة عجبت من مخاطرتهم في سلوك هذه الطرق وبخاصة في اوقات المطر عندماتصبح الطريق طينا زلقًا.

وامرأة ذات احفاد - جمع حفيد- أو لنقل أسباط -جمع سبط -وهو ولد البنت عرفنا ذلك من الغطاء الأبيض التي تغطي به رأسها كما كنا قد تعلمناه أمس، وامرأة أخرى «أيّم» وهي العزباء التي ليس لها زوج عرفنا ذلك أيضاً من لون الغطاء على رأسها وهو الأخضر.

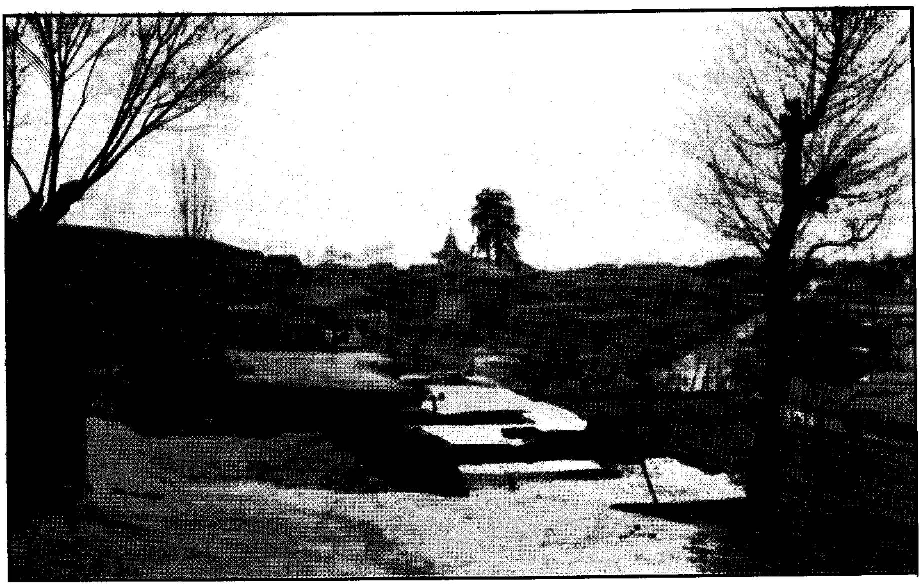
بلدة دونغ نشانغ.



تذكارية على التلال الطينية(بين خوتشو ولانجو)

وقفنا في بلدة في موضع مرتفع من هذه التلال هي أعلى مكان في المنطقة التي تحيط بها وإن كانت توجد قمم أخرى ومناطق تفصل بينها وبين هذه وديان عميقة أو أماكن منخفضة يصعب اختراقها على الدواب فضلاً عن السيارات.

استقبلنا رئيس الجمعية الإسلامية في المحافظة(ما كو كي) وعمدة المدينة التي هي مركز المحافظة الأخ(حسين ما فو يان) ونائب عمدة المحافظة الأخ(يحيى ماكو ليانغ).



سطوح بعض المنازل في التلال الطينية

وقد أخبرنا الأخ العمدة(حسين ما فو يان) أن المدينة مركز لقرى المحافظة التي تبلغ خمسا وعشرين قرية.

وقد وجدنا معهم جمهوراً غفيراً من سكان هذه الأماكن المرتفعة لم أكن أظن أنهم يسكنون هنا وفيهم كهول وشيوخ ذوو لحى مرسلة أكثرها مستدقة، وفيهم شبان قد ارتدوا العمائم أو القلانس وهي(الطواقي) فهي التي تميز الجميع.

وخيل إليّ أن أهل البلدة كلهم خرجوا حتى نساؤهم وأطفالهم جاءوا لرؤية إخوانهم الزوار من البلاد المقدسة ولكن النساء كن يراقبن منفصلات أو مايقرب من ذلك بمعنى انهن لايزاحمن الرجال ولكنهن لايبعدن كثيراً وهن متسترات غير متبرجات ولكنهن غير متحجبات فلا يوجد بينهن من تغطي وجهها أو كفيها.

أجلسونا في غرفة من منزل حكومي قالوا إنه مخصص لاستراحة زوار الحكومة و ضيوفها الأعزاء وأنزلوني في غرفة أمامها قاعة جلوس صغيرة.

ولم يكن بي حاجة للراحة بل إنني مقتُّ الراحة في هذا الوقت لأنني أريد أن

أشفي غليلي من مناظر هذه البلاد العجيبة في موقعها ومناظر أهلها ثم في رؤية هؤلاء الإخوة المسلمين المجهولين لدينا المعلومين المأجورين عندالله إن شاء الله- ولأنني شعرت كأنما كنت قد اكتشفتهم الآن.

ولاشك في أن سبب جهلنا بهم يرجع إلى تقصيرنا ولا اقول قصورنا عن تتبع احوال المسلمين كما يرجع إلى الحالة الصعبة التي كانت عليها البلاد الصينية إبان طغيان الشيوعية فقد عزلتها عن العالم، ومنعت الزوار الأجانب من زيارتها لاسيما تلك المناطق من البلاد التي اعتبرتها مناطق مغلقة لايسمح بدخولها لأحد من خارج الصين.



رجال الأمن ينظمون الجماهير الضخمة التي جاءت لرؤية الوفد في بلدة التلال الطينية(بين خوتشو ولانجو)

وفي دارالضيافة هذه كما في دار الضيافة الكبيرة الواسعة في(خوتشو) كومة من الفحم الحجري المعد للإيقاد وعلى بعد قليل انبوبة ضخمة لطرد دخان الفحم الحجري السام بعيداً كما رأيت مثل ذلك على نطاق واسع في مدينة(لانجو).

جولة على المساجد:

لم نبق طويلاً في غرف الاستراحة فخرج الموكب في جولة على مساجد البلدة فكانت زيارة المسجد الغربي وقد أعتاد الصينيون المسلمون على تسمية المساجد باسماء انحاء المدينة إذا كانت صغيرة لاتتحمل أن يكون في جهة من جهاتها أكثر من مسجد واحد.

وعلى سبيل المثال فان اسم المسجد الأول الذي زرناه هنا هو(سونان تشي سي) ذكروا أن معنى ذلك هو(المسجد الغربي).

استقبلنا في المسجد جماعة من أهله على رأسهم إمامه الأخ(شمس الدين بو يو نغ تاي) وأخبرونا أن بناء المسجد الحالي كان في عام ١٩٨٠م، وهذا تاريخ مميز في الصين الحديثة لأنه يعني انحسار المدالشيوعي الذي كان يمنع تعمير المساجد بل إنه كان في فترة من الفترات يحاول أن يمنع حتى وجود المساجد فيصادرها أو يخربها باستعماله غير اللائق بها.

وذكروا أن أصله مسجد قديم لايعرفون تاريخه لأنه قبل جيلهم الحاضر وذكروا أنه يكاد يمتلئ بالمصلين يوم الجمعة أما أيام الصلوات الخمس المفروضة فإن عدد الذين يصلون فيه يبلغ مابين الثلاثين إلى الخمسين وذكر لنا الإمام أنه يتسلم راتبا محدوداً من جماعة أهل المسجد كما ذكر الأخوة المجتمعون هنا أنهم لم يتسلموا مساعدة قط من خارج البلاد، ولم يطلبوها من أحد من غير الصينيين من قبل.

والمسجد صغير مفروش بالجلود والبسط الخفيفة التي لاتقي من البرد في هذه البلاد الباردة بل الشديدة البرد في الشتاء.

وبناؤه بالآجر والاسمنت وهو البناء الوحيد مما حوله من المنازل إذْ كلها من الطين وسقفه من الخشب المسنم القوي على الطراز الصيني؛ وقد كتبوا على محرابه باللغة العربية هذه الجملة التي هي في الواقع رمزية أكثر منها أساسية

لأن عدد الذين يستطيعون قراءتها وفهم معناها قليل جدا إن لم يكون معدوما وهي: « المسجد بيت فيه يعبد اللهَ الناسُ بأذانٍ وإقامة».

ورغم ركاكة هذه العبارة مبنى ومعنى فإنها ذات معنى عميق بالنسبة لنا نحن العرب إذنرى فيها فضل الدين الإسلامي على اللغة العربية وأهلها فلولا تدين هؤلاء الأخوة بالدين الإسلامي لما رأينا حرفا واحداً من اللغة العربية في هذه المنطقة النائية من بلاد الصين. بل إننا نرى أنه حتى في مطاعم المسلمين المنتشرة في كل أنحاء الصين لابد من وجودها لعدم خلو طعام الصينيين الكفار في العادة من محرم إضافة إلى أنهم ليسوا من أهل الكتاب الذين تحل ذبيحتهم نجد الاخوة الصينيين يكتبون جملة أو كلمة من العربية لتدل بشكلها الظاهر على انتساب المطعم أو المحل إلى الإسلام.



في الجامع الكبير في دونغ شيانغ على التلال الطينية

وهذا يوجب على العرب المخلصين لتاريخهم حتى وإن لم يكونوا من المتدينين الملتزمين أن يسعوا في نشر الإسلام وتعزيزه في العالم لأن في ذلك نشر لغتهم وتعزيز مكانتهم في العالم فهل هم فاعلون؟.

ولهذا المسجد منارة منعزلة في ركن من فنائه كما كنا نفعل في مساجدنا الطينية القديمة وهي قصيرة لأنها مبنية بالإسمنت المسلح وذات درج ظاهر بمعنى أن وسط المنارة وهي مربعة خالٍ لأنه ليس فيه الا العمد التي تحمل رأس المنارة الذي وضعوا فيه مكبراً للصوت.

وقد صعدنا المنارة التي ترتفع من المسجد الذي هو مرتفع بموقعه فاستجلينا أنحاء البلدة وصورنا ما شئنا من صور.

ورأيت في زاوية المسجد شيئا ذا معنى وهو أكياس من القمح عددها (٢٥) كيسا قالوا لنا: إنها هدايا من أهل الخير للعاملين في المسجد يهديها من يكون عنده فضل من القمح وليس عنده فضل من النقود وليس معنى إهدائها أن أحدهم أهداها كلها وإنما معنى ذلك أن كل من يود الاسهام في عمل الخير للمسجد والعاملين فيه فانه يقدم قدرا من القمح فجمع المسئولون في المسجد ذلك في أكياس وهي التي الفت هذه الأكياس المجتمعة.

المسجد الجنوبي:

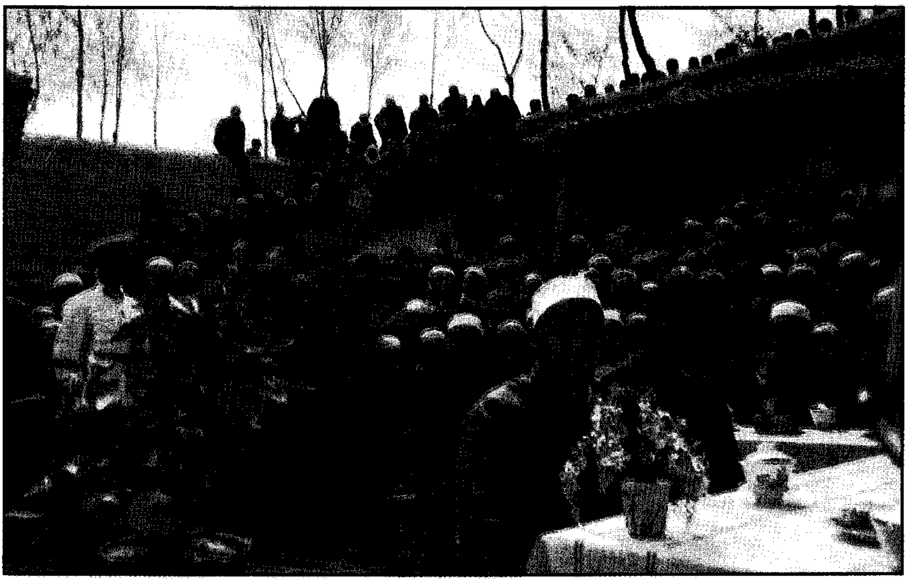
بعد أن ألقيت وأنا واقف كلمة قصيرة في أهل المسجد ومنهم الإمام وجماعة القائمين عليه ذكرتهم بما لمن يقوم على عمارة مساجد الله من أجر عند الله وبأن هذه الأعمال الصالحة هي التي تبقى للمرء ثوابا عندالله يوم القيامة وذكراً حسنًا عند الناس في هذه الدنيا.

غادرنا المسجد إلى مسجد آخر قالوا إنه(المسجد الجنوبي) واسمه بالصينية« سونان نان تشي».

وقبل الوصول إليه رأينا جموعا غفيرة من أهل البلدة من رجال ونساء وأطفال قد تجمهروا بالقرب من المسجد ينتظرون قدوم الوفد ويأملون في السلام عليه أو على الأقل في رؤيته.

وكان منظر الطريق في البلدة اغرب من منظر الأهالى فهو يرتفع وينخفض كما ترتفع وتنخفض أرضها التي كانت قد بنيت البيوت فيها تبعا لطبيعة الأرض و طبيعة الأرض في أصل تكوينها غير مستوية وفي عصور إنشاء البلدة لم تكن هناك قدرة على تسوية الأرض بل حتى الآن ليس لدي الأهالي أوالا ء دارة الحكومية المحلية قدرة على تسوية الأرض لوأرادوا ذلك.

وجدنا جماعة المسجد قد احتشدوا عند بابه مع المحتشدين منهم إمام المسجد الأخ:(محمد شعيب ما من تو). ذكر لنا الأخ الإمام أنه يتسلم مكافأة على تفرغه للإمامة والارشاد من جماعة أهل المسجد ولاترد اليهم من الخارج أية معونة.



عند أحد المساجد في بلدة التلال الطينية

والمسجد متوسط السعة وهو أكبر من الأول ذكروا أنه جديد الانشاء ولم يكن في مكانه مسجد قديم كالمسجد الأول ومع ذلك ذكروا أن تاريخ بنائه هو تاريخ بناء المسجد الأول وهو عام ١٩٨٠م.

واخبرونا أن نفقات بنائه كلها من جمهور المسلمين في هذه البلاد، وأنهم لم يتسلموا مساعدة من الخارج بل إنهم لم يتطلعوا إلى ذلك لأنه لم يتصل بهم احد من إخوانهم المسلمين في الخارج من قبل، والمسجدرث البناء وبخاصة من الداخل لأنه ليس فيه فرش وانما وجدنا في ركن منه كومة من التبن عليها حصر مستعملة هي الفراش الوحيد فيه فالمسجد الذي قبله الذي هو مفروش بالجلود أحسن حالاً منه أو لنقل أكثر يساراً منه.

وكذلك بناؤه اسفله بالآجر وسائره بالطين وسقفه بالخشب على هيئة سنام البعير. وأهم مايلزم له الفرش لأن الفرش في البلاد الباردة ليس ترفًا ولكنه ضرورة للوقاية من برودة الأرض. ولذلك قيدت في مذكرتي أن ندفع لهذا المسجد مبلغًا حاضراً من المال ولو كان قليلاً للمساعدة على فرشه.

المسجد الكبير:

ثم كان الذهاب إلى المسجد الكبير وهو أكبر المساجد في البلدة وهو قديم يرجع تاريخه إلى ماقبل مائتي عام وقد هدم في عهد عصابة الأربعة فانتدب الإخوة المسلمون من أهل البلدة لاعادة بنائه كلية فجمعوا المال على فقرهم وأعادوا بناءه من جديد وقد بدأوا ذلك في عام ١٩٨٠م، عام الحرية بالنسبة للمساجد وان لم يكن ذلك لجميع المساجد لأن بعضها بقي في أيدي الحكومة بعد ذلك التاريخ ولايزال القليل من المساجد بيد السلطات الحكومية في أنحاء متفرقة من الصين.

لقد ذكروا لنا أنهم انفقوا على بناء هذا المسجد أكثر من مائة ألف ين وهذا مبلغ كبير بالنسبة إلى دخل الفرد هنا وبالنسبة إلى عدم وجود ثروة بأيدي الأفراد لأن العامل غير الماهر يتقاضى في الشهر حوالي خمسين ينا ويعادل هذا ٣٠ دولاراً أمريكيا (أو ١٠٥) ريالات سعودية.

وكل هذا المبلغ جمعوه فيما بينهم لم يحصلوا على أية مساعدة من جهة خارجية- هكذا قالوا والشيء الذي عجبت له من قولهم ليس صحته فذلك ماثل أمام أعيننا وإنما العجب أن يكون هذا المبنى الحديث الرائع الذي نشاهده لم ينفق عليه الا هذا المبلغ ولاشك في أن مرجع ذلك إلى إخلاص هؤلاء الأخوة الكرام وإلى رخص الأيدي العاملة، بل إلى تبرع بعض المسلمين بالإسهام بجهودهم الشخصية في عمارة هذا الجامع.

وقد بنوه بناء جميلاً أقرب إلى البناء العربي منه إلى الطراز الصيني وإن لم يكن عربيًا خالصًا كما بنوا منارته بناءً حديثا على طراز صيني خالص.

وبنوا كذلك في جهة من فناء له واسع غرفًا ومساكن للإمام والمؤذن والعاملين في المسجد بل والدارسين فيه لأنهم يأملون في إنشاء معهد ديني إسلامي فيه ذكروا أنهم يسعون في أن يقيموا دورات لتدريب الأئمة وتعليم الشباب مبادئ الإسلام أولاً حتى يصبحوا من رجال العلم في الدين الذين قل وجودهم في الصين بعد استيلاء الشيوعيين على الحكم حيث ألغي التعليم الديني وصار رجال العلم وأئمة المساجد الذين لديهم فقه في الدين يموتون دون أن يخلفوا وراءهم من يحل محلهم من الشباب.

ومن اللطيف الظريف هنا أننا وجدنا فصلاً دراسيا فيه ثمانية من التلاميذ الكبار وعشرون من الصغار ورأيناهم يعلمون الكبار النحوو البلاغة في هذا الجو البعيد من حيث الجغرافيا عن البلدان العربية ولكنها الرغبة في الإسلام.

ولم نعجب لكوننا رأينا درس الصغار في موضوع من موضوعات الفقه فذلك أمرطبيعي.

حفلة الشمس الطليقة:

وجدنا الإخوة الكرام قد أعدوا مائدة مستطيلة عليها الأطباق والاواني الحافلة بالمكسرات والمقبلات وفناجين الشاي الصيني العريق ومكبر للصوت،

وقد وضعوه في الشمس الصاحية في الفناء المكشوف من المسجد وذلك لكون الغرف الموجودة في المسجد لاتتسع لكل هذه الجموع.



جلسة في الشمس في المسجد الكبير في دونغ تشيانغ علي التلال الطينية

جلسنا على هذه الموائد المنصوبة وجلس معنا كبار القوم بل بعض الكبار من القوم لأنهم كانوا من الكثرة بحيث لم تتسع لهم تلك الموائد والكراسي التي صفوها في فناء المسجد ولوضاعفوا أعدادها أضعافا فكانت الكثرة الكاثرة من المسلمين في الشمس التي لم تكن حارة ولكنها ليست مقبولة في هذا الفصل غيرأنهم كانوا قد خرجوا لتوهم من فصل شتوي بارد جعلهم لايكرهون الشمس بعده كما نفعل نحن في بلادنا في شمس الربيع.

وقد ألقيت فيهم كلمة من مكبر الصوت ذكرت فيها ماذكرته لغيرهم من الإخوة الصينيين في زوايا البلاد التي لايصل اليها المسلمون القادمون من الخارج، قلت لهم: إننا جئنا من أجل السلام عليكم لأننا نشعر أنكم إخواننا الذين إذا لم يستطيعوا الوصول إلينا وزيارتنا فاننا يجب علينا أن نزورهم، وهذه الزيارة هي لله وفي الله فليس الغرض منها الهدف السياسي

ولا المنفعـة إلا قتصادية ولاحتى اي مقصد من مقاصد النفوذ لأننا من رابطة العالم الإسلامي التي هي مؤسسة شعبية عالمية وليست دائرة حكومية سعودية وإن كانت حكومة المملكة العربية السعودية تساعدها ماليًا كما تساعد باقي المنظمات والمؤسسات الإسلامية في العالم.

ثم قلت لهم: إننا سننقل كل ماشاهدناه من عواطفكم تجاه إخوانكم واخلاصكم في المحافظة على دينكم إلى اخوانكم المسلمين في سائر أنحاء العالم والشيء الوحيد الذي يجب أن نذكركم به هنا هو تربية أولادكم تربية إسلامية صالحة حتى ينشأوا على مثل مانشأتم عليه أو أفضل من ذلك.

ثم قمنا إلى تفقد داخل المسجد فألفينا أرضه قد كسيت بالخشب فوقه بسط صوفية سميكة.



في بلدة التلال الطينية أمام أحد أبواب المساجد

وكان يرافقنا في الجولة جميع رجال القرية وأعيانها ويمنع رجال الأمن جمهور الناس من الاقتراب أو الألتصاق بأعضاء الوفد حذراً من المضايقة بطلب المصافحة والسلام وعلى رأس الجميع إمام المسجد الجامع الأخ الشيخ (مالوتشيانغ).

أهي معجزة؟

تناولنا غداء معتاداً في دار الضيافة الا أنه أقل اصنافًا من أنواع الطعام التي قدمت الينا في حواضر الصين وكان السائدفيه لحم الغنم ولاشك في أن هذا راجع إلى طبيعة الحياة في هذه التلال المنعزلة.

ثم وزعنا المساعدات التي قررناها على المسئولين عن المساجد بحضور رئيس حكومة الإقليم الأخ شعبان ورئيس فرع الجميعة الإسلامية في خوتشو ورئيس الجمعية الإسلامية هنا.

وهي نقود امريكية بالدولار وليست صكات، وذلك من أجل سهولة التصرف بها وإن كنا نعلم أن من تكون بيده من المسلمين فإنه لا يستطيع أن يصرفها الا في البنك الحكومي مع أن صرفها خارج البنك يزيد بحوالي الثلث عن صرفها بالبنك غير اننا قصدنا من تسليمها علنا نفي احتمال العمل خفية وهو الذي قد ينشأ عنه شك في مهمتنا بخاصة أننا في أول زيارة للاخوة المسلمين في هذه المناطق الداخلية.

وكنت أفكرأثناء الغداء وبعد ذلك في شيء آخر إنه حال هؤلاء الأخوة الذين يسكنون في عزلتين أولاهما عزلة الإقليم كله بالنسبة إلى حواضر الصين والأماكن القريبة منه من مواطن الاحتكاك الخارجي والثانية عزلتهم في ظهور هذه التلال أو الجبال الطينية الواسعة ثم وهذا هوالأهم كيفية احتفاظهم بمؤسساتهم الإسلامية بل تنمية هذا المؤسسات كالمساجد التي دمرت أثناء

الثورة الثقافية في الصين فلم يقتصروا على إصلاحها بل بنوا مكانها مساجد جديدة عظيمة النفقة ثم لم يقتصروا على ذلك وإنما بنوا مساجد جديدة في أماكن لم تكن فيها مساجد من قبل.

وقد تم ذلك كله وهم يعيشون خلف ستار من العزلة التي شملت بلاد الصين كلها بحيث يصعب على الفرد منهم أو يستحيل أن يسافر إلى خارج البلاد لأن ذلك يحتاج إلى اذن من الحكومة التي لاتاذن به ويحتاج أيضًا إلى نقود أجنبية قابلة للتحويل وهو مالايستطيع الفرد منهم أن يحصل عليه ولو كانت لهم الحرية في الدخول والخروج لقلنا إنهم قد اتصلوا بإخوان لهم من المسلمين في خارج الصين فتأثروا بهم أو استعانوا بامكاناتهم على مساعدتهم.

ومع ذلك نجدهم هنا وتحت ضغط الحكومة الشيوعية الشديد في السنوات الماضية قد صمدوا وبقوا متمسكين بدينهم على حين كان بعض مواطنيهم من كفار الصينيين قد تركوا أديانهم التقليدية و الذين لم يتركوا الاعتقاد بصحتها وهم قلة قد تركوا العمل لها ، وأهملوا حتى صيانة معابدها كالديانة البوذية.

وقلت في نفسي: أهي معجزة جديدة؟ وكان الجواب بلاارتياب: إنها معجزة إسلامية جديدة!.

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولوكره الكافرون).

كنت أفكر في ذلك وكنت أظن أنني الوحيد الذي يفكر فيه وإذا بأخى الاستاذ (لقمان ماشان لي) الذي هو ترجمان الرحلة كلها وإن كانت وظيفته غير الترجمة يقرب مني وهو يخرج ورقة من جيبه ويقول بتأثر بالغ لقد نظمتها لقد نظمت قصيدة باللغة الصينة ويقول وهو يبسط ورقة عليها كتابة بالصينية أشبه ماتكون بالطلاسم لأنها بخط يده.

قلت له أوضح لي ماتقصد فقال وهو يغالب الدمع من فرط التأثر: إنني لن أقرأ عليك القصيدة لأنك لاتفهمها ولكنني سأترجم لك معناها.

ثم أخذ يترجم بطريقة كلامية غير شعرية ذلك ومنه قوله:

لولا أن هذا الدين الإسلامي دين الحق لما استطاع أن يصمد في رءوس هذه التلال، ولولا أنه مؤيد من عندالله لما وجدت في نفوس أهله هذه الحيوية في المحافظة عليه لقد أهملناهم حتى نحن الصينيين المسلمين الذين يقيمون في حواضر الصين ، ومع ذلك لم يفت هذا في عضدهم ولم يثنهم عن العمل لدينهم.

إنهم قاموابنصر الإسلام في الوقت الذي ترك فيه غيرهم غيره من الأدبان وإنهم فعلوا ذلك مع قلة الانصار وبعد الديار.

فيالله العجب من هذا الدين، إنه دين الله الحق ولولا ذلك لكان اضمحل أمام التحديات والتعديات التي تكاد تهد الجبال.

مغادرة بلاد العجائب:

وكيف لاتوصف بذلك وعجائبها معنوية ومادية، إن تكوين أرضها وطبيعتها عجب من العجب و إن تمسك أهلها بإسلامهم مع قلة الإمكان وعدم الأعوان ومقاطعة الإخوان وفساد الزمان لهوأعجب من ذلك.

غادرنا بلاد العجائب هذه في الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً والمراد بها عاصمتها ومركز إقليمها أو محافظتها كما يسمونها وهي بلدة(دون شانغ) فسلكنا طريقا آخر غير الذي جئنامنه لأننا قاصدون منطقة أخرى غير التي قدمنا منها بل تكاد تكون معاكسة لها في الاتجاه وهي ستجعلنا نقضي وقتا أطول ونقطع مسافة أبعد في ظهور هذه التلال وبين أحضانها في بعض الأحيان.

وقد سلكنا طريقا غير مزفلت ولكنه معبد بمعنى أنه مرصوص وليس مرصوفا فالأرض حتى في رؤوس هذه الجبال هي طينية ويكفي التمهيد للتعبيد ثم الرش ثم تمهد الطريق بعد ذلك غير أن تعبيد الطريق وتمهيده لم يمنعه من انتشار الغبار منه عندما تقترب منه السيارات.

ومررنا بعدة قرى كلها طينية المنازل ولكنها ذات تربة طينية أيضًا وبعضها واقعة على جوانب مهاوٍ عميقة تكاد تكون كالحيطان الواقفة وناهيك بحيطان طينية واقفة على مهاو عميقة انك لابد أن تتصور حالها إذا مانزل المطر واصبح الطين اليابس رطبا أو ذائبًا على حد قول أحدهم في ركوب البحر:

لا أركب البحر أخشى ... عليّ منه المعاطب

طين أنا وهو ماء ... والطين في الماء ذائب

وتصورت شيئًا آخر وهو ماذا لو كثر المطر حتى انزلقت كتل ضخمة من هذه التلال الكبيرة من مواقعها كما تفعل بعض الكتل من جبال الحجارة إذا كانت قد خالطها طين وأبديت هذه الخشية لأحد الأخوة المرافقين فقال: إن ذلك قد يحدث بل هو حدث قبل مدة قصيرة عندما انزلقت إحدى هذه التلال ومات من ذلك مئات من الناس ونشرت الصحف خبرها وسوف أبحث لك عن الجريدة التي نشرت ذلك واترجم لك مانشرته.

وكنا نتجه جهة الجنوب الغربي على حين كنا نتجه عندما صعدنا للتلال جهة الشمال الشرقي ولاحظت أن هذا الجانب من التلال أقل خضرة طبيعية من الجانب الآخر وظننت أن ذلك بسبب تعرضها للرياح الشمالية الباردة وبخاصة أننا الآن في أول فصل الربيع هنا.

كما رأينا هنا مارأيناه قرب مدينة لانجو وفي مدينة تونغ شين من المنازل المنحوتة في التلال.

وكان الطريق ينحدر أحيانا ويصعد أحيانا أخرى في لحف إحدى التلال ثم يعلو منها ثم يتجاوز ذلك إلى قمتها لأنه لايزال علينا أن نقطع طريقا طويلة فيها.

والمفجع أن أقساماً من هذا الطريق المعبد غير المزفلت تمر بمهاوٍ عميقة خطرة الا أن الطين جاف ولا خوف من الانهيار وإنما الخوف من خلل يحدث في السيارة فتكون النتيجة التدهور والموت المحقق قبل الوصول إلى القرار.

وقد لفت نظري وجود أبراج كهربائية ضخمة صارت ترى في بعض الاحيان فأخبرني المرافقون أنها قادمة من محطة لتوليد الكهرباء أقيمت على النهر الأصفر تغذي هذه المناطق بالتيار الكهربائي الذي تحتاج إليه ونحن متجهون في النهاية إليها لأنها مشروع يستحق الزيارة كما قالوا.

وقد قابلنا في الطريق عدداً من الفلاحين الجبليين وإن كانت جبالهم من طين لازب فرأيتهم هنا كما رأيت الفلاحين والعمال في المدن نظيفي الثياب والأبدان الا أن تقاسيم وجوههم تخالف التقاسيم الموجودة في وجوه الصينيين الأصلاء فهي طويلة في الغالب أو تميل إلى الاستطالة بخلاف وجوه الصينيين التي هي مستديرة أو تميل إلى الاستدارة وعيونهم واسعة بالنسبة إلى عيون الصينيين والوانهم تميل إلى الحمرة لا إلى الصفرة وقال بعض المرافقين: إن هذا راجع إلى أنهم يرجعون في أصولهم إلى قوم أخر ليسوا من الصينيين ولكنهم اختلطوا بالصينيين حتى اصبحوا منهم ويتكلمون لغتهم والدليل على ذلك أنهم منحدرون من قومية أخرى غير قومية(خان) التي منها الأغلبية الساحقة من الصينيين الكفار.

الا أن الذي يلاحظ من الأشياء غير المحبوبة في مظاهر ها على وجوه بعضهم هو النقص في التغذية وربما كان مرجع ذلك إلى التغذية بمعنى النقص في بعض الأنواع اللازمة لصحة الجسم كالخضراوات أو الفواكه لكون بلادهم

جبلية وعرة لايتوافر فيها مايتوافر لأهل السهول المعتدلة أو لسكان المدن وإن كان ذلك على قلة وفي نطاق محدود.

ولايكاد المرء يلمح بينهم نحيلا ماعدا بعض الشبان الذين تتسم أعمارهم بالرشاقة أوقلة اللحم في كثير من البلدان.

هذا وقد مضت ساعة على سير الموكب الذي هو مؤلف من اربع عشرة سيارة والمنظرهو هو لم يتغير الا أن ذلك لم يزدنا الا عجبا منه واستغرابا له.

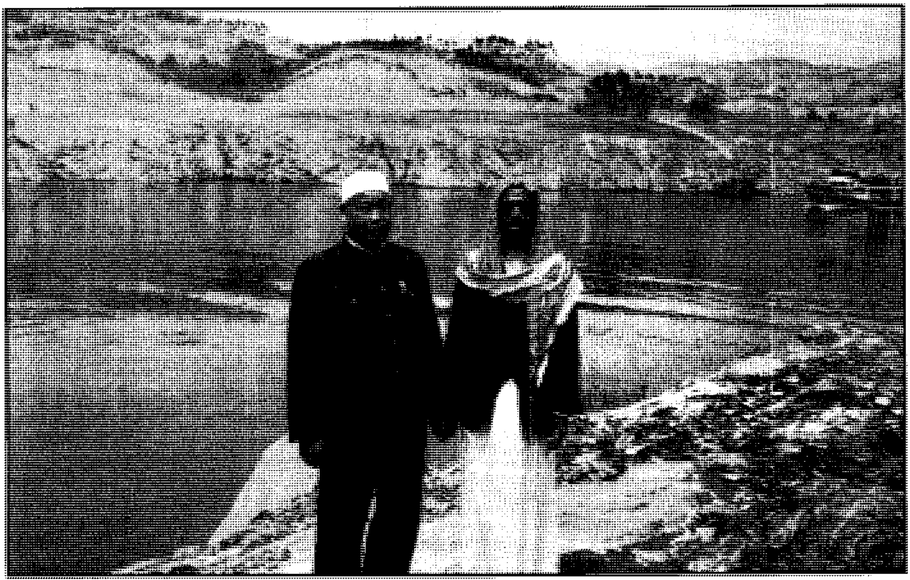
ولولا وجود الغبار المتطاير لكانت المتعة في السير فيه لايكدرها مكدر وقد كنت أرثي لبعض الفلاحين الذين نراهم على الطريق وهم على وسيلة الركوب الوحيدة هنا وهي الحمر- جمع حمار- والسيارات الاربع عشرة المتتابعة تثير الغبار وقد تزعج الحمار فيضطر صاحبه إن استطاع السيطرة عليه أن يقف ويحيى الموكب الطويل دون أن يبدي أي احتجاج.

غير أن الذي يخفف من ذلك بالنسبة إلى الفلاحين الذين يسلكون الطريق قلة السيارات التي تعبره في المعتاد وندرة المناسبات التي يرى فيها مثل هذا الموكب الطويل وعلى سبيل المثال لم تقابلنا من السيارات إلاثلاث حافلات وسيارتان من سيارات الشحن وذلك طيلة ساعة واحدة.

وبالنسبة للمناظر الطبيعة غير التلال الواقفة والوديان السحيقة فيها فليس هناك عدا مزارع القمح الضيقة إلاّ أعشاب خضر كأنما استيقظت على حلول الربيع فصارت تطل من الأرض على استحياء ولم أر فيه اشجاراً كبيرة إلا في فناء مبنى حديث يكاد يكون وحيدا فيما رأيناه هنا من الطريق فقد رأيت منه اشجاراً من أشجار الظل المغروسة واخبرونا أن هذا المبنى هو لمصلحة الطرق مع أن الطريق الذي سلكناه ولانزال نسلكه الآن ليس فيه شيء مزفلت.

على ضفاف البحيرة الإصطناعية

بعد أن مضت على سيرنا ساعة وثلث وقد أخذ الطريق في الانحدار ووصلنا إلى قسم ازفلتي جيد من الطريق نفضت سياراتنا عنها الغبار وصرنا نرى في اسافل هذه التلال الطينية حجارة سوداء ممادلنا على أننا نتجه إلى منطقة جبلية صخرية.



تذكارية خلال التوديع مع شعبان

ثم بدت بحيرة اصطناعية قد تكونت من مياه النهر الأصفر التي حجزوها خلف سد في وادٍ صخري عميق فكان لمنظرها الأنيق في أعيننا فرحة كبرى مثل مالمنظر الماء الرقراق في قلب الأعرابي في الصحراء.

وقد ملأت البحيرة مجرى الوادي وتفرقت في شعاب طبيعية منه وصرنا نرى أرضًا مزروعة حتى فوق الضفاف العالية للبحيرة ممايدل على أنهم يرفعون الماء إليها بالرافعات.

وقال المرافقون: إن عمق الماء في هذه البحيرة يبلغ مائة متر. وقال آخرون: إن السكان الذين يسكنون على ضفافها هم من الأخوة المسلمين وعرفت الخبر اليقين عندما رأيتهم يضعون القلانس على رءوسهم وهي من شعار المسلمين الصينيين.

وداع على البحيرة:

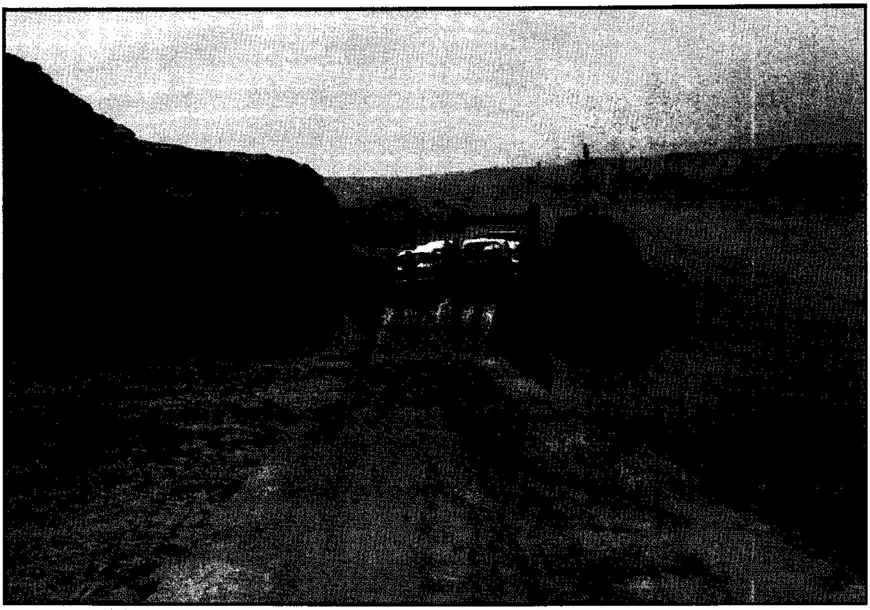
قلت إن الموكب الذي يرافقنا كان مؤلفا من اربع عشرة سيارة وذلك بأن حاكم الاقليم أو رئيس حكومة الإقليم كما يعبرون عنه الأخ شعبان مايونغ خاي وغيره من كبار الرسميين وطائفة معه من أعيان أهل(خوتشو) كانوا يرافقوننا.



صورة تذكارية على بحيرة السد مع المودعين قبل ركوب العبارة

وقد جلسنا جلسة طويلة على ضفاف هذه البحيرة العميقة في تذاكر وأحاديث قبل التوديع لأنهم سوف يودعوننا عند ضفاف البحيرة حيث من المقرر أن ننتقل مع سيارات الموكب المعتادة التي هي خمس على عبارة- بتشديد

البا ء- فنقطع هذه البحيرة لنصل إلى الضفة المقابلة ومن هناك ننطلق إلى محطة توليد الكهرباء ونستريح في دار ضيافة حكومية ثم نواصل السير عائدين إلى(لانجو).



العبارة وسيارات الركوب تصعد في بحيرة السد

وبعد تبادل الصور التذكارية ودعنا أهل خوتشو وعلى رأسهم حاكم الإقليم الأخ شعبان بحرارة ثم عادوا بسيارات لهم سبع وركب معنافي العبارة سبع لنواصل السير بعد ذلك.

في محافظة يونغ جونغ شين:

ركبنا العبارة مع سياراتنا وسيارات أخرى وقوم من الراجلين فأخذت تسير بهدوء على صفحة مياه البحيرة التي هي مياه النهر الأصفر قد حجزها السد وأخبرونا أن النهر الأصفر يمر بهذا المكان قادما من مقاطعة تشا نغهاي وهي

مقاطعة شمالية بعيدة إذْ يأتي النهر منها إلى مقاطعة كانسو التي عاصمتها مدينة(لانجو) التي نحن ذاهبون إليها الآن وتشبه كتابة اسم هذه الولاية(تشانغهاي) في العربية باسم المدينة الشهيرة(تشنغهاي) التي كانت أكبر المدن الصينية وكان يقال في وقت من الأوقات: إنها ربما كانت اكبر مدينة في العالم مع أن النطق في الاسمين مختلف وإن تشابها في الرسم بالعربية.

عندما نزلنا من العبارة التي هي السفينة المفتوحة تحمل السيارات والدواب والناس تنقلهم من إحدى ضفتي البحيرة إلى الضفة الأخرى قالوا لنا: إننا الآن دخلنا محافظة أخرى اسمها. (يونغ جونغ شين) ولذلك وجدنا في الاستقبال مدير الشئون الدينية فيها الأخ(شعبان ماه) وعدداً من وجهاء المحافظة وأئمة المساجد فيها مع أننا لم ننزل في مدينة وإنما في مكان مستصلح للزراعة لأنه مرتفع جداً عن ضفة البحيرة التي هي ليست واسعة وإنما هي عميقة وقد لاحظنا أن ضفتها الغربية التي وصلناها الآن ذات ضفة صخرية في الأسفل طينية في الأعلى الذي فوق مستوى الماء.

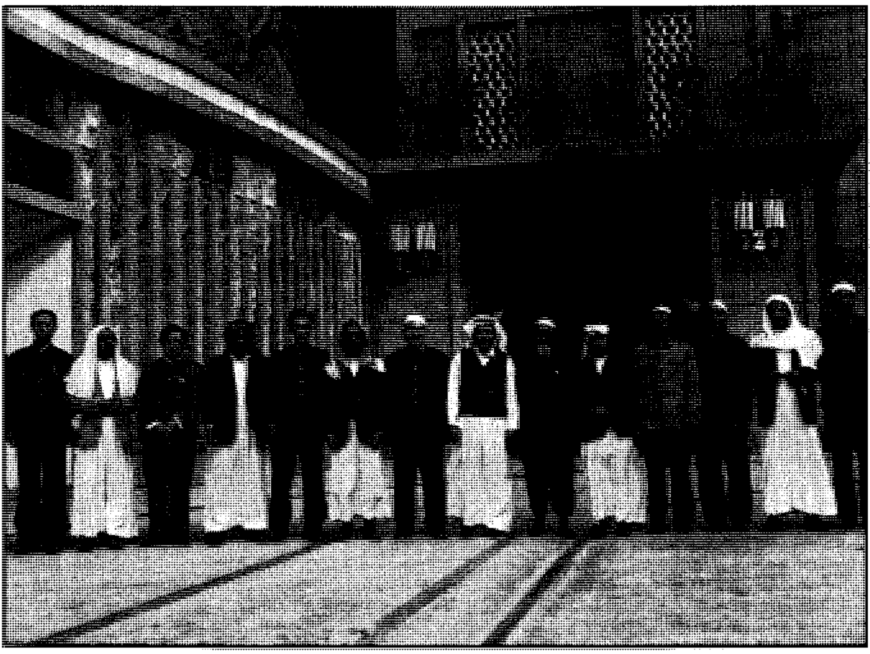
صحبنا بعض الأخوة والموظفين من محافظة« يونغ جونغ تشين» هذه فانطلق الطريق المزفلت صاعداً في تلال طينية أقل ارتفاعًا من التي تركناها اليوم وبعضها ذات ظهور مستوية ولذلك وجدت عليها مزارع غير واسعة.

بلدة ليوتشاتشا:

انحدر الطريق الازفلتي إلى وادٍ خصب ذي زراعة مزدهرة في وسطها بلدة اسمها(ليو تشاتشا) أخبرونا أنها حديثة وجدت بعدبناء السد ومع ذلك رأينا طائفة من بيوتها الحديثة مبنية من الطين.

فوقف الموكب عند دار الضيافة الحكومية وهي تشبه الفندق الكبير الجيد الذي مستواه مستوى الدرجة الثانية الجيدة أو الأولى الرديئة فاسترحنا في قاعة واسعة فيها ولم ندخل غرفها لأننا في عجلة من أمرنا وغسلنا الغبار الذي علق بنا أثناء سير الموكب في الجبال الطينية وأدينا صلاتي الظهر والعصر جمعًا فيما كانوا يعدون الشاي الصيني المنعش الذي وجدنا له لذة بعد الطريق غير المريحة رغم كونه ليس له طعم محبب فهولا سكر فيه ولونه أغبر يميل إلى الخضرة أو الصفرة ولكنه كان حاراً منعشًا.

وعلمنا أن دار الضيافة الحكومية هذه أنشيئت من أجل العاملين في محطة توليد الكهرباء أول الأمر ثم اصبحت لرجال الحكومة الذين يأتون في مهمات رسمية ولضيوف الحكومة أيضًا.



صورة تذكارية أمام دار الضيافة في ليوتشاتشا

واخبرونا أن محطة التوليد هي كانت المقصود الأعظم من بناء هذا السد على النهر الأصفر ولكنهم استفادوا أيضًا تربية الأسماك وأعمال الري و الزراعة في منطقة تحتاج إلى ذلك.

في محطة التوليد:

بعد الاستراحة توجه الموكب يتبع دليلة صينية شهربة قد أكل الدهر عليها ولم يشرب فهي إذن نصَف ولكن أطيب نصفيها الذي ذهب على حد قول الشاعر:

وإن أتوك وقالوا: إنها نصَف فان أطيب نصفيها الذي ذهبا

ولكنها كانت والحق يقال تأمر الموظفين بحزم وتتقدم الزوار بعزم وتشرح لهم مايشرحه الخبيرالحادالفهم. ومظهرها مظهر الصينية الأصيلة التي تتميز بضيق العينين وبروز الفكين والوجنتين وقصر الخطوتين عند المشي.

وكان الانطلاق خلف هذه الدليلة التي كانت تسوق السيارة بنفسها في الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر.

ودخلنا مع نفقين في واد ضيق بين جبلين وعليه اقيمت محطة التوليد فاوقفنا السيارات ونزلنا خلف الدليلة مع درج متعدد إلى أسفل من مستوى سطح السد وهويتلوى ويستدير كما يكون عليه الحال في درج المنارة الضيقة حتى وصلنا إلى غرفة للمراقبة الآلية وفيها أجهزة للتلفزة توضح مايجري في غرفة التوليد من دون أن يضطر الموظفون المراقبون إلى الذهاب إليها.



داخل محطة توليد الكهرباء من السد على النهر الأصفر والمديرة تتقدم الجميع

إلا أن صوت المحركات التي تدير المولدات من هذا القرب الشديد أسفل السطح يكاد يصم الآذان.

وبعد ذلك صعدنا إلى أعلى حيث السيارات والدليلة تتحدث عن هذه المحطة فكان مما قالته: إنها بنيت في عام ١٩٥٨م، وأنها وإن كان السير في بنائها توقف لمدة ثلاث سنوات بسبب قصور النفقة المخصصة لها إلى أنها أكملت بعد ذلك .

وقالت: إن فيها الآن خمسة(توربينات) تولد مليونين ومائتين وخمسة وعشرين الف كيلووات وأنها تمد ثلاث مقاطعات بالكهرباء هي(كانسو) و(تشانغهاي) و(تشان تشين).

وذكرت أن جميع الفنيين والمهندسين والعاملين هم في الوقت الحاضر من الصينيين وأنه ليس بينهم عالم اجنبي واحد وقالت: إنه حتى المحركات صنعت في مصنع من المصانع الصينية.

وقالت: إن النفقة التي انفقت عليها بلغت ستمائة مليون ين ويشمل هذا المبلغ كل النفقات حتى التي صرفت على المنشآت التي تتبع محطة التوليد وقالت إنها ربحت حتى الآن مايعادل التكاليف ست مرات ونصفا.

وذكرت أن بحيرة السد طولها ٦٥ كيلو متر ومساحتها ١٣٠ كيلومتر مربع لأنها ضيقة جداً في بعض المواقع وذكرت أن عمقها الآن مابين ٧٠ إلى ٨٠ متراً.

وقالت الدليلة والسيارات تصعد في طريق ضيق في عرض الجبل إننا ذاهبون الآن لرؤية خزان الماء الذي يدير(التوربينات) حيث نشرف عليه من مكان أعلى منه وعلى الوادي الذي بعده.

وكان المطر قد بدأ بالتساقط فلجأنا إلى أماكن في جسر معترض في الوادي يفصل بين خزان الماء الضخم الذي يمد التوربينات بالمياه وبين بقية مياه النهر وعاقنا سحاب كثيف عن التصوير لبعض الوقت.



على محطة توليد الكهرباء من شعبة في مياه النهر الأصفر

وقد تذكرت الآن الآية الكريمة من سورة الكهف التي جاءت في سياق الكلام على سد من النحاس ولكنها تصدق هنا على هذا السد من الاسمنت المسلح الضخم الذي قام بين صدفي الجبل وهما جانباه. وتسبب في حجز المياه التي تدير المولدات الضخمة فتولد الكهرباء حيث تمد بها ثلاثا من مقاطعات الصين الواسعة فقلت سبحان الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

العودة إلى لانجو.

بعد وقفة ممتعة فوق الجسر العالي الممتد بين جانبي الجبل وفيه يجري النهر في مجرى ضيق طبيعي عدنا إلى دارالضيافة حيث ودعنا الموظفون فيها وعلى رأسهم الدليلة.

وانطلق الموكب قاصداً مدينة(لانجو) التي تبعد عن هذا المكان بسبعين كيلو متراً. والنهر الأصفر الذي نشاهده هنا هو ذاهب اليها أيضًا مثلنا غير أن طريقه غير طريقنا وقد أقاموا في طريقه سدوداً حجزت مياهه وقيودا قيدت بعض اندفاعه ولكنها لم تشل حركته و سيواصل مسيره إلى مسافات شاسعة من أرض الصين الشمالية المحتاجة إليه واستمر مطر الربيع المحبب في التساقط ولكن دون كثافة.

ومررنا في الطريق بقرى ريفية زراعية أكثر مافي أفنيتها وبيوتها الطينية الأكوام المكومة من التبن وبعضه قد رفعوه فوق سطوح البيوت ربما من أجل الاتفسده رطوبة الأرض وبعضه قد نشروه على الأرض ليجف الا أن المطر الذي ينزل الآن قد يذهب جفافه. والقمح النضير الفتي يكاد يشمل الأماكن المستوية من الأرض وإن كانت ضيقة حتى المدرجات التي تكون في عرض التلال يمهدون أجزاء منها ويزرعونها بالقمح.

وقابلتنا في الطريق رعية من الأغنام البيض وقروى يسير على قدمه وهو يحمل فوق ظهره كومة من الحطب والمطر ينزل وهو يجاهد أن يصعد بحمله بعض التلال.

ومن أطرف المناظر هنا مناظر البيوت الطينية التي بنيت بالفعل من طين الأرض تحتها فاصبح الناظر اليها لايفرق بينها وبين الأرض على البعد الا ماكان مزينًا بالجص الأبيض.

وبخاصة لكون بعضها يقع في أماكن متدرجة في التلال الطينية فيخيل إليك أنها جزء من تلك التلال.

ووصلنا إلى مدينة(لانجو) عاصمة كانسو في الساعة السادسة والنصف من قبل الغروب وقد اكتظت شوارعها براكبي الدراجات وذلك أن الناس في هذه الساعة يكونون قد خرجوا من أعمالهم ولم يستقروا في بيوتهم بعد.

يوم الأحد: ٥ شعبان ١٤٠٤هـ، ٦ مايو ١٩٨٤م.

كان برنامج اليوم يتضمن في الصباح زيارة مصنعين من المصانع التي تحفل بها المدينة ولكني لم أر الذهاب اليها إيثاراً للكتابة على زيارة أماكن ليس فيها جديد ولاطريف بالنسبة اليّ.

وقد ذهب بقية الرفاق من الوفد وبقيت اكتب فيما تقرأه الآن من هذا الكتاب وجاءت خادمة الغرف في الفندق تصلح من شأن الغرفة كما هي عادتها اليومية وهي تتحين غياب النزلاء ولكنها وجدتني فلم يمنعها ذلك من أداء عملها لكون الغرفة واسعة وفي مقدمتها قاعة منفردة للجلوس فأردت أن أمنحها شيئًا من الحلوان(البقشيش) لاني كنت وحيداً فهذا ينفعها لفقرها ولتأخذ ذكرى طيبة عن زيارة وفدنا الإسلامي لهذه البلاد وبخاصة أنها كانت وحدها ولكنها رفضت

بكل عزم وتصميم ولم استطع إقناعها لانني لااستطيع إسماعها مايجعلها تقتنع بذلك من أجل حاجز اللغة.

وامتناع الخدم والموظفين في المرافق العامة في الصين أمرجربته وخبرته فهم يفعلون ذلك رغم حاجتهم الشديدة بل فقرهم المدقع في بعض الاحيان خوفا من عقاب السلطات التي لا تتساهل في ذلك.

وقد عرفنا من حالهم بالتجربة أنه إذا وجد من يشرح لهم المراد من إعطاء الحلوان، ويجعلهم يطمئنون إلى أن السلطات الحكومية لن تطلع على ذلك فانهم يتقبلون العطاء بسرور.

في سوق شعبي:



سوق شعبي بجوار الفندق المسمى بفندق الصداقة في لانجو

كنت عرفت بوجود سوق شعبية غير بعيدة من فندقنا فأبديت رغبة في زيارتها غيرأن فقرات البرنامج المزدحم لم تسمح بذلك ولم أجد المرافقين مرتاحين لذلك لأنه يحتاج إلى استئذان من الجهات المسئولة.

وعندما وجدت فسحة من الوقت في هذا الضحى وجدتني أسارع بأخذ المصورة وأذهب مع بعض الإخوة دون استئذان من أحد لان هذا السوق هي شعبية مزدحمة بالناس وليست مكانا خاصا.

وكان أول مالفت نظري في السوق وجود جملة مكتوبة باللغة العربية وبخط لاباس به(مطعم الإسلام) والكتابة على مطاعم المسلمين بالعربية هي رمزية كما قدمت أكثر منها حقيقية لأن من يعرف معناها نادر ولكنها تدل على أن هذا المطعم هو من مطاعم المسلمين.

ثم رأيت مطعما للمسلمين آخر بل رأيت صفًامن مطاعم المسلمين في جهة من السوق يقابلها صف من مطاعم كفار الصين.



في سوق لانجو الشعبي مطعم إسلامي كتبوا عليه(بسم اللّٰه الرحمن الرحيم)

وأكثر الذين في هذا السوق يظهر عليهم رقة الحال سواء منهم البائعون والمشترون ذلك أن أكثرهم يعمل هنا بصفة شخصية بمعنى أنه ليس موظفًا للدولة وليس الحانوت أو البضاعة التي لديه مملوكة للدولة وبالتالي فهو ليس موظفا لديها.

ولذلك فان الحوانيت هنا كلها صغيرة وأكثرها إن لم تكن كلها من الخشب على هيئة صناديق أو محاريب صغيرة وليست حوانيت مبنية من المسلح أوالآجر أو الطين فضلاً عن الاسمنت فطبيعة هذا السوق هكذا.

ولذلك لابد من أن يرى المرء رخصة ممارسة التجارة الشخصية وهي قليلة نزرة هنا تكون معلقة على الحانوت أو(الصندقة) كما اخبرنا بها الأخوة وكما رأيتها حتى الذين معهم قليل من الفاكهة أو الخضروات يعرضونها على الأرض لابد من أن يضعوا عليها ورقة الرخصة الحكومية التي تخول لهم ذلك.

ومن ألطف مارأيته منظر بعض العمال الذين يجلس الشخص منهم في هذا السوق ومعه العدة التي هي أدوات عمله وبجانبها ورقة الرخصة الحكومية التي تكون مختومة بالخاتم الرسمي وغالبا ماتكون مغطاة بزجاج أولدائن أو على هيئة الشهادة المدرسية.

وهؤلاء العمال يقولون عنهم إنهم شخصيون بمعنى أنهم يعملون لأنفسهم ويساعدون في المهن الصغيرة وقد رأيت منهم من يصلح الاقفال وآخر يرمم الأحذية وثالث يعمل في إصلاح الأشياء الجلدية بمعنى رفوها أو رقعها وبعضهم معه آلة الخياطة يخيط بها مايحتاج إلى اصلاح من الألبسة أو نحوها فتجد شخصا يخلع قميصه ليخيط له الخياط الشخصي هذا ما يريده بأجر ضئيل ثم يلبس قميصه ويذهب.

وهناك مانسميه(بسطات) وهو البضاعة المبسوطة على الأرض أو فوق صندوق خشبي وهي أكثر ما في هذا الصندوق وتكون تحت مظلة تقيها الشمس وربما تقيها المطر لذلك وفي هذه(البسطات) التي لابد من التنويه- مرة أخرى- بأنها شخصية مملوكة لأربابها وليست مملوكة للحكومة لابد من رخصة ممارسة هذه التجارة الصغيرة ولابد أيضًا من أن يكون صاحبها خاضعًا لنظام الضرائب يسلم ماتطلبه الحكومة منه من ضرائب لقاء مكسبه السهل إن كان يكسب شيئًا ذابال.

وتتضمن مقادير ضئيلة من التوابل مثل الفلفل الأحمر أو الأخضر وأما الأسود فإنه نادر لأنه من نبات البلدان الاستوائية الحارة ويحتاج استيراده إلى نقود أجنبية صعبة و الحلبة النابتة وبصل غير جيد، وبعضهم يبيع مكسرات قليلة بسيطة مثل الفول السوداني ورأيت احدهم لديه جرة كبيرة من الفخار رثة الصنع فيها خضرات مملحة(طرشي).



السوق الشعبي في لانجو

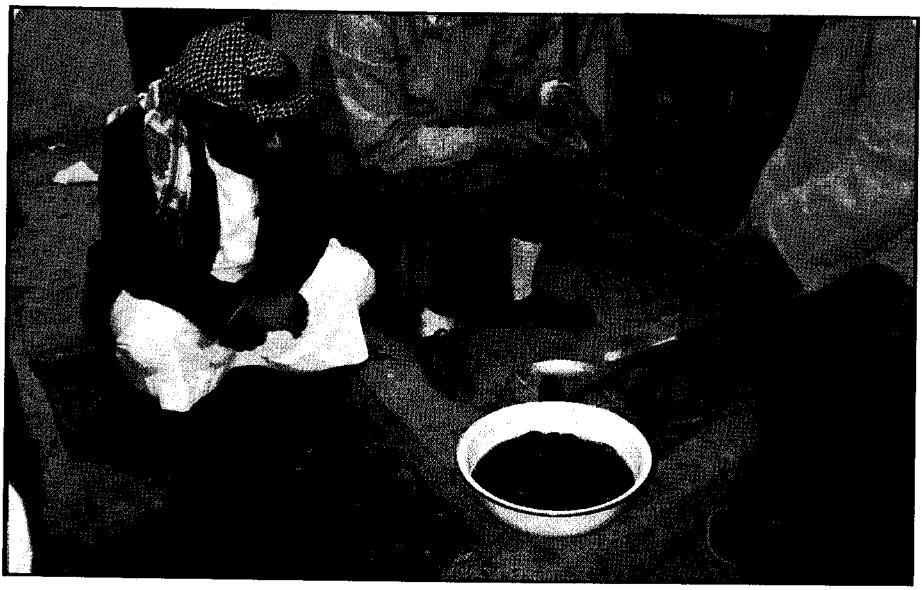
كما أن هناك خضرات طازجة مثل الكوسة ويبيعون الكيلو بتسعين سنتيما أي مايساوي حوالي ريال وثلث من ريالاتنا السعودية وهذا مبلغ كبير بالنسبة إلى دخولهم المحدودة.

وهذا مثال على الأسعار هنا بعضها مكتوب على المعروضات وبعضها لاأرى كتابته ولكن المترجم ذكره لنا. منها ثمار الثوم من دون ورق أو فصوص الكيلو بثمانين سنتيمًا وتفاح متوسط الجودة بالنسبة إلى تفاح لبنان مثلا يباع الكيلو الواحد منه بواحد واربعين سنتيمًا والجزر بعشرين سنتيمًا الكيلو.

وعلى ذكر التفاح فقد اشتريت كيلوين منه فتجمع الناس من الفضوليين عندي يتفرجون برؤية هذا الغريب الذي يخالفهم في أشياء كثيرة أهمها تقاسيم الوجه فضلاً عن اللغة و الجهل المطبق بأمور سوقهم وعجب بعضهم عندما اشتريت كيلوين اثنين منه لأنني كنت أريد أن أتحف اصحابي به، وقد كادت تحدث أزمة عند الشراء لانني لم اجد عند البائع كيسًا من الورق أو القماش ولاحتى بالنقود وكنت قد اشتريت سروالاصغيرا من السوق فعقدته من طرفيه ووضعت التفاح فيه بين عجب المتجمهرين واستغرابهم لأن الواحد منهم لايشتري كيلوين من التفاح دفعة واحدة في العادة ولعدم وجود وعاء له معنا.

الغرائب والعجائب:

لعل من أغرب الأشياء التي رأيتها في هذا السوق(حيات) من حيات الماء تباع في إناء مملوء بالماء ولاأدري لم يريدونها وربما كان مشتروها يريدونها للأكل فالصينييون مشهورون بأكل مالا يأكله غيرهم من الشعوب.



الديدان التي تباع في السوق الشعبي والاستاذ ابراهيم الخزيم يحد النظر فيها

وهناك حشرات يبيعونها تعجب أولاً من كيفية الحصول عليها وجمعها ثم عرضها هنا ثم تعجب من بيعها وهي مثل الذر الذي هو صغار النمل ومثل البعوض أو أنواع صغيرة من الحشرات التي تشبهه ذكروا أنها تشتري هنا لإطعام الاسماك التي تربى في البيوت تربية ولاأدري أهي اسماك الزينة أم اسماك للأكل.

وليست هذه الحشرات قليلة بل رأيت صغار النساء الجالسات ليس لديهن بضاعة الا هذه الحشرات وهناك الزهور التي تباع مع أصصها اي الجرار الفخارية التي تكون معروضة فيها وبعضها منقوش مزين أعجبتني إحداها فسألت عن ثمنها مع الجرة فقالوا: إنه ينان اثنان ويلاحظ هنا أن المماكسة التي هي المكاسرة عندعامتنا (الفصال) عند العامة المصريين غير موجودة هنا. وهناك أشياء بمثابة التحف اشتريت منها ومن ذلك فناجين صغيرة جداً على هيئة فناجين القهوة عندنا الا أنها صغيرة الحجم.



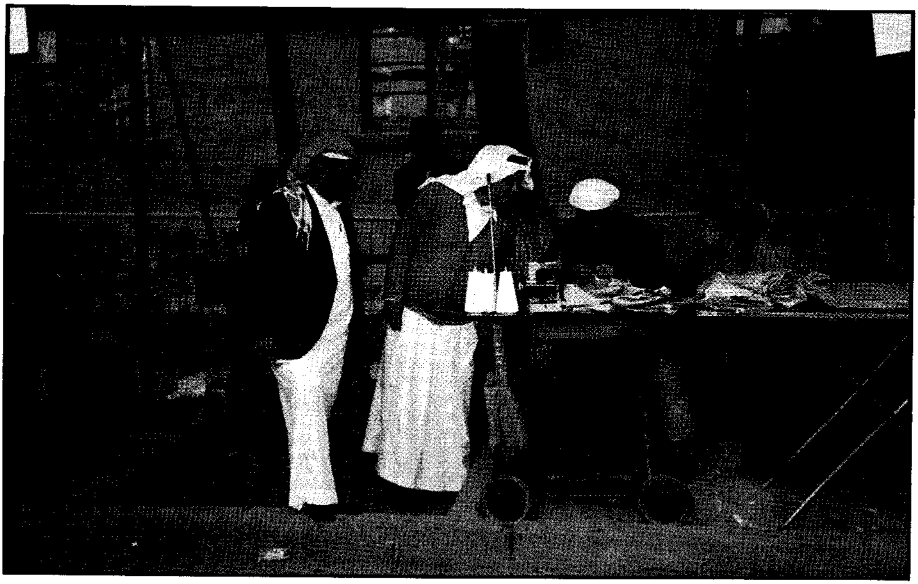
في سوق لانجو الشعبي مطعم إسلامي كتب عليه(الحمد لله رب العالمين)
وقف بجانبه الاستاذ ابراهيم الخزيم

وتكررت رؤية المطاعم الإسلامية التي أكثرها صغير في هذا السوق الشعبي الذي هو يمتد إلى مسافة طويلة. وأكثر هذه المطاعم عليه كلمة بالعربية كما قدمت، ورأيت واحداً صغيراً منها صاحبته أمرأة ليس عليه كلمة بالعربية وإنما على صاحبته طاقية بيضاء وهذا في ذاته علامة مميزة بل فارقة على أن صاحبة المطعم مسلمة وأن الطعام الذي يقدم فيه حلال للمسلمين لأن وضع الطواقي على الرءوس هو خاص بالمسلمين.

وربما كان سبب عدم الكتابة عليه هو صغره لأنني رأيت مطعمًا آخر أكبر منه مكتوبا عليه بالعربية(الحمد لله رب العالمين).

وتتجلي في هذا السوق أشياء عديدة أولها: بساطة الشعب الصيني الفقير على عراقتة وثانيها: عدم محاولة الغش والزيادة في الثمن من البائعين وربما

كان ذلك بسبب رقابة صارمة من الحكومة، وثالثها: رقة الحال عند هذه الجموع التي اكتظ بها السوق سواء منهم البائعون أو المبتاعون مما قد يدل على أن الشيوعية قللت الدخول وافقرت حتى الفقراء وإن تكن رفعت المدقعين وهم الجوعى من الفقراء إلى رتبة الفقراء الشبعانين.



عضوا الوفد محمد شاه حبيب الله وابراهيم الخزيم ينظران إلى عمل خياط شخصي في السوق الشعبي في لانجو

جلسة مباحثات:

اوشكت زيارتنا لمقاطعة كانسو على نهايتها ولذلك عقدت بعد عصر هذا اليوم جلسة مباحثات ذات طابع رسمي بين الجانب الصيني والوفد.

وقد اعد الجانب الصيني للجلسة إعداداً قويا تمثل في حضور المسئولين عن الجمعية الإسلامية في المقاطعة وعدد من المسئولين في الحكومة والادارة كما حضرها عدد من رجال الدولة وضباط الجيش من المسلمين حتى ولو كانوا

متقاعدين عن العمل الرسمي لأنهم يكون لهم حينئذٍ عمل مهم في الجمعية الإسلامية أو ما يشابهها من الهيئات الحكومية كما حشدوا عدداً من رجال التلفزة ومصوري الصحافة ومحرري الأخبار بشكل أكثر من المعتاد حتى عندما عقدت المباحثات بين الوفد والجمعية الإسلامية المركزية في بكين.



وفد الرابطة مع رئيس الجمعية الإسلامية

ومن الذين حضروا الجلسة:

الأستاذ/ موسى ماوو شانغ مدير الإدارة الدينية لمقاطعة كانسو.

الشيخ/ نصر الله ماجونغ يونغ رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة كانسو

الشيخ/ سعيد ماروين نائب رئيس الجمعية الإسلامية للمقاطعة.

الشيخ/ ابراهيم ماده لين نائب رئيس الجمعية الإسلامية للمقاطعة.

الشيخ/ محمد خالد مافوشنغ نائب سكرتير الجمعية الإسلامية للمقاطعة.

الشيخ/ محمد ادريس مادين جنغ رئيس الجمعية الإسلامية لمدينة لانجو.

الشيخ/ محمد يونس يانغ شن نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمدينة لانجو.

الاستاذ/ سليمان مامو مساعد مدير الإدارة الدينية للمقاطعة.

وقد تحدث الاستاذ موسى ماووشانغ عن اغتباط المسلمين في كل من لانجو ولن تشا ودنغ شيانغ لزيارة وفد الرابطة وتأثر المسلمين من احاديث رئيس الوفد في التعاون والعمل لخدمة الوطن وفي ختام حديثه عبر عن شكره وشكر المسئولين المسلمين في المنطقة لاهتمام الرابطة بهم والتمس أن يبدي وفد الرابطة ملاحظاته وانطباعاته عن احوال المسلمين التي شاهدها عن قرب في المساجد التي زارها الوفد.

ثم تكلم رئيس الجمعية الإسلامية الشيخ نصر الله ماجونغ يونغ عن سرور المسلمين لزيارة وفد الرابطة اليهم والتمس أن تتكرر مثل هذه الزيارات اليهم لأنها تفيد المسلمين إفادة كبيرة كما استفاد المسلمون من أحاديث رئيس الوفد واهتمامه بالاحوال الإسلامية.

وفي الختام التمس المعذرة لقصور ضيافتهم نحو الوفد.

فرددت عليه بكلمة قلت فيها بعد الشكر على الحفاوة البالغة التي قوبلنا بها هنا من الإخوة المسلمين ومن المسئولين في الحكومة ومن الأصدقاء الصينيين و من أفراد الشعب: إن هذه الزيارة تركت في انفسنا انطباعات لاتمحى وبخاصة الاستقبال الحار الذي استقبلنا به أينما حللنا من المقاطعة فكان بعض أبناء الشعب يندفعون للسلام على أعضاء الوفد بصورة مؤثرة ورأيناهم يرحبون بنا بطريقة عفوية غير متكلفة بل كان بعضهم ينتظرون الوقت الطويل حتى يجدوا فرصة لرؤيتنا والسلام علينا وإنناإذْ نشكرلهم ولجميع المواطنين الذين استقبلوناهنا بالترحيب ترحبيهم فإننا نعدكم بأننا سوف نبلغ إخوتنا المسلمين في

العالم الإسلامي وفي بلاد الأقليات المسلمة ماشاهدناه وما انطبع في اذهاننا عن هذا الاستقبال الحافل وعن مظاهر التكريم النادرة ونرجو أن تكون ثمرة هذه الزيارة زيادة الاتصالات ومن ثم التعاون الممتد مابين رابطة العالم الإسلامي والأخوة المسلمين في هذه البلاد وهذا بلاشك سيكون له أثر محبوب على العلاقات المفيدة مابين الصين الشعبية والأقطار الإسلامية على المدى البعيد.

ثم قلت لهم: لاشك في أننا قد اثقلنا عليكم بزياراتنا التي لم تقتصر على عاصمة المقاطعة بل شملت مدنا أخرى وقرى وعواصم إقليمية داخل المقاطعة إننا لانشك في أنكم تتحملون ثقل هذه الزيارة في سبيل مايرجي أن تسفرعنه في المستقبل من التعاون الثقافي المثمر. ثم إن اطلاعنا على احوال الأخوة المسلمين في هذه البلاد ونقل الصورة الصحيحة عن حالتهم إلى اخوانهم المسلمين هو في حدذاته أمر مطلوب ومبرر قوى للزيارة بل للجولة في هذه المقاطعة التي كانت شهدت في العصور القديمة أفواجًا من المسلمين و من العرب والفرس والاتراك كانوا يأتون إلى الصين جالبين حضارتهم وخبرتهم التجارية فيجدون عند الصينيين من أهل هذه المنطقة الاستقبال الكريم والترحيب الحار الذي يلقاه الأصدقاء من الأصدقاء حتى كان طريق الحرير القديم جديراً بأن يفرش بالحرير لأنه كان الطريق الذي سهل التبادل مابين المسلمين في الأقطار العربية الإسلامية وبين أهل شمال الصين ووسطها على وجه العموم.

ثم قدموا هدايا لوفدنا منها لوحة كبيرة تمثل الإسراء بمناسبة قدوم الوفد يوم ٢٧ رجب وهدايا نافعة للصحة أومقوية للجسم من تلك المعروفة في الصين وهي مؤلفة من أعشاب طبيعية أوحبوب نباتية مما ينبت في هذه المقاطعة(كانسو).



هدية الجمعية الإسلامية في كانسو عليها أول سورة الإسراء

وقد بادلناهم هداياهم باهداء مسجلات واشرطة عليها تلاوة القرآن الكريم وتمر من تمر المدينة المنورة وساعات غير ثمينة كما قدمنا تبرعات للمساجد في المقاطعة وبخاصة المساجد في مدينة (لانجو) عاصمة المقاطعة وهي تبرعات من رابطة العالم الإسلامي.

مع المسئولين الحكوميين:

وفي الساعة السادسة مساء بتوقيت بكين جاء إلى الفندق الذي ينزل فيه الوفد لتوديع الوفد الذي ستنتهي زيارته صباح الغد لمقاطعة كانسو كل من:

١- معالي السيد شريف تيان ده شانغ نائب رئيس الحكومة لمقاطعة كانسو.

٢- حبيب مازولين نائب رئيس المجلس الاستشاري للمقاطعة.

٣- وانغ شانغ جيان مدير ادارة شئون القوميات للمقاطعة.

٤- اوجونغ شن مدير ادارة الشئون الدينية للمقاطعة.

٥- جانغ شانغ شن نائب محافظ مدينة لانجو.

وبحضور الشخصيات الإسلامية من مدينة لانجو الذين سبق لهم الاجتماع مع الوفد في الساعة الثالثة ظهراً كما ذكر سالفا تمت مقابلة المذكورين أعلاه مع رئيس وأعضاء وفد الرابطة وارتجل السيد شريف تيان ده شانغ كلمة شكرفيها الوفد على زيارته لهذه المقاطعة كما شرح أحوال مقاطعة كانسو.

وحدثونا عن أحوال المسلمين في المقاطعة كما يراها الرسميون الحكوميون من خلال الاحصاءات التي تجريها الحكومة وتعترف بها فذكر معالى السيد(شريف) أنه منذ عام ١٩٨١م، تم افتتاح ٢٥٢٠ مسجد و١٩٧ معبداً بوذيا وكنيسة وهو يريد بذلك ما افتتح ابتداءً وماأعيد إلى أهله بعد ان كانت الدولة قد صادرته.



في الجلسة الوداعية مع رئيس جمعية لانجو

وعندما سألته عن السبب في كثرة المساجد التي افتتحت وقلة المعابد البوذية مع كون المسلمين قلة عددية بالنسبة إلى البوذيين أجاب أن السبب في ذلك قلة المعتقدين بالديانة البوذية يريد أن المتمسكين بها صاروا أقلية بعد أن كانو أكثرية في السابق.

وقال إنه رغم كون المسلمين أقلية عددية في المقاطعة في حدود ١٠٪ فان الدين الإسلامي يعتبر الدين الأول فيها لأن اتباع الديانات الأخرى قد تركوها واصبحوا بلادين.

ولذلك نحن الآن نفكر في افتتاح معهد إسلامي في المقاطعة لأهمية الدين الإسلامي هنا. ومع أن ماذكره من كون نسبة المسلمين إلى سكان المقاطعة هي ١٠٪ يقل قليلا عما قدره المسلمون أنفسهم فإنه يدل على عدد كبير حينما اعترف به مسئول حكومي رسمي.

ثم شرح سياسة الحكومة نحو الاقليات العرقية ومنها المسلمون قائلاً:

إن مقاطعة كانسو بها كثير من القوميات يبلغ عددها ٤١ قومية وأكثرها عدداً هي: الخان والخوي ودونغ شيانغ والقازاق بوآن وسالار ومغول والتبت ويبلغ عدد سكان المقاطعة أكثر من ١٩ مليون نسمة منهم مليون ومائتا الف نسمة من المسلمين الذين ينتمون عمومًا إلى القوميات الست التالية:

خوى ٩٥٠ الف نسمة.

دونغ شيانغ ٢٣٠ الف نسمة.

بوآن ٨٠٠٠ نسمة.

سالار ٥٠٠٠ نسمة.

القازاق ٢٠٠٠ نسمة.

وتطبق الحكومة الصينية سياسة خاصة نحو هذه القوميات تتلخص في ثلاث نقاط هي:

أولاً- تنفيذ سياسة الاستقلال الذاتي لكل قومية وعلى هذا يوجد في مقاطعة كانسو اقليمان يتمتعان بالحكم الذاتي وهما اقليم لن تشا لقومية الخوى واقليم كانان لقومية التبت كما توجد ٧ مراكز تتمتع بالاستقلال الذاتي مثل مركز دونغ شيانغ المتمتع بالحكم الذاتي لقومية دونغ شيانغ وكذلك توجد ٢٤ قومية تتمتع بالحكم الذاتي والمسئولون في هذه الاقاليم والمراكز والقرى يرجعون اصلاً إلى القومية التي أعطي لها الحكم الذاتي وذلك في سبيل تمكين ابناء القومية من إدارة امورهم بانفسهم.

ثانيًا- تنفيذ الحكومة الصينية سياسة حرية الاديان وعلى هذا فالمساجد والمعابد البوذية مفتوحة وقد بلغ عدد دور العبادة المختلفة ٢٧٦٦ مسجداً ومعبداً منها ٢٥٢٠من المساجد.

وكذلك تأسست الجمعيات الإسلامية في المناطق الإسلامية في مقاطعة كانسو وقد بلغ عدد الجمعيات الإسلامية في المقاطعة ١٥ جمعية منها آخر جميعة إسلامية تأسست في اقليم كانان لقومية التبت المتمتع بالحكم الذاتي.

كما وافقت الحكومة على تأسيس معهد إسلامي في لانجو في هذا العام حيث قبل ٢٠ طالبًا وفي خلال المدة الدراسية للمعهد الإسلامي سيبلغ عدد الطلاب مائة طالب وكذلك تستعد الحكومة المحلية للمقاطعة لفتح معهد بوذي في اقليم كَانان لقومية التبت.

ثالثًا- الحكومات المحلية في مقاطعة أو اقليم أو مركز بها ادارات دينية كما توجد الادارة الدينية في ٢٨ مركزاً أما في لانجو فهناك ادارة شئون الاديان وادارة شئون القوميات ومعهد البحث الديني.

فشكرت السيد شريف تيان ده شانغ على كلمته القيمة عن احوال المسلمين وسياسة الحكومة نحو المسلمين وأعربت له عن استعداد الرابطة لقبول خريجي المعهد الإسلامي على منح دراسية لدراسة العلوم الإسلامية واللغة العربية في الجامعات الإسلامية على نفقة الرابطة وكذلك استعداد الرابطة بتزويد المعهد بالمدرسين والدعاة والكتب الإسلامية المختلفة.

مأدبة الرسميين الحكوميين.

ثم انتقل الجميع بعد ذلك إلى مأدبة العشاء التي اقامها مدير ادارة شئون الاديان السيد موسى ماووشانغ لتوديع وفد الرابطة المسافر إلى شنغهاى في صباح يوم الاثنين ١٤٠٤/٨/٦هـ.

وأثناء المأدبة القى السيد موسى ماووشانغ كلمة شكر فيها وفد الرابطة على زيارته للمناطق الإسلامية والمساجد وأحاديث رئيس الوفد القيمة لتوعية المسلمين كما شكر باسم الادارة الدينية والجمعية الإسلامية والمسلمين على تبرعات الرابطة للمساجد الإسلامية التي زارها الوفد وتمنى أن تتكرر مثل هذه الزيارات لأنها توثق العلاقات بين المسلمين. وقدأجبته بكلمة مناسبة.

يوم الإثنين: ٦ شعبان ١٤٠٤هـ ، ٧ مايو ١٩٨٤م.

مغادرة لانجو:

أدينا صلاة الفجر في أول وقتها ثم انطلق الموكب في الخامسة والربع فجراً متوجها إلى المطار مع شوارع مدينة لانجو التي كانت خالية في هذه الساعة المبكرة إلاّ من الكناسات اللائي كن يحملن مكانس من القش ذات أعواد طويلة كما كان بعضهن يحمل ادوات للكنس تشبه المنشات الطويلة وهذه يقصد من العمل بها إزالة الغبار الخفيف عن الطريق الاسفلتي ولذلك ترى الواحدة منهن قد علاها غبار مكنستها حتى رأسها فتجدها متلثمة اتقاء للغبار.

وتذكرت بهذه المناسبة السيارات التي نستعملها في بلادنا لإبعاد الغبار عن الشوارع عن طريق رشف الغبار بآلة قوية وخزنه في خزان في السيارة ثم تفريغه في مكان بعيد وكذلك ما رأيته في عدد من الدول الغربية التي تستعمل السيارات في كنس الشوارع فرثيت لهؤلاء النسوة من الصينيات اللائي زعموا أنهم ساووهن في الرجال فكانت المساواة في التعب كما سبق أن ذكرت بعض نظائر لهذا في بعض المناسبات في هذه الرحلة.

والملاحظ في هؤلاء الكناسات أيضًا أن عددهن كبير جداً بل يكاد المرء يعبرعن كثرتهن بأنهن جيش الكنس ولووجدت آلات للكنس لوفرت هذه الأيدي العاملة الكثيرة ولأراحت هؤلاء النسوة المتعبات ثم لكانت نتيجة العمل أحسن وكانت بالتالي نظافة الشارع أكثر.

وصلنا مطار لانجو في السادسة وعشر دقائق وربما أكون قد نسيت أنني ذكرت عند القدوم إلى هذه المدينة أن مطارها يبعد عنها بـ ٧٠ كيلو متراً ولكننا قطعنا المسافة بسرعة أي في حوالي الساعة في هذا الفجر لأن الشوارع تكاد تكون خالية من الناس والدواب فضلاً عن السيارات التي أغلبها أن لم تكن كلها سيارات حكومية.

وكان بقي على موعد مغادرة الطائرة لانجو ساعة الاعشر دقائق فوجدنا المطار مغلقًا وذلك لكون طائرتنا اول طائرة تغادره في هذا الصباح إضافة إلى قلة عدد الذين يستخدمون الطائرات في الصين.

وبعد مضي بضع دقائق حضرت موظفتان ففتحتا الباب واجلسونا في غرفة كبار الزوار(صالون الشرف) في المطار وقدموا إفطاراً ضم الشاي الأحمر الذي لاطعم له وليس فيه سكر.



في الصالون في مطار لانجو قبل مغادرتها

نادوا على الركاب أن يتقدموا للصعود للطائرة ثم أوقفوهم فجأة من أجل ألايتقدمواعجوزا تكاد تكون عاجزة عن المشي وتتكيء على عكازين فلبثوا في انتظار صعودها فترة ولوكانت لديهم عربة للعاجزين كما هو المعتاد في أكثر المطارات لما كانوا ضيعوا وقتًا في انتظار ركوبها مع أن عملهم ذلك يدل على شعور إنساني نبيل.

وبعد وداع حار من الإخوة المسلمين ومن الصينيين الرسميين المجاملين قامت الطائرة في الساعة السابعة والدقيقة الأربعين متأخرة اربعين دقيقة عن الموعد الذي كانوا قد حددوه من قبل وهي طائرة نفاثة صغيرة تابعة للمؤسسة الصينية الوحيدة التي تسير الطائرات على الخطوط الداخلية. وغني عن القول إنها حكومية فكل شيء مهم هنا مملوك للدولة.

فارقت الطائرة أرض المطار بسرعة. وذلك بالنسبة لما اعتدنا عليه في رحلات الأيام السالفة في الصين إذ كان أكثر سفرنا على طائرات مروحية بطيئة.

وعندما استوت في الجو كان المنظر المتجدد الذي لايمل الناظر تأمله هو منظر أكوام التلال الطينية العجيبة الموجودة في هذه المقاطعة التي هي من اعجب المناظر التي رأيتها في العالم.

وأعلنوا أن المسافة إلى مدينة(شانغهاي) هي ألف وثمانمائة كيلو متر ستقطعها الطائرة في ساعتين وثلث.

والحديث عن الجولة في مدينة شنغهاي وحولها ثم في بقية جنوب الصين في كتاب آخر عنوانه:« في جنوب الصين».

والله المستعان ، على كل شان، وفي كل حين.

خلاصة مرئيات الوفد حول وضع المسلمين في الصين

(١) المسلمون ينتشرون في كل انحاء الصين الشعبية مع تمركز كثيف في منطقة الحزام في غرب الصين الشعبية حيث تركستان الشرقية ومقاطعات كانسو ونن تشا ويوننان وتشنغهاي، ويشيرالاحصاء الحكومي لعام ١٩٨٣م إلى أن عدد المسلمين يبلغ ١٤,٢٩٣,٦٥٠ نسمة بينما تؤكد الدراسات العلمية على أن عددهم يزيد على سبعين مليون مسلم. ويقول المسئولون بأن المسلمين ينتمون عموما إلى عشر قوميات هي الاويغور والخوي والقازاق والقيرغيز ودونغ شيانغ والتاجيك والأوزبك والتتار والسالار وبوآن حسب الادعاء الشيوعي. مع أن هناك مسلمين من قوميات أخرى مثل التبت إلا أن الاحصاء الحكومي لا يحصيهم ضمن المسلمين.

(٢) الحرية الدينية أو بالأصح سياسة التسامح الديني المحدود التي تعتبر أحد اوجه سياسة الانفتاح الصيني الحديث هي حرية نسبية مثل الحريات الفردية الأخرى، فالفرد حر في أن يمارس شعائره الدينية التي تقتصر على الناحية الفردية، مادامت لا تتعارض هذه الممارسة مع سياسة الدولة الشيوعية.

(٣) تمكن المسلمون في السنوات الأخيرة من ترميم واصلاح بعض المساجد التي عبثت بها أيادى التدمير والتخريب خلال الثورة الثقافية. كما أسهمت الحكومة الصينية ماديًا في ترميم بعض المساجد القديمة على أساس أنها آثار تاريخية هامة. وكذلك استطاع المسلمون بمجهوداتهم الفردية بناء بعض المساجد الجديدة. وقد قدم الوفد مبالغ رمزية من رابطة العالم الإسلامي نقداً بالدولار لبعض المساجد التي تمكن من زيارتها.

(٤) التعليم الإسلامي لايزال محظوراً بصفة شاملة وإنما هناك سبعة معاهد إسلامية وافقت الحكومة الصينية على افتتاحها بغية تخريج الموظفين ورجال الدين المسلمين تحت إشراف الجمعية الإسلامية الصينية وقد زار الوفد ثلاثة منها في بكين واورومسى وين تشوان، وشاهد الأعداد القليلة من الطلاب المسلمين الذين يدرسون اللغة العربية والتفسير وغيرهما من المواد. كما اقيمت بعض الدورات لتدريب الائمة والمؤذنين برعاية الجمعية الإسلامية الصينية في بكين واورومسي في السنتين الماضيتين، مما لم يكن مسموحًا به في السابق خلال الثورة الثقافية في آخر حكم الطاغية ماوتسي تونغ.

(٥) الجمعية الإسلامية الصينية قامت بطبع القرآن الكريم وترجمة معانيه باللغة الصينية، كما قامت بطبع تفسير الجلالين وكتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان باللغة العربية وترجمة جواهر صحيح البخاري وسيرة سيد المرسلين باللغتين الصينية والتركستانية(الاويغورية) كما تستعد الجمعية الإسلامية لمقاطعة سينكيانغ(تركستان الشرقية) في اورومسي لطبع الترجمة الاويغورية لتفسير القرآن الكريم.

وتأكد الوفد بأن طبع المصاحف والكتب الإسلامية في داخل الصين الشعبية أفضل وايسر من ادخالها من الخارج وذلك بعد البحث مع المسئولين المسلمين في الصين الشعبية وهونغ كونغ .

(٦) الشعور الإسلامي العام للمسلمين في الصين جيد ولكن يحتاج المسلمون عمومًا إلى التوعية الدينية بتعاليم الإسلام واحكامه وبما يساعدهم على تربية اجيالهم اللاحقة على الإسلام ويقوي ارتباط الابناء بالدين الحنيف. ويتلهف المسلمون إلى معرفة امور دينهم وعقيدتهم ويتطلعون إلى مساعدة المملكة العربية السعودية بما يرشدهم إلى الصراط المستقيم ويعينهم على تفهم دينهم وخاصة لكونهم يتعرضون لاشكال

مختلفة من الدعاية الالحادية والتعليم الشيوعي ولايثقون إلا بمايصلهم من الحرمين الشريفين مهبط الوحي ومنطلق الرسالة الحمدية.

(٧)الاوضاع الاقتصادية للمسلمين سيئة لأن الدولة لاتزال تهيمن على الاملاك والانتاج الجماعي والملكيات الفردية محدودة جداً، والمعيشة اليومية بالنسبة إلى مدخول الفرد غالية جداً.

(٨) الوضع العام بجميع اشكاله وجوانبه في سينكيانغ أي تركستان الشرقية اسوأ حالاً من اوضاع المسلمين في المقاطعات الإسلامية الصينية الأخرى مما يؤكد على أن حكومة الصين الشعبية تطبق سياسة غاشمة على المسلمين في سينكيانغ على اعتبار أنهم غير صينيين في العنصر وتخطط لتهجير ملايين من الصينيين البوذيين إلى هذه المنطقة الإسلامية للتغلب على المسلمين بالاكثرية البوذية وصبغ هذه المنطقة الإسلامية بالصبغة الصينية.

(٩) تأكد الوفد من خلال مشاهدة بعض المشاريع الإسلامية التي نفذت مثل ترميم المساجد وطبع الكتب الدينية والاستعدادات القائمة لبناء بعض المعاهد الإسلامية، ومن خلال البيانات التي قدمتها الجمعية الإسلامية الصينية المركزية بأن المساعدة المالية التي قدمتها الرابطة عن طريق وفدها الأول الذي زار الصين الشعبية عام١٤٠١هـ. وهي مبلغ خمسمائة ألف دولار امريكي قد استخدمت لأهداف إسلامية نافعة وآتت الثمرة المطلوبة منها.

(١٠) تدارس الوفد مع مسئولى الجمعية الإسلامية الصينية وهي الجهاز الرسمي الذي يشرف على النشاط الإسلامي، وبحث معهم مختلف المشاريع الإسلامية من اقامة دورة تدريب للائمة والخطباء وتعيين الدعاة

والمدرسين وطبع المصاحف والكتب الدينية وترميم المساجد وانشاء المعاهد الإسلامية وتيسير سبل الحج وتوفير المنح الدراسية لابناء المسلمين وتوصل معهم إلى قرارات ايجابية في معظم المسائل.

(١١) مع أن الوفد كان يؤكد دوما بأنه يمثل رابطة العالم الإسلامي التي هي منظمة شعبية عالمية وليست إدارة حكومية إلا أنه لقى كثيراً من الحفاوة والترحيب على المستويين الشعبي والرسمى، مما يعكس احترام الشعب والحكومة في الصين لبلادنا ورغبتها في توثيق العلاقات مع المملكة العربية السعودية كما كان يصرح بذلك بعض المسئولين المسلمين وغيرهم.

وكان المسلمون في كل مكان يتجمهرون حول الوفد مسرورين وبعضهم يبكون فرحًا لرؤية إخوانهم القادمين من الحرمين الشريفين بعد انقطاع طويل.

لقد تضرر المسلمون كثيراً إبان العنف الشيوعي المعروف بالثورة الثقافية وهم بحاجة إلى دعم إسلامي عاجل وذلك لمساعدتهم على انتهاز الفرصة في الوقت الحاضر الذي يتسم بالتسامح الديني المحدود بما يقوى عقيدتهم الإسلامية ويعزز مكانتهم بين الاكثرية اللامسلمة في دولة يبلغ عدد سكانها أكثر من ألف مليون نسمة لذا يقدم وفد الرابطة الاقتراحات والتوصيات التالية:

أ- استمرار الاتصالات بالجماعات المسلمة في الصين الشعبية عن طريق تبادل الوفود وارسال الشخصيات الإسلامية لمافي ذلك من تقوية للمشاعر الإسلامية التي تضررت لطول انعزالهم عن اخوانهم في الدين في العالم الإسلامي، ولما في ذلك من فرصة طيبة للتوعية الدينية والتوجيه وايقاظ الحس الإسلامي.

ب- ارسال الدعاة والمرشدين ممن يجيدون اللغتين الصينية والإيغورية على فترات متقطعة باسم الزيارة وذلك في سبيل توعية الجماعات الإسلامية إلى أن تتحسن الظروف الحالية ويتم تعيين دعاة ثابتين على أن يتم اختيار الدعاة اختيارا مناسبا.

ج- دعوة عشرة من زعماء المسلمين الصينيين من ساسة وعلماء لأداء فريضة الحج سنويًا ولمدة خمس سنوات.

د- دعوة عشرة من كبار الموظفين المسلمين وذوى النفوذ في الحكومة الصينية في غير موسم الحج لاداء مناسك العمرة بغية اطلاعهم على مابلغته المملكة من تقدم حضارى وتنظيم برنامج لهم يتضمن زيارة الجامعات وغيرها في المدن الكبيرة وذلك لاشعارهم بأن هناك من يهتم بامور المسلمين حتى لايسيطر عليهم الشعور بالانعزال وأنهم تركوا للحكومة الشيوعية وحدها على أن يتم هذا في العام القادم.

هـ- موالاة ارسال المصاحف والكتب والمجلات الإسلامية والمحلية المختلفة إلى الجمعيات الإسلامية المركزية والفرعية في انحاء الصين الشعبية .

و- تسهيل سبل الحج للراغبين في اداء فريضة الحج من الصين الشعبية وذلك بتعيين مطوف ودليل خاص بهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة لاستقبالهم وترحيلهم بعد الحج والنظر في امكانية ارسال مندوب من المملكة إلى الصين الشعبية لمنحهم التأشيرات اللازمة لهم في بكين وأورومسي.مع الاستمرار في عملية التوسط التي تقوم بها الرابطة لخروج الراغبين في الحج بدعوة اقربائهم ومعارفهم المقيمين في المملكة وتركيا وباكستان.

ز- زيادة المنح الدراسية المقررة لابناء المسلمين من أهل الصين الشعبية ومن تكون دراستهم منهم خارج المملكة العربية السعودية فإن رابطة العالم

الإسلامي تجري الاتصال اللازم بالهيئات الإسلامية في البلدان العربية والإسلامية بغية تخصيص المزيد من المنح الدراسية لابناء المسلمين في الصين الشعبية في الجامعات والمعاهد الإسلامية.

ح- توصية الهيئات الإسلامية كمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة أن تتابع توجيه اهتمام الدول الأعضاء ذات العلاقة بالصين الشعبية إلى وضع المسلمين في سنكيانغ ومطالبتها حكومة الصين الشعبية بوقف تهجير وتوطين الصينيين البوذيين فيها.

ط- تقوية الارسال الاذاعي الذي تبثه الاذاعة السعودية بجدة باللغة التركستانية وذلك باستئجار ساعات للارسال من اذاعة باكستان القريبة أو تقوية البث من الاذاعة السعودية بجدة إذا كان ذلك ممكنا لأن البث الحالي لايسمع في شمال وشرق تركستان إلا بمقدار قليل.

ى- بث إذاعة باللغة الصينية لمسلمي الصين الشعبية وجنوب شرق آسيا من الصينيين على غرار البث التركستاني ويمكن تقوية البث من بنغلاديش.

ك- زيادة الاتصال والتعاون مع الجمعية الإسلامية الصينية في الصين الشعبية بما يقوى علاقتها برابطة العالم الإسلامي وغيرها من المؤسسات الإسلامية ويعود بالنفع على المسلمين في الصين الشعبية ويقطع الطريق على نفوذ الجهات المغرضة التي تريد إبعادهم عن اخوتهم المسلمين في بلاد الأكثريات المسلمة.

ل- فتح مكتب لرابطة العالم الإسلامي اوتعيين مبعوث لها في الصين الشعبية يشرف على المساعدات التي تقدمها الرابطة ويعمل على توثيق الصلات بين الرابطة والجمعية الإسلامية الصينية والجماعات المسلمة في الصين الشعبية.

م- تخصيص مقعد لممثلي مسلمي الصين الشعبية في المجلس الأعلى العالمي للمساجد.

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
إلى جامع نانغ كوان	١٧٨
أيوم كيوم كا شغر ؟	١٧٩
مسجد شاطئ النهر الأمامي أو مسجد السلفيين	١٩١
في بيت أحد المسلمين	١٩٩
إلى مسجد أخر	٢٠٠
مائدة العشاء الرسمية	٢٠٢
الإفطار الرسمي	٢٠٥
محافظة دونغ شيانغ	٢٠٧
لغتها وأصولها	٢٠٩
ا لحياة والعادات	٢١٠
منظر غريب	٢١٢
بلدة دونغ شيانغ	٢١٥
جولة على المساجد	٢١٨
المسجد الجنوبي	٢٢٠
المسجد الكبير	٢٢٢
حفلة الشمس الطليقة	٢٢٣
أهي معجزة؟	٢٢٦
مغادرة بلاد العجائب	٢٢٨
على ضفاف البحيرة الإصطناعية	٢٣٢
وداع على البحيرة	٢٣٣
في محافظة يونغ جو نغ شين	٢٣٤
بلدة ليو تشاتشا	٢٣٥
في محطة التوليد	٢٣٧
العودة الى لانجو	٢٤٠
في سوق شعبي	٢٤٢
الغرائب والعجائب	٢٤٦
جلسة مباحثات	٢٤٩

الموضوع	رقم الصفحة

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون: ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣